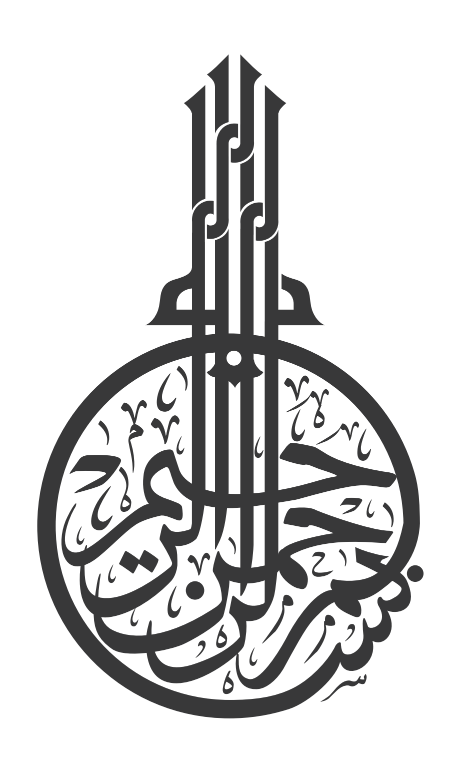
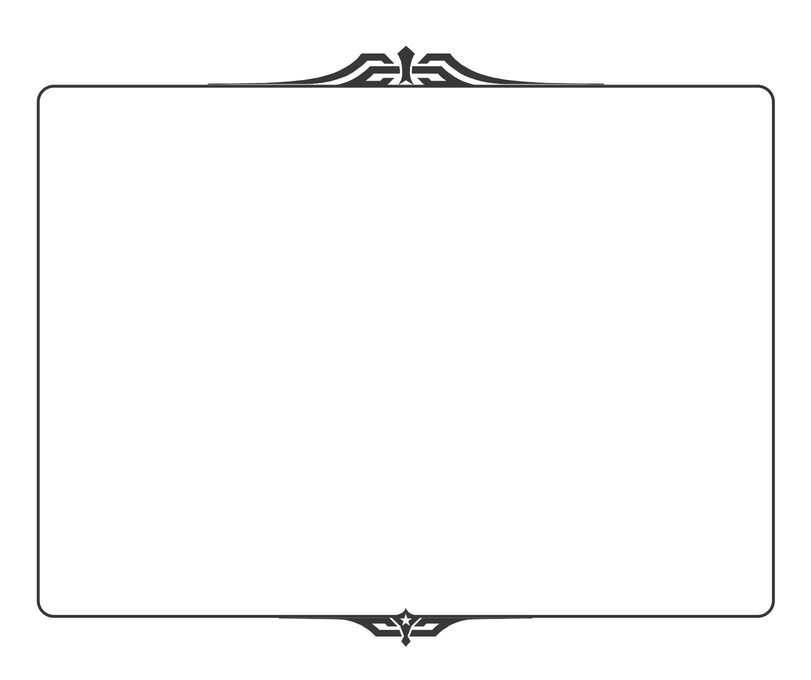




الطبعة الأولى - ١٤٣٣ ه - ٢٠١٢ م



دليل المرابطين لتحرير

فلسطين

أ. محمد مصطفى النوباني

م. موسى محمد حداد



الفهرس






تقديم

الحمد لله القوي الحق المتين، ناصر المستضعفين، ومعز المؤمنين، القائل في كتابه المبين: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (القصص: ٥).

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، السراج المبين نبي الغر المحجلين، وإمام الصابرين المجاهدين، القائل (لَا تَزَالُ عِصابَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلونَ عَلَى أبوابِ دِمَشْقَ ومَا حَوْلَهُ، وعلَى أبوابِ بيتِ المَقْدِسِ ومَا حَوْلَهُ، لَا يَضُرُّهُم خُذْلانُ مَن خذَلهم، ظَاهِرِين عَلَى الحَقِّ إلى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ) أخرجه أبو يعلى (٦٤١٧).

وبعد،،

فمنذ ما يزيد على خمس سنين جاءني الأخ العزيز محمد النوباني وهو يحمل هم الدعوة والنصرة وهم القدس وفلسطين، وألقى علي مجموعة من الأسئلة حول سورة الإسراء، ودار بيننا حديث حول إفساديْ بني إسرائيل المذكورين في الآيات الأول من السورة، وهل هما قديمان مضيا كما يذكر أغلب أهل التفسير، أم هما بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

ودار الحديث عن دخول المسجد الأقصى ووعد الله تعالى بذلك، وأخبرني الأخ محمد بتفكيره المتواصل في قول الله تعالى (كما دخلوه أول مرة)، فهل في التاريخ الإسلامي مرحلة تتشابه مع مرحلة أمتنا الحالية التي نعيشها في ظل تسلط يهود علينا، واحتلالهم لأرض فلسطين وتدنيسهم للمسجد الأقصى المبارك؟

وبقي هذا السؤال بيننا لم تتم الإجابة عليه.

ثم غاب عني فترة من الزمن، وعاد ليطلعني على ما فتح الله عليه به، وأنه لم يجد أشبه من فترة مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته ومرحلة الخلافة الراشدة بعده؛ حتى تسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القدس وفتحها، وأن تلك هي الفترة الزمنية التي يمكن أن تتشابه مع مرحلتنا الحالية.

لم أقتنع تماماً بما قاله في بادئ الأمر، لكنني ومع استماعي المتكرر لبعض التفاصيل منه؛ لمعت

لدي الفكرة وشعرت بانشراح الصدر لها، بل أحسست من داخلي بأنني أمام طرح مهم جداً لربما سيكون له دور في نقل هذه الأمة من حالة الضعف والركود إلى حالة الرفعة والصعود.

وراجعت ما قاله مراراً، وبدأت أقرأ سورة الإسراء بطريقة جديدة، ثم أيقنت فعلاً؛ أن هذا دين الله تعالى الذي ارتضاه، فلا يمكن إلا أن يضع لأتباعه المنهج القويم الذي ينهضون به وينتصرون به، وبدأت أحس بمنطقية طرحه وقوة حجته.

وتكررت مراجعتي للسورة، وكلما قرأتها ترسخ لدي الإيمان بأنها مفتاح النصر وطريق العودة، لكن بقي لدي شعور بأن حلقة ما تزال مفقودة من عقد هذا المنهج وهذا الطريق، لتزيده رسوخاً ووضوحاً.

وقد حرصت على الدفع بأخي محمد لينقل هذا التصور إلى أكبر عدد من الناس من العلماء والقادة.

ويقدر الله تعالى أن يلتقط الخيط؛ ألمعي آخر انشغلت نفسه – كصاحبه الأول – بالتفكير في هذه الأمة وسبل خلاصها وانتصارها، وإذا بموسى حداد في قوته العلمية يضيف لمحمد النوباني في قوته الإيمانية؛ نوراً إلى نور وعلماً إلى علم، وكأن الله تعالى أراد أن يسير (محمد ومن ورائه موسى)، لمواجهة بني إسرائيل، فمحمد هو صاحب السبق والرسالة، وموسى هو صاحب الخبرة والحصافة؛ ليترسخ الإيمان بكتاب أعده «محمد» و «موسى» في تشابه عجيب مع اسم أبرز نبيين لهما علاقة بهاتين الأمتين اللتين سيدور بينهما صراع الحق والباطل في نهايات الزمان، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء ذكره في مطلع سورة الإسراء كأعظم عباد الله تعالى، وهو صاحب النقلة والنصرة والمنهج ..

وذكر فيها موسى عليه السلام؛ صاحب الخبرة والدراية ببني إسرائيل، وهو أهم نبي من أنبيائهم، وأبرز من عانى منهم ..

لتتكامل المنهجية الإيمانية الربانية في استلهام الدليل لهذه الأمة لمواجهة بني إسرائيل، والسير وفق

منهج العبودية لله وحده، للإسراء نحو القدس والمسجد الأقصى وتحريره، وتحرير كل فلسطين.

إنه دليل يتلألأ نوراً بالآيات والأحاديث، إنه صفحات من العودة إلى الله تعالى، ومنهج لمن يريد أن يكون من زمرة من يبعثهم الله تعالى على بني إسرائيل، ممن قال الله تعالى عنهم (عباداً لنا).

إنه بشارة خير، ومشعل أمل على طريق المرابطين والصابرين، بشارة للمشتاقين إلى عودة الإسلام وتحرير المسجد الأقصى، بشارة بثمرة جهاد الأبطال الشهداء الذين رووا بدمائهم الزكية شجرة الإسلام العظيم، وأضاءوا قناديل الحق في ليل الظلم والقهر والاحتلال.

إنه بشرى للمستضعفين بأن الله تعالى سيمن عليهم قريباً بالنصر والتمكين إن ساروا على منهج محمد صلى الله عليه وسلم في ظلال سورة الإسراء والقرآن الكريم.

وهو محض اجتهاد من الإخوة الكرام، فإن أصابوا فلهم الأجر والسبق، وهي من عاجل بشرى المؤمنين، وإن لم يتحقق ما سطروه، فكفى بهذا الدليل خيراً أن وجه الأمة للالتصاق بكتاب الله، والسعي لتلمس سبيل النصر من الآيات والتوجيهات القرآنية، ليكون خطوة على طريق العزة والتمكين.

إنني آمل من كل من يشتاق لتنسم عبق الحرية والنصر، ومن يرنو للتحرير والظفر، كل مسلم ومسلمة أن يقرأوا هذا «السفر» بعمق وإمعان، وأن يدققوا في كلماته وأن يحققوا إرشاداته، فهو ليس للرجال دون النساء، وليس للكبار دون الصغار، وليس لجماعة أو حزب دون آخر، إنه للأمة جمعاء؛ يدفع بها نحو الإيمان؛ نحو القرآن؛ نحو سنة المصطفى العدنان، نحو العزة والكرامة والعمل، ويقول لبني صهيون لم يعد لكم على أرضنا بقاء!

وكتبه

د. أسامة بن فتحي آل أبوبكر

عضو المكتب التنفيذي

لرابطة علماء أهل السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من سار على طريق الحق ... مقتدياً بنبينا وزعيمنا محمد صلى الله عليه وسلم...

إلى من حمل دعوته آخذاً بسلاحه و سار في دربها متشبثاً بكفاحه ...

إلى المجددين الذين أناروا لنا الدرب وخطُّوه بدمائهم و مهجهم ...

إلى الشهداء الذين عبّدوا طريق النصر بأجسادهم ومهج أنفسهم ...

إلى كل من سار على نهج البنّا والقسام وسائر الدعاة والمجاهدين الصادقين...

إلى أرواح أبطالنا وشيوخنا الأطهار أحمد ياسين والرنتيسي والمهندس يحيى عياش ...

إلى كل شهيد و مجاهد أنار طريق النصر بالمرابطة و الكفاح ...

إلى كل من حملَ روحه على كفه منتظرا وعد الله ...

إلى الجيل القادم .. جيل النصر ... جيل الوعد الحق ...

إلى الذين ربونا على يقين النصر إلى الوالدين الكريمين...

إلى مشايخنا وعلمائنا...

إلى كل هؤلاء نهدي صفحاتنا هذه و نزفها لكم بشرى من كتاب الله و من سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ...

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٧)

وعداً علينا حقاً...



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين سيد الإسراء وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من سار على نهجه ليوم الدين.

أما بعد فإن الله عز وجل يقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النحل: ٨٩).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في خطبة الوداع: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللهِ).

وعن عبد الله بن مسعود قال: من أراد العلم فلْيثوِّر القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين.

القرآن الكريم دستور الأمة العظيم وحادي دربها في كل عصر وفي كل طور، فيه تبيان كل شيء، وفيه كل الهداية والبشرى والرحمة، من اعتصم به لم يضل ومن أراد العلم فما عليه إلا أن يثوره، هذا منهج الصحابة والخلفاء الراشدين في التعامل معه، حكموا الأمة بهدايته وبُشراه ورحمته فرشدوا، فها هو الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه قال: (والله لوضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله).

وهكذا يجب أن يكون حال الأمة وهي تمر في مرحلة من أصعب مراحل وجودها مرحلة الاغتراب كما وصفها صلى الله عليه وسلم؛ إن أرادت العودة إلى سابق مجدها، وهكذا يجب أن ينطلق كل من يحمل هم إعادة الإسلام حاكما هاديا وراحما للبشرية.

وبهذا الفهم بدأنا نبحث في هذا الدستور الكامل ونستبين عن وصف لهذه المرحلة التي نعيش، ونستهدي فيه معالم طريق التمكين لهذه الأمة، فوجدنا في سورة الإسراء عنوانا بارزا من عناوين المرحلة، ووصفاً دقيقا لخطوات الأمة نحوغايتها بإذنه تعالى .

حمل مطلع سورة الإسراء بحسب الكثير من المفسرين المعاصرين وعدين من الله بالتمكين لهذه الأمة بعد النصر على بني إسرائيل في عصرين متباعدين لكن بينهما من أوجه التشابه شيءكثير، وعند محاولة تدبر آيات سورة الإسراء لاستلهام ملامح هذا الوعد بالنصر عليهم، وجدنا بفضل الله وتوفيقه نصّاً يشيرُ إلى التشابه بين الوعد الأول والوعد الثاني - وتفصيل ذلك سيأتي لاحقا بإذن الله - ومن هنا بدأ التفكير عن معالم هذا الوعد وتفاصيله وآليته ويقدر الله تعالى أن يكون هذا في نهاية عام ٢٠٠٥ ، أي قبيل الانتخابات التشريعية الفلسطينية بعدة أسابيع.

وبدأ التفكير يزداد والبحث يتواصل عن الفترة الزمنية والمرحلة التي يمكن أن تكون مشابهة لما نحن فيه -مرحلة الانتخابات الفلسطينية- فوعد الله تعالى قائم ولا يتخلف، والوعد بان يكون النصر القادم مشابها للنصر السابق، وقد أكرمنا الله تعالى وفتح علينا بإيجاد المرحلة المشابهة من تاريخ الأمة، والتي تتقارب كثيراً مع هذه المرحلة، مما شجعنا للاستمرار والمضيّ.

وانطلقنا تقارن بين المرحلتين وما حصل قبل الحدث التاريخي وما حصل من أحداث تتعلق بالقضية الفلسطينية قبل الانتخابات، وبدأ الشعور يتولد لدينا، إن كان تصورنا في الاتجاه الصحيح، فإننا على موعد مع حدث كبير مفصلي بعد عام ونصف من الانتخابات التشريعية وستكون أبرز معالمه كذا وكذا، وهو ما حصل بالفعل.

وهنا صار لِزاما علينا أن نسير في خطين متوازيين يكمل كل منهما الآخر:

الخط الأول:الإستفادة من التاريخ لإيجاد حلول لبعض مشاكل الواقع الفلسطيني بإنجاز العديد من المشاريع.

الخط الثاني: الإستمرار في دراسة التاريخ وتوقع المزيد من الأحداث المؤثرة التي ستمر على القضية الفلسطينية، ثم عَرْض هذه التوقعات على قادة العمل في فلسطين لعلهم يستفيدون منها في وضع خطط عملهم للمراحل القادمة.

وهذا ما كان، فقبل العدوان على غزة ٢٠٠٨-٢٠٠٩ بعدَّة أشهر كتبنا بعض الوريقات

نحذر فيها من عدوان قادم على غزة، وتم توزيع هذه الوريقات على بعض القيادات والشخصيات التي شاركت في مؤتمر العودة في دمشق في شهر ٩ من العام ٢٠٠٨ ومن أهم ما كتب في تلك الوريقات أن غزة على موعد قريب مع حرب كبيرة أبرز ملامحها شهداء كثر ودمار كبير،ورغم ردة الفعل غير المبالية من الذين وزعت عليهم تلك التحذيرات؛ جاء العدوان في الموعد والملامح المتوقعة.

وبعد العدوان على غزة توقعنا حدثا سيؤدي إلى نهاية النظام المصري في سنة ٢٠١١ وبعده يبدأ المشروع الإسلامي بالتوسع في المنطقة وقد كتبنا في هذا مجموعة من الوريقات أسميناها (بشائر النصر على أعتاب غزوة الأحزاب الثانية) عرضناها بداية على مجموعة من العلماء الشرعيين فاستحسنوها، ثم تم توزيعها ونقاشها مع مجموعة من قيادات العمل الفلسطيني في الداخل والخارج، ومنهم من مازال يذكر وريقات التحذير من عدوان على غزة التي وزعت في مؤتمر العودة فكانت ردة الفعل طيبة ومشجعة على الاستمرار.

وبعد سقوط النظام المصري قررنا أن نضع هذه الأفكار في كتاب؛ فكان هذا الجهد المتواضع، نضعه بين أيدي المسلمين عامة وأهل فلسطين خاصة لعلهم يجدون فيه ما يعينهم على رسم ملامح المرحلة القادمة ويثبتنا ويثبتهم بالبشرى بنصر الله وتمكينه القادمين القريبين بإذنه تعالى؛ نبغي بذلك وجه الله تعالى والعمل بمنهج نبيه صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق عندما اشتد الابتلاء على المسلمين وحوصرت المدينة بعشرة الآف مقاتل هدفهم القضاء على الإسلام وأهله، وبلغت القلوب الحناجر فخرج عليه الصلاة والسلام مبشرا بفتح الشام وفارس، ويروي جابر رضي الله عنه قال : « كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق : فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال : بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر . وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا . ثم قال : بسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال بسم الله وضرب ضربة أخرى. فقلع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا . (رواه الإمام احمد)

وبعد هذا السرد عن التسلسل الذي تطورت منه فكرة الكتاب حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من نضج فلابد من توضيح أن سورة الإسراء هي عين الفكرة التي لا تنضب ومنهج هذه السورة العظيمة هو ما نسعى أن يكون منهجا لكل من يقرأ هذا الكتاب ويقتنع بفكرته.

سورة الإسراء المكية ذات المئة وإحدى عشرة آية بدأت بنبوءة ووعد من الله بالتمكين إلا أن هذه النبوءة على ما فيها من إعجاز وما لها من أهمية لم تشكل سوى عشرة بالمئة من عدد آيات السورة، والتسعون بالمئة من آيات السورة جاءت ببرنامج الإعداد والاستعداد لهذا الفتح كما سنبين في هذا الكتاب إن شاء الله.

جاء هذا الكتاب في ستة فصول، كل فصل يحتوي على عدد من المباحث إجتهدنا في ترتيبها على النحو التالي لعلها تشكل سلسلة قوية مترابطة:

الفصل الأول: (القرآن دستور الأمة): أردناه أساسا متينا إن شاء الله لما بعده من بناء.

الفصل الثاني: (مطلع سورة الإسراء بين تفسير المفسرين القدامى والمعاصرين): أردناه تعزيزاً للبحث وإثراء له، نناقش فيه آراء مفسرينا القدامى الأجلاء بمطلع سورة الإسراء وما لدينا من تعليقات ونعلق عليها، ثم ننا قش بعض آراء من عاصر قيام دولة الكيان الغاصب في فلسطين من مفسرين في لمطلع سورة الإسراء.

الفصل الثالث: (معالم طريق تحرير الأقصى وفلسطين من سورة الإسراء): وهو لبُّ الكتاب وفكرته الرئيسة.

الفصل الرابع: (نهاية هيمنة الغرب وأمريكا من ظلال سورة الإسراء): هو المتم للفصل الثالث وامتداده الطبيعي.

الفصل الخامس: (أوامر سورة الإسراء تبني جند البعث الرباني الثاني): أردناه حاصل الكتاب العلمي ومنهجه العملي في بناء جند التحرير.

الفصل السادس: (بشائر النصر من سورتي الروم والحشر): وهو يعضد ما قبله من فصول وفيه استعراض سريع لبشائر النصر والتمكين في هاتين السورتين العظيمتين.

نسأله عز وجل أن يكون هذا الجهد والاجتهاد خالصاً لوجهه الكريم نتقرب به إليه، وندعوه إن أصبنا بهذا العمل أن يكون لنا أجران وأن يكون توفيقنا خطوة لإعادة أمجاد المسلمين،



وإن أخطأنا أن يكون لنا أجرٌ واحدٌ، وهو من عند أنفسنا.

كما أننا نتقدم بالشكر الجزيل لشيخنا د.أسامة أبو بكر تقديمه لهذا الكتاب، ورعايته للفكرة منذ نشأتها، ومتابعته الحثيثة لها، عبر المراحل المتعددة ونقول: أن ما ذكره شيخنا في تقديمه هو من حسن ظن الشيخ بنا، ونسأله عز وجل أن يبارك في هذه الجهود وأن يجعلها في ميزان الحسنات.

وفي ختام هذه المقدمة نقول إننا نطمح أن يكون هذا الكتاب الحلقة الأولى من سلسلة تتحدث عن النصر والتمكين إن شاء الله تعالى تهدف إلى :

١. إعادة القرآن إلى مكانه الطبيعي والحقيقي كدستور لهذه الأمة في كل طور من أطوراها.

٢. تثوير القرآن في طور الاستضعاف لرسم معالم طريق التمكين والاستخلاف .

٣. رفع الروح المعنوية لهذه الأمة المهزومة معنويا .

٤. إطلاق مشروع الإعداد لبعث الله وجنده، والإرتقاء بهم.

٥. استجلاب النصر من خلال تحقيق سننه وقوانينه .

٦. إيجاد رسالة يجتمع عليها العاملون في الحقل الإسلامي بكافة مدارسهم خاصة، والمسلمون عامة من وحي النص القرآني للعمل على تمكين المشروع الإسلامي.

٧. رسم معالم طريق الاستخلاف والتمكين على مستوى الأفراد والمجتمع من ظلال القرآن وسيرة العدنان صلى الله عليه وسلم.

٨. التعرف على أعداء مشروع الاستخلاف وفهم استراتيجياتهم وخططهم وكيفية التعامل معهم في كافة المراحل من الاستضعاف إلى الاستخلاف .

٩. وضع أفكار مشروع قرآني حضاري عملي مبنيًّ على تثوير القران وسيرة العدنان صلى الله عليه وسلم ليكون جاهزا لحظة التمكين في أي بقعة من بقاع العالم إن شاء الله .

١٠. السعي لتطوير هذا المشروع القرآني الحضاري ليكون مشروعا عالميا.

المؤلفان





الفصل الأول

القرآن دستور الأمة



القرآن دستورنا

شعارٌ تربينا عليه في مدرسة الإمام حسن البنَّا ولا تكاد تمر ذكرى ولا مناسبة جامعة إلا صدحنا به، نباهي بهذا الدستور الأمم؛ ففيه وحده سعادة البشرية ونجاتها في الدنيا والآخرة.

ولكن ما هو تعريف الدستور؟

الدستور كلمة فارسية، ومعنى الدستور لغة: التأسيس والإنشاء والتكوين، أوالقاعدة والأساس والأصل.

أما اصطلاحا: فله عدة تعريفات منها:

١. هو تنظيم الحكم وتحديد الصلاحيات.
٢. الوثيقة العليا التي تحدد السلطات الأساسية في الدولة.
٣. مجموعة القواعد العامة والأحكام الشاملة التي تحدد أسس تكوين جماعة في دولة معينة وزمن معين.
٤. مجموعة القواعد القانونية التي تحدد نظام الحكم في الدولة، وتبين سلطاتها العامة تكويناً واختصاصاً وصلاحية وسلطاناً، وتحدد العلاقة بينها وبين الأفراد.

ويكنى الدستور بأبي القوانين، ويلقّبُ بالقانون الأعلى والأسمى والمقدس.

ويبين الإمام حسن البنا في رسالة التعاليم ما الذي أراده بشعار "القرآن دستورنا"، فيقول: (**إذا علم الأخ المسلم دينه** في الأصول التالية، فقد عرف معنى هتافه دائماً «القرآن دستورنا والرسول قدوتنا».

إنما أريد بالفهم:

أن توقن بأن فكرتنا «إسلامية صميمة» وأن تفهم الإسلام كما نفهمه، في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز:

١ - الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهودولة ووطن أوحكومة وأمة،

وهوخلق وقوة أورحمة وعدالة، وهوثقافة وقانون أوعلم وقضاء، وهومادة وثروة أوكسب وغنى، وهوجهاد ودعوة أوجيش وفكرة، كما هوعقيدة صادقة وعبادة صحيحة، سواء بسواء.

٢ – القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، وفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات. . . . . إلى نهاية الأصول العشرين).

ويقول سيد قطب في مقدمة سورة البقرة واصفاً ملابسات نزول هذه السورة العظيمة: (مع التنبيه الدائم إلى أن هذه الملابسات في عمومها هي الملابسات التي ظلت الدعوة الإسلامية وأصحابها يواجهونها – مع اختلاف يسير – على مر العصور وكر الدهور؛ من أعدائها وأوليائها على السواء، مما يجعل هذه التوجيهات القرآنية هي دستورُ هذه الدعوة الخالد، ويبث في هذه النصوص حياة تتجدد لمواجهة كل عصر وكل طور، ويرفعها معالم للطريق أمام الأمة المسلمة تهتدي بها في طريقها الطويل الشاق، بين العداوات المتعددة المظاهر، المتوحدة الطبيعة. وهذا هوالإعجاز يتبدى جانب من جوانبه في هذه السمة الثابتة المميزة في كل نص قرآني).

ومن أقواله أيضا: (. . . هوكتاب هذه الدعوة، هوروحها وباعثها. وهوقوامها وكيانها. وهوحارسها وراعيها. وهوبيانها وترجمانها. وهودستورها ومنهجها. وهوفي النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة ــ كما يستمد منه الدعاة ــ وسائل العمل، ومناهج الحركة، وزاد الطريق..)..

وفي كتيبه (القرآن دستورنا) قال المجاهد عبد الستار فتح الله سعيد: (لعل بعضهم يقرأ هذا ويتابع معي البحث، ويتأمل معي جيداً في آيات القرآن الكريم ليعلم أنه شيء غير ما يُتصور تماماً، وأن هذا الكتاب كان دستور الدولة الإسلامية يوم كانت أعظم دول الأرض، وصاحبة السيادة العالمية وأكثرها حضارة ومدنية، بل كان للقرآن العظيم، الفضل الكبير في وصول العرب المتفرقين الأذلاّء إلى هذه الدرجة السامية، بما أودع الله تعالى في كتابه من هداية ونور).

نعم، إن القرآن الكريم هو دستور الأمة ومعجزتها الخالدة وحادي دربها ودليل معالم طريقها في كل طور وفي كل عصر.

يا أمة الإسلام دستورنا جامع

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النحل: ٨٩)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٨)

دستور جامع لكل ما تحتاجه البشرية (أفراداً وأسراً وجماعات وحكومات).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٩)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (الكهف: ٥٤)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الروم: ٥٨)

وما يمر على البشرية من أحداث فإن له مثل في القرآن يرسم منهج التعامل وكيفية التصرف معه فلا تترك الأمور لأهواء المجربين فيَضيعُوا ويُضَيِّعُوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الروم: ٥٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠)

تاريخ البشرية ومستقبلها من آدم عليه السلام إلى يوم البعث مذكور في هذا الكتاب سواء بالتصريح أوبذكر الأمثال.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال في خطبة الوداع: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ). (رواه مسلم).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ



اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ). (رواه الحاكم في مستدركه).

وذاك الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه يتجلى لديه ما يعتقده بأن هذا الدستور جامع في قوله: (والله لوضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله).

ونلخص وصف هذا الدستور الجامع بحديث من قد أوتي جوامع الكلم، وقال تعالى في حقه: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوإِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) صلى الله عليه وسلم.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هوالفَصْلُ ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهوحبل الله المتين، وهوالذكر الحكيم، وهوالصراط المستقيم، هوالذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. هوالذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: «إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد». من قال به صُدق ومن عمل به أُجر ومن حكم به عَدَل ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم». رواه الترمذي، وقد ضعف أهل العلم رفعه، وصححوا وقفه على علي رضي الله تعالى عنه .

هذا الحديث الشامل لصفات كتاب الله تعالى، حديث عظيم الشأن؛ ينبغي الوقوف معه، فهوجواب شافٍ للمَخرَج من الفتن في أي وقت حدثت، وجوابها هوالعودة إلى كتاب الله تعالى .

وبعد كل هذه النصوص والأدلة؛ تُرى كيف يتعامل المسلمون هذه الأيام مع دستورهم؟

يقول الإمام البنا في رسالة هل نحن قوم عمليون؟ وتحت عنوان حق القرآن: (ما رأيت ضائعاً أشبه بمحتفَظ به، ولا مهملاً أشبه بمعنيّ بشأنه من القرآن الكريم في أمتنا هذه: أنزل الله القرآن الكريم كتاباً محكماً ونظاماً شاملاً وقواماً لأمر الدين والدنيا، ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾. (فصلت ٤)

دستورنا صالح لكل زمان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت: ٥٣)

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (إن الخطاب بصيغة المضارع (سنريهم) جاء يدل على المستقبل، أي أن الآيات والأسرار التي تحدى الله البشر بإظهارها ستكون بعد إنزال هذه الآيات وإلى يوم القيامة) بمعنى أن القرآن يذكر الأحداث الغيبية، كما اتفق عليه أهل العلم، حيث ذكروا أن من وجوه إعجازه : إخباره بالمغيَّبات .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النساء: ٨٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٥)

و يروى عن الإمام علي رضي الله عنه أيضاً – حين سئل: هل خصّكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ أنه – قال: «ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة، وفهم يؤتاه الرجل في كتابه». رواه مسلم في صحيحه.

ويقول الدكتور زغلول النجار في بحث له بعنوان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم؛ الحاضر والآفاق: (تتعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله بتعدد جوانب النظر فيه، فكل حرف من حروفه، وكل كلمة من كلماته، وكل آية من آياته فيها إعجاز لفظي وبياني ودلالي، وكل مجموعة من الآيات، وكل سورة من السور – طالت أم قَصُرَت – تشهد لكتاب الله تعالى بأنه معجز بما فيها من قواعد عقدية أوأوامر تعبدية أوقيم أخلاقية أوضوابط سلوكية أوأحداث تاريخية أوإشارات علمية إلى شيء من أشياء هذا الكون الفسيح، وما فيه من ظواهر وسنن وكائنات. فكل تشريع وكل قصة وكل واقعة تاريخية وكل وسيلة تربوية وكل نبوءة مستقبلية، وكل إشارة تنظيمية وكل خطاب إلى



النفس الإنسانية؛ جاء في القرآن الكريم يفيض بجلال الربوبية، ويتميز عن كل صياغة إنسانية مما يشهد للقرآن الكريم بالتفرد كما يشهد بعجز الإنسان عن أن يأتي بشيء من مثله).

ومنهج التعامل مع الأحداث التي تمر على الأمة،لا يجب أن يكون إلا باستنباط الأحكام من هذا الدستور العظيم بفهمه وما يتناسب مع العصر الذي نعيش فيه بغض النظر عن فهم السابقين من العلماء والمفسرين، فانكشاف أسرار القرآن وتنزلها على الواقع مستمر إلى يوم القيامة؛ فتنكشف في عصرنا أسرار لم تنكشف في العصور السابقة وستنكشف في المستقبل أسرار لم تنكشف في عصرنا وهكذا.

يصف سيد قطب المنهج في فهم القرآن: (ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم، ألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً لا مقررات عقلية، ولا مفردات شعورية – من رواسب الثقافات التي لم نشتقها من القرآن ذاته – نحاكم إليها نصوصه، أونستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة، لقد جاء النص القرآني ـ ابتداء ـ لينشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر، وأن تقوم عليها حياتهم. وأقلّ ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير وهذه الرعاية من الله ذي الجلال ــ وهو الغني عن العالمين ــ أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش دخيل، ليقوم تصورهم الجديد نظيفاً من كل رواسب الجاهليات ــ قديمها وحديثها على السواء ــ مستمداً من تعاليم الله وحده لا من ظنون البشر، التي لا تغني من الحق شيئاً.

ليست هناك إذاً مقررات سابقة نحاكم إليها كتاب الله تعالى. إنما نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداءً، ونقيم على هذه المقررات تصوراتنا ومقرراتنا، وهذا ــ وحده ــ هوالمنهج الصحيح تجاه القرآن الكريم، وفي استلهامه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته.)

يؤكد هذا الفهم الشيخ محمد عبده حيث قال: (إن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنة نبيه الذي يبين لنا ما أنزل إلينا).



وأردنا في هذا المبحث أن نبين أمرين:

الأول: أن القرآن جاء ليكون دستوراً للأمة في كل عصورها.

والثاني: تقرير القدسية للقرآن نفسه وليس لاجتهدات العلماء الأجلاء، فهم على جلال قدرهم من البشر الذي يصيب ويخطأ ثم إن العلم والتاريخ في حركة مستمرة، ولا يمكن لبشر غير مؤيد بالوحي مهما أوتي من العلم الإحاطة بهما، ولذلك باب الاجتهاد واستنباط الأحكام المنضبطةِ من هذا الدستور العظيم وسنة الحبيب صلى الله عليه وسلم مفتوح على مر العصور.

دستورنا عملي

واليوم نجد كثيراً من أصحاب النوايا الحسنة أوالسيئة لا يريدون لهذا الدستور أن يأخذ مكانه الصحيح في الواقع العملي لحياة هذه الأمة.

يصف الإمام البنَّا طبيعة هذا الدستور: (وقد خالف النظام القرآني غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية، فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات في النفوس، ولا أراء في الكتب، ولا كلمات على الأفواه والشفاه، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية، وألزم الأمة التي تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال، وجعلها فرائض عليها لا تقبل في تضييعها هوادة، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامي وتطيح به إلى مكان سحيق)

ويقول سيد رحمه الله: «ولن تنكشف أسرار هذا القرآن قط للقاعدين الذين يعالجون نصوصه في ضوء مدلولاتها اللغوية والبيانية فحسب، وهم قاعدون».

ويقول أيضا: «وبدون هذه الحركة لم يعد الناس يدركون من أسرار هذا القرآن شيئًا، فهذا القرآن لا يدرك أسراره قاعد، ولا يعلم مدلولاته إلا إنسان يؤمن به ويتحرك به في وجه الجاهلية لتحقيق مدلولاته ووجهته. . . . . وإني لأهيب بقراء هذه الظلال ألا تكون هي هدفهم من الكتاب، إنما يقرؤونها ليَدْنوا من القرآن ذاته، ثم ليتناولوه عند ذلك في حقيقته، ويطرحوا عنهم هذه الظلال. وهم لن يتناولوه في حقيقته إلا إذا وقفوا حياتهم كلها على تحقيق مدلولاته وعلى خوض المعركة مع الجاهلية باسمه وتحت رايته»

ومن أقواله أيضا: «. . . هوكتاب هذه الدعوة، هوروحها وباعثها، وهوقوامها وكيانها، وهوحارسها وراعيها، وهو بيانها وترجمانها، وهودستورها ومنهجها، وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة ــ كما يستمد منه الدعاة ــ وسائل العمل، ومناهج الحركة، وزاد الطريق، ولكن ستظل هنالك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن ما لم نتمثل في حِسِّنا ونستحضر في تصوُّرنا أن هذا



القرآن خوطبت به أمة حية ذات وجود حقيقي، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة، ووجهت به حياة إنسانية حقيقية في هذه الأرض، وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض، كذلك معركة تموج بالتطورات والانفعالات والاستجابات وسيظل هنالك حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن طالما نحن نتلوه أونسمعه كأنه مجرد تراتيل تعبدية لا علاقة لها بواقعيات الحياة البشرية اليومية التي تواجه هذا الخلق المسمى بالإنسان، والتي تواجه هذه الأمة المسماة بالمسلمين بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوساً ووقائع وأحداثاً حية ذات كينونة واقعية حيَّة؛ ووجهت بالفعل تلك النفوس والوقائع والأحداث توجيهاً واقعياً حياً نشأ عنه وجود ذو خصائص في حياة الإنسان بصفة عامة وفي حياة الأمة المسلمة بوجه خاص، ومعجزة القرآن البارزة تكمن في أنه نزل لمواجهة واقع معين في حياة أمة معينة في فترة من فترات التاريخ محددة، وخاض بهذه الأمة معركة كبرى حولت تاريخها وتاريخ البشرية كله معها ولكنه مع هذا يعايش ويواجه ويملك أن يوجه الحياة الحاضرة وكأنما هو يتنزل اللحظة لمواجهة الجماعة المسلمة في شؤونها الجارية وفي صراعها الراهن مع الجاهلية من حولها وفي معركتها كذلك في داخل النفس وفي عالم الضمير بنفس الحيوية ونفس الواقعية التي كانت له هناك يوم ذاك.

يقول الدكتور الخالدي ملخصاً ومبيّناً معنى المنهج الحركي في تفسير سيد قطب: «ونستطيع أن نلخص في كلمات نظريته في التفسير: القرآن هوكتاب هذه الدعوة، والواقعية الحركية من أهم سماته، ولا بدّ من إدخاله المعركة مع الجاهلية، ولا بدّ من الحياة في جوّه، والحركة العملية به، وتلقي نصوصه للتنفيذ، والإقبال عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل والتربية، ولا بدّ من استصحاب المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله أوّل مرة، ولا بدّ من الحركة به، لأنّه لا يدرك أسراره قاعد، ولأنه لا يفتح كنوزه إلاّ لمن يتحرك به فعلاً.

وفي كتيبه (القرآن دستورنا) قال المجاهد عبد الستار فتح الله سعيد: (فالقرآن إذن لم ينزل لينبذ وراء الظهور، أو ليعزل من الحياة ليقرأ على الأموات، أويعلق تمائم للأطفال وغيرهم،



فيستحيل بذلك نصوصاً ميتة، وألفاظاً جامدة.

وإنما تنزَّل بين الزحوف، والحتوف، وحين البأساء والضراء ليكون منهاج الدعوة، ودستور الأمة، وواجب الدولة لنحيي به موات الأمم، ولنبعث به دافق الهمم كما يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ (الشورى: ٥٢) . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ﴾ (الأنفال: ٢٤).

ومن المؤلم أن نجد أفواجاً ضخمة من المسلمين - والمثقفين خاصة - يجهلون هذا، ويعارضون في صحته، ويعتقدون أن القرآن كتاب وعظ ونصائح، وليس له دخل في حياة الناس في الحكم والسياسة وسائر المعاملات، والغريب أن بعضهم يعتزُّ بدينه - على وفق فهمه القاصر له -، ويؤمن بربِّه وكتابه - على وفق ما يرى -، ولكنها الفجوة الهائلة والغزو الفكري الرهيب على العقول ويوجه حياتنا حتى بعد رحيل المستعمرين المخربين).

وما نريد تقريره هنا أن لهذا الدستور العظيم أسرار يهبها الله لهؤلاء العاملين المخلصين لنشر دينه عبر العصور فيشيدون منها منارات تنير للأمة معالم طريقها نحو السيادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

الوحدة الموضوعية في القرآن

في تمهيدٍ مهم يبسط الطريق لإيضاح ما نريد إيضاحه، ينبغي أن نعرض لما يسمى بـ «الوحدة الموضوعية»، وحتى يتم فهم هذا الدستور العظيم فهماً واضحاً فلا بد من اطلاعةٍ واضحةٍ على أهداف السُّوَر، ولماذا نزلت؟ وما هي الرسالة التي توجّهها لنا هذه السور بمجملها العام؟

ولا يتأتى هذا إلا بفهم سور القرآن من خلال الوحدة الموضوعية أو ما يسمّى عند أهل الفن: علم المناسبات مع ملاحظة أن بعض العلماء فرق بين العلمين.

تعريف الوحدة الموضوعية : وحدة موضوع السور وترابط آياتها واشتراكها في خدمة وتجلية ذات الموضوع، وكذا اشتراك جميع السور في موضوع ومنهج وغاية واحدة من أوّل القرآن إلى آخره.

والمقصود بها أيضاً: دراسة السورة في إطارها العام، والكشف عن خط سير السورة من مبدئها إلى غايتها، وهدفها لإبراز وتجلية وحدة نظامها المعنوي في جملتها وبيان أن جميع القضايا والأغراض التي احتوتها السورة، تهدف إلى غرض واحد تسعى جميع آياتها إلى بيانه وإتمامه.

وهذه الوحدة الجامعة لأغراض السورة القرآنية وآياتها هي الروح القوية التي تسيطر على قارئ السورة والمستمع لها، مع التدبر والإمعان، فيكون بمثابة وحدة جامعة للآيات رابطة بين المعاني والتعبيرات، فالسورة مهما تعددت موضوعاتها وتنوعت أغراضها تجدها متلاقية مترابطة ملتئمة ملتحمة بفضل ذلك الروح القرآني الآسر بروعته، الناصع بقوته، الذي يسيطر على الأسلوب سيطرة تكون من المعاني مكان السلك من الدرر، يجمع نظامها ويضم لآلئها، فتبدو ساطعة فاتنة متناسقة على النحو الوضيء.

تاريخ هذا العلم:

جمهور الدارسين لهذا العلم يرون أنّ أوّل من أظهره الإمام أبو بكر النيسابوري. ثم لم يزل كذلك شذراتٍ ونكتاً، وفوائد متفرقة في كتب التفسير وعلوم القرآن؛ تكثر عند هذا وتقلّ عند ذاك؛ إلى أن جاء الأستاذ أبو جعفر بن الزبير الغرناطي شيخ أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٨ هـ فألف كتابه «البرهان في تناسب سور القرآن» ثم جاء بعده برهان الدين البقاعي الذي نضج على يديه هذا العلم لأنّه أوّل من جعل له حدوداً وتعريفات، وبيّن أقسامه وأبوابه وفصّل فيه القول أحسن تفصيل، وذلك في كتابيه «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» المشهور بتفسير البقاعي، ومختصره «دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم»، ثم توالى التأليف في هذا العلم فللسيوطي في الباب كتب ثلاث؛ «أسرار التنزيل»، «تناسق الدرر في تناسب السور»، «مراصد المطالع في تناسب المقاصد والمطالع»، ولأبي الفضل عبد محمد الصديق الغماري كتاب «جواهر البيان في تناسب سور القرآن»، وللمولوي أشرف علي التهانوي «سبق الغايات في نسق الآيات» وللمعلم عبد الحميد الفراهي «دلائل النظام».

- أبوالحسن علي بن أحمد بن الحسن البخيبي اليمني الحرّالي نزيل حماة من بلاد الشام في تفسيره الذي يقول فيه البقاعي: ". . . . فرأيته عديم النظير، وقد ذكر فيه المناسبات، وقد ذكرت ما أعجبني منها وعزوته إليه».
- ابن النقيب الحنفي في تفسيره وهو في نحو ستين مجلداً يذكر فيه المناسبات بين الآيات وبين السور.
- الزمخشري في الكشاف فقد جعل للمناسبة حظاً من تفسيره.
- الفخر الرازي في مفاتيح الغيب فقد اعتنى فيه بالمناسبات من جملة ما اعتنى به من العلوم.
- أبوحيان الأندلسي تلميذ أبي جعفر بن الزبير في تفسيره البحر المحيط.



- أبوالسعود محمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي في إرشاد العقل السليم.
- المخدوم المهيامي الهندي في "تبصير الرحمن وتيسير المنان".
- أحمد مصطفى المراغي في تفسيره.
- محمد رشيد رضا في تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار.
- وأخيراً في ظلال القرآن لسيد قطب.

وقد قال سيد قطب رحمه الله: (إنّ كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين متفرد، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة، إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق هذه الغاية، إنّ الشأن في سور القرآن ـــ من هذه الوجهة ـــ كالشأن في نماذج البشر التي جعلها الله متميزة: كلهم إنسان، وكلهم له خصائص الإنسانية، وكلهم له التكوين العضوي والوظيفي الإنساني، ولكنهم بعد ذلك نماذج منوعة أشدّ التنوع، نماذج فيها الأشباه القريبة الملامح، وفيها الأغيار التي لا تجمعها إلاّ الخصائص الإنسانية العامة. هكذا عدت أتصور سور القرآن، وهكذا عدت أحسّها، وهكذا عدت أتعامل معها، بعد طول الصحبة، وطول الألفة، وطول التعامل مع كل منها، وفق طباعه واتجاهاته، وملامحه وسماته).

ويعدد الباحثون مجموعة من المعالم المنهجية والخطوات الإجرائية التي ينبغي للمفسر أن يتبعها لكي يوفق في التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، ولعل أبرز هذه المعالم ما يلي:

١. ذكر اسم السورة التوقيفي أوالتوفيقي وبيان حكمة التسمية وعلاقته بالموضوع وإن كان للسورة عدة أسماء ناقشها جميعاً.

٢. الحديث عن البعد الزمني والمكاني لنزول السورة.

٣. الملابسات والظروف التي نزلت فيها السورة؛ (المرحلة المكية بمختلف فتراتها الأولى،

والوسطى، والأخيرة. المرحلة المدنية بمختلف فتراتها كذلك).

٤. التعرف على موضوع السورة الرئيسي والمحاور الفرعية المصاحبة له.

٥. تحديد أهداف السورة ومقاصدها الرئيسية.

٦. تقسيم السور ــ خاصة الطويلة منها ــ إلى مقاطع وأقسام مع بيان ما يمثل مقدمة السورة من هذه المقاطع وما يمثل وسطها ولبّها وما يمثل خاتمتها.

٧. إن لم يتيسر تقسيم السورة إلى مقاطع لقصرها أولسبب آخر فعلى المفسر أن يبيّن العلاقة والصلة بين جميع وحدات السورة المفَسَرة وموضوعها الرئيسي.

٨. ربط السورة بما بعدها وقبلها من السور باعتبار ترتيب المصحف الشريف.

٩. محاولة ربط التفسير الموضوعي للسورة بالواقع المعاش ومعالجة مشكلات العصر.

١٠. الاطلاع على مختلف التفاسير (بالرواية والدراية والإشارة) للتوثيق أوللاستفادة من التفسير التحليلي أوالجزئي والمَوْضِعي.

إن كل هذه المعالم للوحدة الموضوعية سنبني عليها ما نريد أن نطرحه من فصول قادمة أن شاء الله.

دستورنا يعالج طبيعة الصراع على هذه الأرض

من يريد أن يخوض معركة تحرير فلسطين فعليه أن يفهم طبيعة الصراع على هذه الأرض فصراعاتنا اليوم ما هي ألا امتداد للصراع الأول على هذه الأرض.

يقول الشيخ صالح المغامسي في تفسيره لفاتحة الكتاب:

(جرت سنن العُلماء أنهم يبدؤون بشرح الاستعاذة؛ فالاستعاذة المعنى الحرفي لها: أستجيرُ بالله وألوذ من الشيطان الرجيم في أمر ديني ودنياي. هذا المعنى الحرفي. ينجمُ عن الاستعاذة ثلاثةٌ مقاصد: **الأول منها:** اعترافُ العبد بضعفهِ لأنهُ لا يلجأ ولا يستجير إلا الضعيف،واعترافُ العبد بضعفهِ مقصودٌ شرعي.

الأمر الثاني: في قضية الاستعاذة فيها اعترافٌ من العبد بعظمةً ربهِ وجلالهِ وأنهُ لا يُجيرُ إلا هو، وهذا من أعظم مقاصد الشرع.

والأمرُ الثالث: اعترافُ العبدِ بأن الشيطان عدو له وهذا أمرٌ قصده الله في كتابهِ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُو فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً)).

أذن عدو الإنسان الأول هو الشيطان.

ولكن ما سبب هذه العداوة وهذا الصراع؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (البقرة: ٣٠ – ٣٩)

سورة البقرة وموضوعها الأبرز الاستخلاف كما يقول سيد قطب رحمه الله: (موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها؛ وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم – عليه السلام – صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم).

ونكمل فهم الصراع الأول من تفسير الظلال لهذه الآيات.

(والآن؛ لقد انكشف ميدان المعركة الخالدة، المعركة بين خليفة الشر في إبليس، وخليفة الله في الأرض. المعركة الخالدة في ضمير الإنسان. المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ويبعد عن ربه).

(وانتقلت المعركة الخالدة إلى ميدانها الأصيل، وانطلقت من عقالها، ما تهدأ لحظة وما تفتر. وعرف الإنسان في فجر البشرية كيف ينتصر إذا شاء الانتصار، وكيف ينكسر إذا اختار لنفسه الخسار).

(إن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد الغفلة؛ والندم وطلب المغفرة. . إنها هي هي تجربة البشرية المتجددة المكرورة.



لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزوداً بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً، استعداداً للمعركة الدائبة وموعظةً وتحذيراً).

(فهذه هي القيم التي يقوم عليها عهد استخلافه: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. .). وهذه القيم أعلى وأكرم من جميع القيم المادية – هذا مع أنّ من مفهوم الخلافة تحقيق هذه القيم المادية، ولكن بحيث لا تصبح هي الأصل ولا تطغى على تلك القيم العليا – ولهذا وزنه في توجيه القلب البشري إلى الطهارة والارتفاع والنظافة في حياته. بخلاف ما توحيه المذاهب المادية من استهزاء بكل القيم الروحية، وإهدار لكل القيم الأدبية، في سبيل الاهتمام المجرد بالإنتاج والسلع ومطالب البطون كالحيوان).

(وفي أحداث المعركة التي تصورها القصة بين الإنسان والشيطان مذكر دائم بطبيعة المعركة. إنها بين عهد الله وغواية الشيطان، بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال. والإنسان هو نفسه ميدان المعركة. وهو نفسه الكاسب أوالخاسر فيها، وفي هذا إيحاء دائم له باليقظة، وتوجيه دائم له بأنه جندي في ميدان، وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان).

رحمك الله يا سيد؛ نعم إنها معركة بين عهد الله وغواية الشيطان بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، والإنسان هونفسه ميدان المعركة ، واليوم لن يكون لنا انتصار في معركة تحرير فلسطين إلا بعد انتصارنا في هذه المعركة الأزلية.

الصراع بعد مجيء الإسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٤٧)

لقد أوكل الله تعالى خلافة الأرض في ذلك الزمن لبني إسرائيل وبعث عليهم الأنبياء وفضلهم على عالمي زمانهم، فما الذي كان منهم؟: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠ ﴾ (المائدة: ٦٠)

لقد دخلوا في حلف الشيطان.

وانتقلت رسالة عيسى عليه السلام من نسل إسرائيل إلى نسل الروم فتنصروا ولكن لم يصونوا الأمانة وكانوا كالسابقين. قال تعالى:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١ ﴾ (النساء: ٥١)

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد في شرح هذه الآية: (الاستفهام هنا: استفهام تعجيب وإنكار على هؤلاء الذين ﴿أُوتُوا﴾ أعطوا ﴿نَصِيباً﴾ أي: حظّاً ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ والكتاب هنا: يشمل التوراة ويشمل الإنجيل، فإن هٰذا هو الذي وقع من اليهود والنصارى حيث آمنوا بالجبت والطاغوت).

ثم كلف الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم من نسل إسماعيل حمل رسالته إلى العالمين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨)

فامتلك الحسد والغيرة نفوس هؤلاء القوم وأشعلوا صراعاً مستمراً إلى يوم القيامة، صراعاً بين حزب الله وحزب الشيطان بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال.

قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ

ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾

(البقرة: ١٢٠)

وقد حذرنا الله من أن نقع فيما وقعت فيه هاتان الأمتان، وجعل ذلك التحذير قرآناً نتعبد به في صلاتنا سبع عشرة مرة في اليوم على الأقل ليكون سلاحاً لنا في هذا الصراع ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ (الفاتحة: ٦ -٧).

يقول الشيخ المغامسي في تفسير هاتين الآيتين: (إما فِرَقٌ غلب عليها الاستهانة بالدين ونبذتهُ عن عمد، وإما فِرَقٌ غلب عليها الهوى والجهل والضلالة وعدمُ الإصغاء لتعاليم الله. فلا يُمكنُ أن تخرُج فرقةٌ من فرق الكُفر قديماً أوحديثاً عن هذين الطريقين؛ إما رجُل مُعرض مُستهين يُبدل من عنده عمداً، وإما شخصٌ ضال يركبُ هواه ولا يلتفتُ جهلاً لما يُقال له وأخصُ تلك الفرق الأولى اليهود ويجتمعُ في اليهود الغضب والضلالة؛ غضبُ الله عليهم وضلالتهُم ويجتمعُ في النصارى غضبُ الله عليهم وضلالتهم لكن الغضب في اليهود أخص، والضلالةُ في النصارى أخص وكلاهما على باطل).

والرسول صلى الله عليه السلام يحذرنا من اتباع هؤلاء فعن أبي سعيد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». أخرجه الشيخان.

إن الصراع على سيادة الأرض ومنذ مجيء الإسلام محصور بين هذه الأمم الثلاث ويقرر التاريخ هذه الحقيقة، فمنذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ولغاية الآن لم تشذ هذه القاعدة إلا فترة محدودة من الزمن لم تتجاوز بضع سنين، وكان ذلك مرتين بانتصار فارس على الروم وانتصار التتار على المسلمين.



هل ذكر دستور الأمة تفاصيل هذا الصراع على خلافة الأرض بين المسلمين وهاتين الأمتين من البعثة إلى يوم القيامة رغم أنها أحداث غيبية؟

بالطبع فهو الدستور الجامع.

ولكن في أي السور كان ذلك وكيف جاء هذا الذكر؟

هذا محلّ بحثنا في الصفحات القادمة، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

دستورنا يعالج الصراع مع الروم وبني إسرائيل

سنبدأ بنبذة سريعة عن الصراع مع الروم تاركين التفاصيل لمبحث لاحق بعنوان بشائر النصر من سورة الروم – إن شاء الله –.

كما ذكرنا سابقاً أن الباحثين وضعوا مجموعة من المعالم المنهجية والخطوات الإجرائية التي ينبغي للمفسر أن يتبعها لكي يوفق في التفسير الموضوعي وما يهمنا في هذه العجالة من الحديث عن صراعنا مع الروم، هو أول هذه المعالم وهو:

ذكر اسم السورة التوقيفي أوالتوفيقي وبيان حكمة التسمية وعلاقته بالموضوع وإن كان للسورة عدة أسماء.

انطلاقاً من هذا المعلم فإن من الواضح أن السورة التي ذكرت الصراع مع الروم هي (**سورة الروم**)، وسورة الروم لم يرد لها تسمية أخرى.

ولكن كيف تعالج سورة الروم الصراع بين الروم والمسلين؟

ذلك ما ذكره العالم (ابن برجان) المتوفى سنة ٥٣٦ هـ.

عندما فسر مطلع سورة الروم معتمداً على المكان: أدنى الأرض (بلاد الشام)، والزمان: بضع سنين، على أنها بشارة من الله لفتح بيت المقدس في سنة ١٥ هـ زمن عمر بن الخطاب وبناء عليه استطاع ابن برجان – في تفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظام" – بتوقع موعد تحرير بيت المقدس بتاريخ ٥٨٣ هـ، شهر رجب الذي احتل عام ٤٨٩ هـ وهذا ما حصل.

ولقد بنينا على تفسير ابن برجان وعلى طبيعة سورة الروم التي جاء فيها ١٧ دورة ومنها:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ ﴾ (الروم: ١-٤)

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١ ﴾ (الروم: ١١)

٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١٩ ﴾ (الروم: ١٩)

٤. ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٢٤ ﴾ (الروم: ٢٤).

فاستخرجنا موعد عودة الروم واحتلالهم أدنى الأرض في تاريخنا المعاصر و توقعنا متى ستكون نهاية نفوذهم فيها وسنذكر تواريخ تلك الأحداث والمنهج الذي نهجهناه في الوصول لتوقعاتنا في مبحث بشائر النصر من سورة الروم من الفصل الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله كما سنبين فيه كيف استطاع ابن برجان من فهمه لمطلع سورة الروم أن يصل لتوقعاته.

وقد إستفدنا في توقعاتنا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "فارس نطحة أونطحتان ثم يفتحها الله، ولكن الروم ذات القرون كلما هلك قرن قام قرن آخر". (رواه الواحدي - الوسيط-٣/ ١٨٣/ ١ وابن شيبة في المصنف وهو مرسل)

هذه عجالة سريعة أو مقدمة عن سورة الروم جئنا بها هنا بهذا الترتيب لندلل على أن ما سنسلكه من منهج في الفصول القادمة إن شاء الله من هذا الكتاب ليس مبتدعاً إنما سبقنا إليه بعض العلماء، وابن برجان أحدهم، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعترض على هذا المنهج بل أقر أبوبكر الصديق عليه عندما نزلت هذه

السورة والقصة هي:

أخرج الترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي: أنّ فارساً غَزَوا الروم، فوافَوْهم بأذْرِعات وبُصرى من أرض الشام، فغلبوا عليهم، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو بمكة، فشق ذلك عليهم؛ من قِبَل أن الفرس مجوس، والروم أهل كتاب، وفرح المشركون بمكة وشَمِتوا، ولَقُوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون، وقالوا: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على أخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرَنَّ عليكم، فأنزل الله هؤلاء الآيات.

فخرج أبو بكر إلى المشركين، فقال: أفرِحْتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، ولا يُقَرَّنَّ اللهُ أعينكم، فوالله لتَظْهَرَنَّ الروم على فارس، كما أخبرَنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، فقام إليه أبيّ بن خلَف، فقال: كذبت، فقال: أنت أكذب يا عدو الله، اجعل بيننا أجلاً أناحِبك عليه على عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرِمتَ، وإن ظهرت فارس غرمتُ إلى ثلاث سنين، فناحبه، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال صلى الله عليه وسلم: «زايده في الخَطَر ومادّه في الأجل» فخرج أبو بكر، فلقي أُبياً، فقال: لعلك ندمت، فقال: لا، تعال أزايدك في الخطر، وأمادّك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، فلما أراد أبو بكر الهجرة، طلب منه أُبَي كفيلاً بالخطر إن غُلِب، فكفل به ابنه عبد الرحمن، فلما أراد أُبيّ الخروج إلى أحُد، طلبه عبد الرحمن بالكفيل، فأعطاه كفيلاً، ومات أُبيّ من جرح جرحه إياه النبي صلى الله عليه وسلم في الموقعة، وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة، فأخذ أبوبكر الخطر من ورثة أبيّ، وجاء به إلى النبي

صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تصدّقْ به». وقد كان هذا قبل تحريم القمار، لأن السورة مكية، وتحريم الخمر والميسر بالمدينة.

تؤصل هذه الحادثة وأقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعل أبو بكر رضي الله عنه بل وتشجيعه له لمنهج توقع أحداث مستقبلية مبني على فهم منضبط لآيات بعينها من القرآن فإن اثبتت الأيام خطأ هذه التوقعات فذلك لن يضير إلا هذا الفهم وصاحبه .

أما عن صراعنا مع بني إسرائيل فسيكون موضوع البحث في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.



الفصل الثاني

مطلع سورة الإسراء بين تفسير المفسرين القدامى والمعاصرين



أسماء سورة الإسراء

يذكر أهل العلم لهذه السورة ثلاثة أسماء: هي: سورة الإسراء، وسورة بني إسرائيل، وسورة سبحان.

ووردت تسمية (بني إسرائيل) في حديثين صحيحين موقوفين من كلام الصحابة رضوان الله عليهم.

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعود رضي الله عنه قال: "فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطه وَالْأَنْبِيَاءِ: (هُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي)" رواه البخاري .

الحديث الثاني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لا يَنَامُ حَتَّى يَقرَأَ بَنِي إِسرَائِيلَ وَالزُّمَر) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وصححه الألباني.

بل قال أهل العلم: إن تسمية السورة بسورة «بني إسرائيل» كانت هي الأشهر في عهد الصحابة والتابعين، وذلك لأن سورة الإسراء افتتحت في أول آية منها بالحديث عن الإسراء إلى المسجد الأقصى، ثم في الآية الثانية مباشرة شرعت في ذكر مرحلة مهمة من مراحل قصة بني إسرائيل والإخبار عن إفسادهم في الأرض مما لم يذكر في سواها من قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الإسراء: ١ - ٤)

قال صاحب التحرير والتنوير في بداية تفسيره لسورة الإسراء: سميت هذه السورة في كثير من المصاحف بسورة الإسراء، وتسمى في عهد الصحابة بسورة بني إسرائيل كما في سنن الترمذي وصحيح البخاري، وتسمى أيضاً: سورة سبحان، قاله في بصائر ذوي التمييز.

وما يهمنا في كتابنا هذا هو اسم بني إسرائيل.

فمن هم بنو إسرائيل وما هي سيرتهم؟



مختصر سيرة بني إسرائيل

بداية نقول: ليس كل ما هو مكتوب عن تاريخ بني إسرائيل صحيح، فمعظم هذا التاريخ مأخوذ من التوراة والإنجيل، وحتى كتب التاريخ الكبرى لعلماء المسلمين (كالبداية والنهاية لابن كثير) وغيرها من مراجع كبرى في التاريخ؛ اعتمدت كثيراً عليهما، ومعلوم مدى التحريف والعبث الذي حصل فيهما، ولكن انطلاقاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عن جابر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم الأعاجيب) (رواه وكيع في كتاب الزهد ورجاله ثقات)، ومن أحكام الضرورة لهذا البحث حاولنا أن نسدد ونقارب وعلى الله التوكل.

مدخل:

وجدنا أنه من الأفضل للقارئ ونحن نستعرض سيرة بني إسرائيل أن نشير إلى الأحداث التي عدها المفسرون القدامى المقصودة بالإفسادين، أو على الأقوام الذين غزوا بني إسرائيل وصنفهم المفسرون القدامى المبعوثين أولاً وثانياً، إشارة سريعة تمهيداً لتفصيل أكبر في المبحث القادم تحت عنوان مطلع سورة الإسراء عند المفسرين القدامى.

كما ارتأينا قبل الدخول في تاريخ بني إسرائيل أنه من الواجب الحديث عن العلاقة بين بني إسرائيل والعرب من بني إسماعيل عليه السلام والروم من ناحية تاريخية حتى نفهم جذور هذا الصراع فكان لا بد من هذه المقدمة.

مقدمة عن تاريخ بني إسرائيل:

يعَدُّ الخليل إبراهيم عليه السلام الأب المشترك للعرب، واليهود، والنصارى. والخليل هو إبراهيم بن تارِخ بن ناحور بن ساروغ بن راغوبن فالغ بن عابر ابن شالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام. اختلف في مكان ولادة الخليل عليه السلام.

قال ابن كثير: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (ولد إبراهيم بغُوطة دمشق، في قرية يقال لها: برزة، في جبل يقال له: قاسيون). ثم قال: والصحيح أنه ولد ببابل.

وتذكر كتب التاريخ أن إبراهيم عليه السلام تزوج سارة، وكانت عاقراً لا تلد. انتقل إبراهيم وامرأته سارة وابن عمه لوط بن هاران من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين، أي: من العراق إلى بيت المقدس في فلسطين.

وصل إبراهيم عليه السلام إلى بيت المقدس، ومكث فيها عشر سنين وهناك قالت له سارة: (إن الرب حرمني الولد؛ فادخل على أَمَتي هذه – تعني هاجر – لعل الله يرزقنا منها ولداً).

فلما وهبتها له دخل بها إبراهيمُ عليه السلام فحملت ووضعت إسماعيل عليه السلام، وكان للخليل حينئذ ست وثمانون سنة.

ثم أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة، فخرَّ له ساجداً؛ فولد له إسحاق بعد إسماعيل بثلاث عشرة سنة، فحمد الله إبراهيم كما قال عز وجل عنه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٩).

ثم انتقل بعد ذلك إبراهيم من أرض كنعان بابنه إسماعيل إلى واد غير ذي زرع عند موقع البيت فيما عرف باسم مكة.

وكان ذلك بسبب أمر الله عز وجل.

ويقال: إن إسماعيل كان إذ ذاك رضيعاً؛ فلما تركه وأُمَّه هناك، وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر، وتعلقت بثيابه، وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها،

فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها، قالت: ءآلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: فإذاً لا يضيعنا. أما بداية نسل إسماعيل عليه السلام وعلاقته بالعرب فهو أبو العرب المستعربة كما تقول كتب التاريخ ويُبينه هذا الجزء من الحديث الشريف.

جاء في (صحيح البخاري) عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: ((وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول؛ فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرْهم – أو أهل بيت من جرهم – مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا، فأخبروهم بالماء، فأقبلوا.

قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي: فألفى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس.

فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشبَّ الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنْفَسهم وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدرك زوَّجوه امرأة منهم).

وبعد أن بلغ إبراهيم عليه السلام مائة سنة رزقه الله تعالى بإسحاق، وكان عمر سارة آنذاك تسعين سنة.

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ (الصافات: ١١٢ – ١١٣).

قال ابن كثير: وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت ثبوائيل في حياة أبيه كان عمره أربعين، وأنها كانت عاقراً، فدعا الله فحملت، فولدت غلامين توأمين: أولهما سمَّوه عيصو، وهوالذي تسميه العرب العيص، وهووالد الروم. والثاني خرج وهوآخذ بعقب أخيه؛ فسمَّوه يعقوب.

إذن؛ وحسب رواية ابن كثير الأخيرة عن أهل الكتاب نجد أن إسماعيل عليه السلام أبو

العرب المستعربة وإسحاق عليه السلام أبو كل من يعقوب عليه السلام والعيص أبو الروم هما أخان من أب واحد وهو إبراهيم عليه السلام ومن هنا بدأ الصراع.

مختصر عن سيرة بني إسرائيل من يعقوب عليه السلام لغاية دخولهم الأرض المقدسة:

إسرائيل لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: (عبد الله) وإسرائيل اسم مركب من كلمتين: الأولى: إسرا بمعنى عبد، والثانية: إيل: اسم الله.

ويعقوب عليهم السلام. هوالذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، وكان يسكن في منطقة فلسطين، متنقلاً في مناطق عدة فيها، وكان توطنها هو وأبناؤه من بعد إبراهيم الخليل عليه السلام يعيشون فيها حياة البداوة، قال عز وجل فيما حكاه من كلام يوسف عليه السلام: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (يوسف: ١٠٠). قال ابن كثير: مِنَ الْبَدْو أي: من البادية، قال ابن جريج وغيره: (وكانوا أهل بادية وماشية).

بعد أن مكَّن الله ليوسف عليه السلام في أرض مصر وصار على خزائنها، أرسل إلى أبيه وأهله جميعاً أن يأتوا إليه، فأقبل يعقوب عليه السلام بأولاده وأهله جميعاً إلى مصر واستوطنوها، ويذكر أهل الكتاب في كتابهم أن عدد أنفس بني إسرائيل حين دخلوا مصر سبعون نفساً. وكانوا شعباً مؤمناً بين وثنيين، فاستقلوا بناحية من أرض مصر، فعاشوا عيشة طيبة زمن يوسف عليه السلام.

ثم بعد وفاة يوسف عليه السلام بزمن - الله أعلم بطوله - تغيَّر الحال على بني إسرائيل وانقلب عليهم الفراعنة طغياناً وعتوّاً واستضعافاً لبني إسرائيل، فاستعبدوهم وأذلوهم، وبلغ بهم الحال ما ذكر الله عز وجل في قوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ

طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (القصص: ٤ – ٦).

فكان الفراعنة يقتلون الذكور ويستحيون الإناث (يبقوهن أحياءً بقصد الخدمة والمتعة)، واستمرت هذه المحنة وهذا البلاء عليهم زمناً طويلاً، إلى أن بعث الله عز وجل موسى عليه السلام، فدعا فرعون إلى الإيمان بالله، وأن يترك دعوة الناس إلى عبادة نفسه، وأن يرفع العذاب عن بني إسرائيل، ويسمح لهم بالخروج من مصر، فأبى فرعون ذلك بغطرسة وكبر، واستمرَّ في تعذيب بني إسرائيل، كما قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٧).
فأخذ الله تعالى فرعون وقومه بالجدب وهلاك الزروع، وأرسل عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم، ولكنهم استكبروا وجحدوا، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام بعد ذلك بالخروج ببني إسرائيل.

خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل ليلاً بأمر الله عز وجل له ، قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الشعراء: ٥٢ – ٦٦). فأنجى الله عز وجل موسى ومن معه، وأهلك فرعون وجنوده.

ويذكر أهل الكتاب في كتابهم أنّ مدَّة مكثهم في مصر كانت أربعمائة وثلاثين عاماً.

حدث من بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر حوادث عدة، فمن هذه الحوادث: طلبهم من

موسى أن يجعل لهم صنماً إلهاً، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ (الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠). ولا شك أن هذا الطلب من بني إسرائيل مدعاة للعجب والاستنكار، فقد رأوا من الآيات ما فيه مقنعاً وكفاية لو كانوا يعقلون.

ومنها: عبادتهم للعجل: وذلك أن موسى عليه السلام لما ذهب لموعده مع ربِّه، أضلَّ السامري بني إسرائيل، وصنع لهم عجلاً مسبوكاً من الذهب الذي استعاره بنو إسرائيل من المصريين عند خروجهم من مصر، ودعاهم إلى عبادته، فعبدوه في غياب موسى عليه السلام، وقد حذَّرهم هارون عليه السلام ونهاهم عن ذلك. قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ (طه: ٩٠ - ٩١). ولما رجع موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أسفاً، أنَّبهم وأحرق العجل وذرّه في اليمِّ، ثم حكم عليهم بأن يقتل عبدة العجل أنفسهم؛ ليتوب الله عليهم.

ومنها: نكولهم عن قتال الجبابرة. دعا موسى عليه السلام قومه إلى قتال الجبابرة، وهم قوم من الحيثانيين والفزريين والكنعانيين، وكانوا يسكنون الأرض المقدسة، فأبى بنو إسرائيل القتال وجبنوا عنه، واقترحوا على موسى عليه السلام ما ذكره الله عز وجل في قوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (المائدة: ٢٤)، فهناك دعا موسى عليه السلام ربَّه عزَّ وجلَّ بقوله: (قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ). (المائدة: ٢٥)، فحكم الله عليهم بالتيه بقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (المائدة: ٢٦)، فظلوا تائهين المدة التي قضى الله عليهم. ومات في هذه الفترة موسى عليه السلام، وكان هارون عليه السلام مات

قبله أيضاً. ويقول أهل الكتاب في كتابهم التوراة: إنه قد مات في زمن التيه كل من كان بالغاً وقت نكولهم، ولم يدخل الأرض المقدسة منهم سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وهما - فيما قيل - اللّذان قال الله عنهم: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المائدة: ٢٣).

مختصر عن سيرة بني إسرائيل من دخولهم الأرض المقدسة ولغاية بداية القرن العشرين:

بعد انقضاء المدة المحكوم على بني إسرائيل فيها بالتيه، فتح بنو إسرائيل الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون عليه السلام، ويذكر اليهود أنهم دخلوها من ناحية نهر الأردن.

ويقسّم المؤرخون تاريخهم في فلسطين إلى ثلاثة عهود:

أ - عهد القضاة: والمراد به أن يوشع بن نون عليه السلام لما فتح الأرض المقدسة، قسم الأرض المفتوحة على أسباط بني إسرائيل، فأعطى لكل سبط قسماً من الأرض، وجعل على كل سبط رئيساً من كبرائهم، وجعل على جميع الأسباط قاضياً واحداً يحتكمون إليه فيما شجر بينهم، وهو يمثل الرئيس لجميع الأسباط، واستمر هذا الحال ببني إسرائيل قرابة أربعمائة عام فيما يذكر اليهود، وكان بينهم وبين أعدائهم حروب دائمة يكون النصر فيها لبني إسرائيل مرَّة ولأعدائهم أُخرى، **هذه الهزائم كلها كانت نتيجة لإفسادهم.**

ب - عهد الملوك: (عهد علو بني إسرائيل الوحيد قبل مجيء الإسلام وكان تحت راية التوحيد):

وهوالعهد الذي بدأ فيه الحكم ملكيّاً، وقد قصَّ الله علينا خبر أول ملوكهم في قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾. (البقرة: ٢٤٦). فجعل الله عزَّ وجلَّ عليهم طالوت ملكاً، فقبلوه على كره منهم، ويسمونه في كتابهم شاؤول ثم يقول تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ



ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ (البقرة: ٢٥١). يقول الطبري في تفسيره: (**فقال بعضهم: كان الذي بعث الله عليهم** في المرة الأولى جالوت، **وهو من أهل الجزيرة، وفيما روي عن ابن عباس قوله: بعث الله عليهم جالوت فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون في سبيل الله فبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت فنصر الله بني إسرائيل، وقتل جالوت بيدي داود وأرجع الله إلى بني إسرائيل مُلكهم**). (قال ذلك مع العلم أن تاريخ بني إسرائيل لا يذكر أن قوم جالوت عادوا ودخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة)، وبعد هذا الملك ملك عليهم داود عليه السلام، ثم ابنه سليمان عليه السلام، وكان عهدهما أزهى العهود التي مرت على بني إسرائيل على الإطلاق، وذلك لما أوتيه هذان النبيَّان الكريمان من العدل والحكمة مع الطاعة والعبادة لله عزَّ وجلَّ.

ج - عهد الانقسام:

هوالعهد التالي لسليمان عليه السلام حيث تنازع الأمر بعده رحبعام بن سليمان عليه السلام ويربعام بن نباط، فاستقل رحبعام بسبط يهوذا وسبط بنيامين، وكوَّن دولة في جنوب فلسطين عاصمتها (بيت المقدس)، وسُميت دولة يهوذا نسبة إلى سبط حكامها، وهو سبط يهوذا الذي من نسله داود وسليمان عليهما السلام وملوك تلك الدولة.

نشَأَت هذه الدولة عندما استقلَّ يربعام بن نباط بالعشرة أسباط الأخرى، وكوَّن دولة في شمال فلسطين، سُميت دولة إسرائيل وجعل عاصمتها نابلس، وأهل هذه الدولة يسمون لدى اليهود بـ (السامريين)، نسبة إلى جبلٍ هناك يسمَّى (شامر) اشتراه أحد ملوكهم وهو (عمري) وسمَّاه نسبة إلى صاحبه السامرة، وسُميت منطقتهم (السامرة). ويلاحظ أن السامريين - وهم شعب دولة إسرائيل - غيَّروا قبلتهم من بيت المقدس إلى جبل يسمى (جرزيم) ويعتبرهم اليهود من شعب يهوذا ملاحدة وكفاراً؛ لتغييرهم القبلة. ثم إنَّ الدولتين كان بينهما عداء وقتال، وكان يحدث في بعض الفترات من تاريخهما توافق وتعاون، وكانت دولة إسرائيل كثيرة القلاقل والفتن،

وتغيَّرت الأسرة الحاكمة فيها مراراً عديدة. أما دولة يهوذا فاستقر الحكم في سبط يهوذا في ذرية سليمان بن داود عليهما السلام، وكانت تقع على الدولتين حروب من جيرانهم الأراميين، والفلسطينيين، والأدوميين والمؤابيين كما أن الدولتين وقع من حكامهما وشعبيهما عبادة للأصنام في كثير من الأوقات وخاصة دولة إسرائيل واليهود السامريين.

استمرت دولة إسرائيل مستقلة، لها سيادتها على أرضها قرابة (٢٤٤) عاماً حيث سقطت بعدها في يد الآشوريين زمن ملكهم سرجون عام (٧٢٢) ق. م تقريباً فسبي شعبها، وأسكنهم في العراق، وأتى بأقوام من خارج تلك المنطقة وأسكنهم إياها، فاعتنقوا فيما بعد ديانة بني إسرائيل وبذلك تمَّ القضاء على تلك الدولة.

أما دولة يهوذا فاستمرت قرابة (٣٦٢) عاماً ثم سقطت بأيدي فراعنة مصر عام (٦٠٣) ق. م تقريباً، وفرضوا عليها الجزية، وامتدَّ حكم الفراعنة في ذلك الوقت إلى الفرات (**وهذا الاحتلال لم يذكره المفسرون رغم أنه جاء بعد إفساد من بني إسرائيل التي تمتلئ سيرتهم به كما رأينا وسنرى، والذي لا يمكن حصرهم بإفسادين**).

ثم جاء بعد ذلك حاكم بابل الكلداني بختنصر (**الذي صنفه المفسرون القدامى بأنه هو المقصود بالبعث الأول ومنهم من قال أنه هو مقصود بالبعث الثاني، أما سبب البعث فمنهم من قال هو إفساد بني إسرائيل وقتلهم نبيهم أشعياء، ومنهم من قال قتلهم زكريا عليه السلام، وهذا لا يستقيم حيث بين بختنصر وزكريا عليه السلام أكثر من أربعمائة عام**)، واسترجع بختنصر منطقة الشام وفلسطين، وطرد الفراعنة منها، ثم زحف مرة أخرى على دولة يهوذا التي تمردت عليه، فدمَّرها ودمَّر معبد أورشليم وساق شعبها مسبيّاً إلى بابل، وهذا ما يسمَّى بالسبي البابلي، وكان في هذا نهاية تلك الدولة التي تسمَّى يهوذا وذلك في حدود عام (٥٨٦) ق. م.

ثم سقطت دولة بابل في يد الفرس في عهد ملكهم (قورش) سنة (٥٣٨) ق. م. الذي سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس، وبناء هيكلهم وعيَّن عليهم حاكماً منهم من قبله. ومن

الجدير بالذكر أن اليهود ذكروا في كتابهم أن (قورش) أرسل النداء في مملكته قائلاً: (جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا...). وهذا النص إذا صدق اليهود فيه يكون دليلاً على أن (قورش) كان مؤمناً بالله.

واستمرَّ حكم الفرس من (٣٣٢-٥٣٨) ق. م، ثم زحف على بلاد الشام وفلسطين الإسكندر المقدوني اليوناني واستولى عليها، وأزال حكم الفرس بل استولى على بلادهم وبلاد مصر والعراق، فدخلت هذه المناطق تحت حكمهم من نهاية القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، حيث زحف بعد ذلك على البلاد القائد الروماني (بومبي) سنة (٦٤) ق. م، وأزال حكم اليونانيين عنها، فدخل اليهود تحت حكم الرومان وسيطرتهم.

في زمن سيطرة الرومان على منطقة فلسطين بُعث يحيى وزكريا والمسيح عليهم السلام، وبعد رفعه وقع بلاء شديد على اليهود في فلسطين، حيث قاموا بثورات ضد الرومان، مما جعل القائد الروماني تيطس عام (٧٠) م يجتهد في استئصالهم والفتك بهم وسبي أعداد كبيرة منهم وتهجيرها، ودمَّر بيت المقدس ومعبد اليهود، وكان هذا التدمير الثاني للهيكل، وقد زاد في تدمير الهيكل الحاكم الروماني أدريان سنة (١٣٥) م، حيث أمر جنوده بتسوية الهيكل بالأرض، وبنى فيها معبداً لكبير آلهة الرومان الذي يسمونه (جوبتير) وهدم كل شيءٍ في المدينة، ولم يترك فيها يهوديّاً واحداً، ثم منع اليهود من دخول المدينة، وجعل عقوبة ذلك الإعدام، ثم سمح لليهود بالمجيء إلى بيت المقدس يوماً واحداً في السنة، والوقوف على جدار بقي قائماً من سور المعبد، وهو الجزء الغربي منه، وهو الذي يسمَّى (حائط المبكى). (وهؤلاء الرومان يصنفهم بعض المفسرين القدامى أنهم بعث الله الثاني فيقول البغوي في تفسيره: (فإذا جاء وعد الآخرة) وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم).

وبهذا تشتَّت اليهود في أنحاء الأرض، وانتقلت جماعة منهم للعيش في جزيرة العرب،



فكانت حصون بني القينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر وسلَّط الله عليهم أمة الإسلام يسومونهم سوء العذاب ببغيهم وفسادهم وسوء أخلاقهم. وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾. (الأعراف: ١٦٧). يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين يسومون اليهود سوء العذاب هم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته إلى يوم القيامة).

وكان من الجزاء الذي حكم الله به عليهم – مع هذا العذاب المستمرِّ إلى يوم القيامة – تقطيعهم في الأرض وتشتيتهم فيها جزاء كفرهم وفسادهم، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾. (الأعراف: ١٦٨-١٦٩).

فهذه الآيات الكريمة تشرح واقع يهود، بتمزيقهم في الأرض، وتمزيقهم أدعى إلى أن يقع بسببه البلاء الشديد عليهم جماعة جماعة، ولا يستطيع أن ينصر بعضهم بعضاً بسببه.

وقد خلف المسلمون الرومان النصارى في القرن الأول الهجري الذي يوافق القرن السابع الميلادي على الشام وفلسطين وجميع ما كان في يد الرومان في هذه المناطق.

وبقي اليهود في حالة تشتت وتفرُّق في جميع أنحاء الأرض، ولم يكن يسمح وقتها لليهود بالسكنى في بيت المقدس، بل كان من بنود المعاهدة بين نصارى بيت المقدس وعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن لا يسمح لليهود بالسكن في بيت المقدس.

فاستمرَّ اليهود في التشتت والتمزُّق في أنحاء الأرض، تضطهدهم الأمم وتكره جوارهم إلى أن جاء موعد إفسادهم الثاني في بداية القرن العشرين، وبقية القصة تعرفونها جيداً.

ربطنا في هذا المبحث سيرة بني إسرائيل ببعض ما قاله المفسرون القدامى، وسنفصل في الفصل التالي إن شاء الله أهم تفاسيرهم لمطلع سورة الإسراء.

آراء المفسرين القدامى في مطالع سورة الإسراء

ليس من غرضنا في هذا المقام أن نعرض لتفسير دقائق الآيات الأوائل من السورة :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء: ١)

إذ قد أفاض المفسرون في تفسير هذه الآية، وذكروا الكثير من الأحاديث والروايات التي تذكر حادثتي الإسراء والمعراج، وأخرى تتحدث عن فضل المساجد الثلاث (المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى)، حتى إذا انتهت السورة من ذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى، مؤسسة بذلك التعلق الأبدي بين المسجدين؛ انتقلت إلى ذكر بني إسرائيل، على نهج يخيل للرائي معه أنه انتقال مفاجئ :

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٤ – ٨).

اختلف المفسرون القدامى في تفسير هذه الآيات، وفي المبعوثين أولاً وثانياً، وفيما يأتي عرضٌ لبعض ما ذكروه :

من تفسير القرطبي:

«بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد، هم أهل بابل، وكان عليهم بختنصر في المرة الأولى، حين كذبوا إرمياء وجرحوه وحبسوه، قاله ابن عباس وغيره، وقال قتادة: أرسل عليهم جالوت

فقتلهم، فهو وقومه أولوا بأس شديد، وقال مجاهد: جاءهم جند من فارس يتجسسون أخبارهم ومعهم بختنصر، فوعى حديثهم من بين أصحابه، ثم رجعوا إلى فارس ولم يكن قتال، وهذا في المرة الأولى فكان منهم جوس خلال الديار لا قتل ذكره القشيري أبو نصر. وذكر المهدوي: عن مجاهد أنه جاءهم بختنصر، فهزمه بنو إسرائيل ثم جاءهم ثانية، فقتلهم ودمرهم تدميراً، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ذكره النحاس. وقال محمد بن إسحاق في خبر فيه طول: إن المهزوم سنحاريب ملك بابل، جاء ومعه ستمائة ألف راية تحت كل راية ألف فارس، فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى فرجعوا إلى بابل، ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين، واستخلف بختنصر وعظمت الأحداث في بني إسرائيل، واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا، فجاءهم بختنصر ودخل هو وجنوده بيت المقدس، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم. وقال ابن عباس وابن مسعود: أول الفساد قتل زكريا، وقال ابن إسحاق: فسادهم في المرة الأولى قتل أشعيا نبي الله في الشجرة، وذكر ابن إسحاق: أن بعض العلماء، أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يقتل وإنما المقتول شعيا، وقال سعيد بن جبير: في قوله تعالى (ثم بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك بابل، وهذا خلاف ما قال ابن إسحاق، فالله أعلم وقيل: إنهم العمالقة وكانوا كفاراً قاله الحسن».

من تفسير الطّبري:

«فكان أول الفسادَيْن قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم، ثم إن بني إسرائيل تجهزوا فغزوا النبط، فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم، قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين، قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف، ملكاً من ملوك النبط في الأولى، وسلط عليهم بختنصر في الثانية).

ثم روى حَدِيثاً أَسْنَدَهُ عَنْ حُذَيْفَة مَرْفُوعًا مُطَوَّلًا سننقل تعليق ابن كثير عليه في المبحث القادم أن شاء الله .



ويكمل الطبري (ثم اختلف أهل التأويل، في الذين عنى الله بقوله أولي بأس شديد، فيما كان من فعلهم، في المرة الأولى في بني إسرائيل، حين بعثوا عليهم، ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة، وما كان من صنعهم بهم، فقال بعضهم: كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت، وهو من أهل الجزيرة، وفيما روي عن ابن عباس قوله: بعث الله عليهم جالوت فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون في سبيل الله فبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت فنصر الله بني إسرائيل، وقتل جالوت بيدي داود وأرجع الله إلى بني إسرائيل مُلكهم، وقال آخرون: بل بعث عليهم في المرة الأولى سنحاريب، وفيما روي عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم، وقال آخرون: يعني بذلك قوماً من أهل فارس، قالوا: ولم يكن في المرة الأولى قتال، (ثم رددنا لكم...) وفي قول ابن عباس، الذي رواه عطية عنه، هي إدالة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه، وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى بعث عليهم بختنصر، وخرّب بيت المقدس وأمر به أن تطرح فيه الجيف وأعانه على خرابه الروم، فلما خربه ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم، وذهب بدانيال وعليا وعزاريا وميشائيل، وهؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء. وفيما روي عن سعيد بن جبير، قال: بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب، قال: فردّ الله لهم الكرة عليهم كما أخبر، قال: ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرة الآخرة بختنصر فقتل المقاتلة وسبى الذرية وأخذ ما وجد من الأموال ودخلوا بيت المقدس، كما قال الله عز وجل، ودخلوه فتبّروه وخرّبوه فرحمهم فردّ إليهم ملكهم وخلّص من كان في أيديهم من ذرية بني إسرائيل، وعن مجاهد قال: بعث الله ملك فارس ببابل جيشاً، وأمّر عليهم بختنصر، فأتوا بني إسرائيل فدمروهم فكانت هذه الآخرة ووعدها. وعن قتادة قوله: فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي أبغض خلق الله إليه، فسبى وقتل وخرّب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب، وفيما روي عن ابن عباس قال: فلما أفسدوا، بعث الله عليهم في المرة الآخرة، بختنصر فخرب المساجد.

من تفسير البغوي:

قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم، وقال ابن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى قتل إشعياء في الشجرة وارتكابهم المعاصي، (بعثنا عليكم عباداً لنا) قال قتادة: يعني جالوت الجزري وجنوده وهو الذي قتله داود، وقال سعيد بن جبير: يعني سنحاريب من أهل نينوى، وقال ابن إسحاق: بختنصر البابلي وأصحابه وهو الأظهر، (فإذا جاء وعد الآخرة) وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم.

من تفسير الشوكاني:

والمرة الأولى قتل شعياء أوحبس أرمياء، أو مخالفة أحكام التوراة، والثانية قتل يحيى بن زكريا والعزم على قتل عيسى، (عباداً لنا) قيل هو بختنصر وجنوده وقيل جالوت وقيل جند من فارس وقيل جند من بابل، والمرة الآخرة هي قتلهم يحيى ابن زكريا (وإن عدتم) قال أهل السير، ثم إنهم عادوا إلى ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكتمان ما ورد من بعثه في التوراة والإنجيل، فعاد الله إلى عقوبتهم على أيدي العرب، فجرى على بني قريظة والنضير وبني قينقاع وخيبر، ما جرى من القتل والسبي والإجلاء وضرب الجزية، على من بقي منهم وضرب الذلة والمسكنة.

من تفسير الألوسي:

واختلف في تعيين هؤلاء العباد في إفسادهم الأول، فعن ابن عباس وقتادة هم جالوت الجزري وجنوده، وقال ابن جبير وابن إسحاق هم سنحاريب ملك بابل وجنوده، وقيل هم العمالقة، وفي الأعلام للسهيلي هم بختنصر عامل لهراسف أحد ملوك الفرس الكيانية، على بابل والروم وجنوده، بعثوا عليهم حين كذبوا أرميا وجرحوه وحبسوه قيل وهوالحق.



واختلف في تعيين هؤلاء العباد المبعوثين، بعد أن ذكروا قتل يحيى عليه السلام في إفسادهم الأخير، فقال غير واحد إنهم بختنصر وجنوده، وتعقبه السهيلي وقال بأنه لا يصح، لأن قتل يحيى بعد رفع عيسى عليهما السلام، وبختنصر كان قبل عيسى عليه السلام بزمن طويل، وقيل الإسكندر وجنوده، وتعقبه أيضاً وقال: بأن بين الإسكندر وعيسى عليه السلام نحواً من ثلاثمائة سنة، ثم قال لكنه إذا قيل إن إفسادهم في المرة الأخيرة بقتل شعيا جاز أن يكون المبعوث عليهم بختنصر ومن معه لأنه كان حينئذ حياً، والذي ذهب إليه اليهود أن المبعوث أولاً بختنصر وكان في زمن آرميا عليه السلام، وقد أنذرهم مجيئه صريحاً بعد أن نهاهم عن الفساد وعبادة الأصنام كما نطق به كتابه، فحبسوه في بئر وجرحوه، وكان تخريبه لبيت المقدس في السنة التاسعة عشر من حكمه، وبين ذلك وهبوط آدم ثلاثة آلاف وثلثمائة وثمان وثلاثين سنة وبقي خراباً سبعين سنة، ثم إن أسبيانوس قيصر الروم وجّه وزيره طيطوس إلى خرابه فخربه سنة ثلاث آلاف وثمانمائة وثماني وعشرين، فيكون بين البعثين عندهم أربعمائة وتسعون سنة، وتفصيل الكلام في ذلك في كتبهم، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

وقال الألوسي: ونعم ما قيل إن معرفة الأقوام المبعوثين بأعيانهم وتاريخ البعث ونحوه، مما لا يتعلق به كبير غرض، إذ المقصود أنه لما كثرت معاصيهم، سلط الله تعالى عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى، وظاهر الآيات يقتضي اتحاد المبعوثين أولاً وثانياً



تعليقات على تفاسير المفسرين القدامى

لمطلع سورة الإسراء

لقد تناولنا في المبحث السابق عرضاً لمجمل ما قاله المفسرون أجلّهم الله ورحمهم جميعاً، ومن خلال هذا العرض يتبين لنا ما يلي:

١. ظهور أنّ هناك اختلافاً في تحديد من هم المبعوثون أولاً وثانياً وفي تحديد نوع وزمان الإفسادين فمثلا :

من تفسير القرطبي: **(وهذا خلاف ما قال ابن إسحاق، فالله أعلم)**. ؟؟؟

من تفسير الطبري: **(ثم اختلف أهل التأويل، في الذين عنى الله بقوله أولي بأس شديد، فيما كان من فعلهم، في المرة الأولى في بني إسرائيل، حين بعثوا عليهم، ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة، وما كان من صنعهم بهم)**.

من تفسير الألوسي: (واختلف في تعيين هؤلاء العباد في إفسادهم الأول(ثم عاد وقال: (**واختلف** في تعيين هؤلاء العباد المبعوثين (وقال في مرة ثالثة: (ونعم ما قيل إن معرفة الأقوام المبعوثين، بأعيانهم وتاريخ البعث ونحوه، مما لا يتعلق به كبير غرض، إذ المقصود أنه لما كثرت معاصيهم، سلط الله تعالى عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى).

من تفسير ابن كثير: **(وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ مِنْ السَّلَف وَالْخَلَف فِي هَؤُلَاءِ الْمُسَلَّطِينَ عَلَيْهِمْ مَنْ هُمْ)**

وهذا يدل على كثرة إفساد بني إسرائيل وكثرة من سلطهم الله عليهم في فترة ما قبل مجيء الإسلام بمعنى أن إفسادهم لم ينحصر في مرتين واضحتين جليتين، وسنفرد المبحث التالي إن شاء الله لبيان ذلك.

٢. أن معظم ما تقدّم من روايات هي أخبار موقوفة على أصحابها، وأصلها أهل التوراة

حيث إنها المصدر الوحيد لمثل هذه الروايات، والتي امتلأت التفاسير منها، وهي ليست مصدرا موثوقا لتلقي المعلومات – حتى التاريخية – لما علمت – أيها القارئ الحصيف – مما أصابها من العبث، وقد تساهل بعض المفسرين في نقلها عنهم – للأسف –، وهي في بعض منها أقرب إلى الخرافة، يقول ابن كثير في تفسير الآية رقم ٦: (وَقَدْ وَرَدَتْ فِي هَذَا آثَار كَثِيرَة إِسْرَائِيلِيَّة لَمْ أَرَ تَطْوِيل الْكِتَاب بِذِكْرِهَا لِأَنَّ مِنْهَا مَا هُو مَوْضُوع مِنْ وَضْع بَعْض زَنَادِقَتهمْ، وَمِنْهَا مَا قَدْ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون صَحِيحًا وَنَحْنُ فِي غُنْيَة عَنْهَا وَلِلَّهِ الْحَمْد). ويعلق ابن كثير: (وَقَدْ رَوَى اِبْن جَرِير فِي هَذَا الْمَكَان حَدِيثاً أَسْنَدَهُ عَنْ حُذَيْفَة مَرْفُوعًا مُطَوَّلًا وَهُو حَدِيث مَوْضُوع لَا مَحَالَة أنه لَا يَسْتَرِيب فِي ذَلِكَ مَنْ عِنْده أَدْنَى مَعْرِفَة بِالْحَدِيثِ، وَالْعَجَب كُلّ الْعَجَب كَيْف رَاجَ عَلَيْهِ مَعَ جَلَالَة قَدْره وَإِمَامَته وَقَدْ صَرَّحَ شَيْخنَا الْحَافِظ الْعَلَّامَة أَبُو الْحَجَّاج الْمِزِّيّ رَحِمَهُ اللَّه بِأَنَّهُ مَوْضُوع مَكْذُوب. وَكَتَبَ ذَلِكَ عَلَى حَاشِيَة الْكِتَاب). وهو نفس الحديث الذي رواه الطبري في تفسيره.

٣. تداول النصر والهزيمة بين بني إسرائيل ومن بعث عليهم لم يكن واضحاً في تفاسير القدامى من المفسرين على الرغم من وضوح الآيات التي تؤكد هذا المعنى يقول الألوسي: (وظاهر الآيات يقتضي اتحاد المبعوثين أولاً وثانياً).

٤. لا يوجد تفصيل للعلو في تفسير المفسرين القدامى كما أن العلو الوحيد في سيرة بني إسرائيل لم يكن علو إفساد كما تدل على ذلك الآيات بوضوح؛ بل كان علواً تحت راية التوحيد وقيادة نبيين من أنبياء الله داوود وسليمان عليهما السلام كما ذكرنا ذلك في المبحث السابق، بل كان من أجل نشر دين التوحيد كما قال الله تعالى:

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النمل: ٢٩ – ٣١.

٥. في كثير من التفاسير لا يوجد ترابط بين التفسير وسيرة بني إسرائيل يقول الألوسي: (واختلف في تعيين هؤلاء العباد المبعوثين، بعد أن ذكروا قتل يحيى عليه السلام في إفسادهم الأخير،



فقال غير واحد إنهم بختنصر وجنوده، وتعقبه السهيلي وقال بأنه لا يصح، لأن قتل يحيى بعد رفع عيسى عليهما السلام، وبختنصر كان قبل عيسى عليه السلام بزمن طويل، وقيل الاسكندر وجنوده، وتعقبه أيضاً وقال: بأن بين الاسكندر وعيسى عليه السلام نحواً من ثلاثمائة سنة).

٦. غياب الوحدة الموضوعية ووجه التعلق بين مطلع السورة وما تلاها كان واضحاً، فما علاقة إفسادي بني إسرائيل عند المفسرين القدامى مع ما سبقه من ذكر لحادثة الإسراء في الآية الأولى، وما علاقته أيضا بما بعدها من الايات؟

٧. وأخيراً أنّ أحداً من هؤلاء المفسرين لم يعاصر ولم يتوقع قيام دولة يهود للمرة الثانية، وكان أكثرهم حداثة هو الألوسي الذي توفي سنة ١٢٢٧ هجري واليهود وقتها أمة ممزقة مستضعفة كما ذكرنا في سيرتهم، فمن البديهي أنهم لم يتخيلوا أن تقوم لليهود قائمة بعد غرقهم في الذلّ والمسكنة، فذهب هؤلاء المفسرون في أقوالهم إلى أن الإفسادين انتهيا قبل الإسلام، أما من عاصر عودة قيام دولة يهود فكان له رأيٌ آخر.



كثرة إفساد بني إسرائيل قبل مجيء الإسلام

إن سيرة بني إسرائيل من موسى عليه السلام ولغاية مجيء الإسلام تمتلئ بالإفساد الذي لا يمكن حصره بمرتين كما وصفته الآية رقم (٤) في سورة الإسراء وقد قرر القرآن هذه الحقيقة في أكثر من موقع نذكر منها:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ٥٥ – ٥٦)

﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ (طه: ٨٥)

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (البقرة:٥٤)

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (البقرة: ٦١)

﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ المائدة: ٢٤، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الصف: ٥)

هذا في زمن موسى عليه السلام، أما فيما بعد فهو أكثر وأدهى وأمرّ:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (المائدة: ٧٨)

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (البقرة: ٨٧)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (آل عمران: ٢١)

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (البقرة:٨٥)

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المائدة: ٦٠)

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (المائدة: ٦٢)

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (المائدة: ٦٤)

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (المائدة: ١٣)

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (التوبة:٣١)

﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾

(النساء: ١٦١)



﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (البقرة: ١٠٢)

إن الآيات السابقة تدل أنّ إفساد بني إسرائيل بقتل الأنبياء وعبادتهم للطاغوت وارتكابهم الآثام والأخطاء لم يكن محصوراً في زمن معين أو في عدد معين من المرات بل كان ممتد بطول امتداد سيرتهم.

هذه الآيات وحدها تكفي لتقرير حقيقة أن إفساد بني إسرائيل قبل مجيء الإسلام لا يمكن حصره بمرتين، ولكن لا ضير من الاستشهاد بنصوص من التوراة التي رغم تحريفها تؤكد هذه الحقيقة، التي تواترت في أسفار أكثر من نبي من أنبياء بني إسرائيل عاشوا في فترات مختلفة:

١ – موسى:

«أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت الرب ليكون هذا شاهداً عليكم، لأني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وأنا بعدُ حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرِيِّ بعد موتي».

٢ – داود:

«مرات كثيرة أنقذهم لكنهم تمردوا على تدبيره وانحطوا بآثامهم».

٣- بنفس الأسلوب تقريباً يوبخهم سفر [نحميا: ٩].

٤ – وأما أشعياء فيسهب ويفصل ونحن نختار ونجمل:

«استمعي أيتها السماوات وأنصتي أيتها الأرض فإن الرب قد تكلم».

إني ربيت بنين وكبَّرتهم لكنهم تمردوا عليِّ.

ويل للأمة الخاطئة الشعب المثقل بالآثام، ذرية أشرار وبنين فاسدين.

٥. وفي سفر حزقيال نقرأ:

"يا ابن الإنسان: إني مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أناس متمردين قد تمردوا عليّ. فقد عصوني هم وآباءهم إلى هذا اليوم نفسه. فأرسلك إلى البنين الصلاب الوجوه، القساة القلوب، فلا تخف منهم، ولا تخف من كلامهم، لأنهم يكونون معك عليقاً وشوكاً، ويكون جلوسك بين العقارب. من كلامهم لاتخف، ومن وجوههم لا ترتعب، فإنهم بيت تمرد".

٦. وفي سفر ميخا نقرأ:

"يا رؤساء بيت يعقوب ويا قواد بيت إسرائيل الذين يمقتون الحق، ويعوّجون كل استقامة الذين يبنون صهيون بالدماء، وأورشليم بالظلم".



مطلع سورة الإسراء عند المفسرين المعاصرين

إن بعض من عاصر قيام دولة الاحتلال الصهيوني من المفسرين كان لهم رأي آخر في تفسير مطلع سورة الإسراء وسننقل إليكم في هذا المبحث من تفاسيرهم وأقوالهم ما يبين ما ذهبوا إليه:

١ . تفسير الشيخ الشعراوي.

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٤)

(وَقَضَيْنَآ) أي: حكمنا حُكْماً لا رجعةَ فيه، وأعلنَّا به المحكوم عليه، والقاضي الذي حكم هنا هو الحق سبحانه وتعالى).

﴿ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: في التوراة، كتابهم الذي نزل على نبيهم، وهم محتفظون به وليس في كتاب آخر، فالحق سبحانه قضى عليهم. أي: حكم عليهم حُكْماً وأعلمهم به، حيث أوحاه إلى موسى، فبلّغهم به في التوراة، وأخبرهم بما سيكون منهم من ملابسات استقبال منهج الله على ألسنة الرسل، أَيُنفذونه وينصاعون له، أم يخرجون عنه ويفسدون في الأرض؟

﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ . (الإسراء: ٤).

جاءتْ هذه العبارة هكذا مُؤكّدة باللام، وهذا يعني أن في الآية قَسَماً دَلَّ عليه جوابه، فكأن الحق سبحانه يقول: ونفسي لتفسدن في الأرض، لأن القسَم لا يكون إلا بالله.

فما هو الإفساد؟

الإفساد: أن تعمد إلى الصالح في ذاته فتُخرجه عن صلاحه، فكُلُّ شيء في الكون خلقه الله تعالى لغاية، فإذا تركتَه ليؤديَ غايته فقد أبقيته على صلاحه، وإذا أخللْتَ به يفقد صلاحه ومهمته، والغاية التي خلقه الله من أجلها).

ويقول تعالى لبني إسرائيل: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ . (الإسراء: ٤)

وهل أفسد بنو إسرائيل في الأرض مرتين فقط؟

والله إنْ كانوا كذلك فقد خلاهم ذم، والأمر إذن هَيِّن، لكنهم أفسدوا في الأرض إفساداً

كثيراً متعدداً، فلماذا قال تعالى: مرتين؟

تحدّث العلماء كثيراً عن هاتين المرتين، وفي أيّ فترات التاريخ حدثتا، وذهبوا إلى أنهما قبل الإسلام.

والمتأمل لسورة الإسراء يجدها قد ربطتهم بالإسلام، فيبدو أن المراد بالمرتين أحداثٌ حدثتْ منهم في حضْن الإسلام.

فالحق سبحانه وتعالى بعد أن ذكر الإسراء ذكر قصة بني إسرائيل، فدلّ ذلك على أن الإسلام تعدّى إلى مناطق مُقدّساتهم، فأصبح بيت المقدس قِبْلة للمسلمين، ثم أُسْرِي برسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وبذلك دخل في حَوْزة الإسلام؛ لأنه جاء مهيمناً على الأديان السابقة، وجاء للناس كافة. إذن: كان من الأَوْلى أن يُفسِّروا هاتين المرتين على أنهما في حضن الإسلام؛ لأنهم أفسدوا كثيراً قبل الإسلام، ولا دَخْلَ للإسلام في إفسادهم السابق؛ لأن الحق سبحانه يقول: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ (الإسراء: ٤). فإنْ كان الفساد مُطْلقاً. أي: قبل أن يأتي الإسلام فقد تعدَّد فسادهم.

والأَوْلى أن نقول: إنهما بعد الإسلام، وسوف نجد في هذا رَبْطاً لقصة بني إسرائيل بسورة الإسراء.

كيف ذلك؟

قالوا: لأن الإسلام حينما جاء كان يستشهد بأهل الكتاب على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، ونفس أهل الكتاب كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، فكان أهل الكتاب إذا جادلوا الكفار والمشركين في المدينة كانوا يقولون لهم: لقد أظلَّ زمان نبي يأتي فنتبعه، ونقتلكم به قتل عاد وإرم.

ماذا كان موقفه صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر إلى المدينة؟

في المدينة أبرم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم معاهدة يتعايشون بموجبها، ووفى

لهم رسول الله ما وفوا، فلما غدروا هم، واعتدوا على حرمات المسلمين وأعراضهم، جاس رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال ديارهم، وقتل منهم مَنْ قَتل، وأجلاهم عن المدينة إلى الشام وإلى خيبر؛ وكان هذا بأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر: 2)، و هذا هو الفساد الأول الذي حدث من يهود بني النضير، وبني قَيْنقاع، وبني قريظة، الذين خانوا العهد مع رسول الله، بعد أن كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، ونصُّ الآية القادمة يُؤيِّد ما نذهب إليه من أن الإفسادتين كانتا بعد الإسلام.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٥)

يكمل الشيخ: (معلوم أن (إذَا) ظرف لما يستقبل من الزمان، كما تقول: إذا جاء فلان أكرمته، فهذا دليل على أن أولى الإفسادتين لم تحدث بعد، فلا يستقيم القول بأن الفساد الأول جاء في قصة طالوت وجالوت، وأن الإفساد الثاني جاء في قصة بختنصر.

وقوله: {وَعْدُ} . والوعد كذلك لا يكون بشيء مضى، وإنما بشيء مستقبل. و{أُولاهُمَا} أي: الإفساد الأول.

وقوله: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ﴾

وفي هذه العبارة دليل آخر على أن الإفسادتين كانتا في حضن الإسلام؛ لأن كلمة {عِباداً} لا تطلق إلا على المؤمنين، أما جالوت الذي قتله طالوت، وبختنصر فهما كافران.

وقد تحدّث العلماء في قوله تعالى: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ . فمنهم من رأى أن العباد والعبيد سواء، وأن قوله ﴿ عِبَادًا ﴾ تُقَال للمؤمن وللكافر، وأتوا بالأدلة التي تؤيد رأيهم حَسْب زعمهم. ومن أدلتهم قول الحق سبحانه وتعالى في قصة عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ



ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (المائدة: ١١٦-١١٨). والشاهد في قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ. . ﴾ (المائدة: ١١٨).

فأطلق كلمة «عبادي» على الكافرين، وعلى هذا القول لا مانع يكون جالوت وبختنصر، وهما كافران قد سُلِّطا على بني إسرائيل.

ثم استدلوا بآية أخرى تحكي موقفاً من مواقف يوم القيامة، يقول تعالى للشركاء الذين اتخذوهم من دون الله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (الفرقان: ١٧).

فأطلق كلمة (عباد) على الكافرين أيضاً.

إذن: قوله تعالى: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ . . . ﴾ (الإسراء: ٥)

ليس من الضروري أن يكونوا مؤمنين، فقد يكونوا من الكفار، وهنا نستطيع أن نقول: إن الحق سبحانه وتعالى يريد أن ينتقم منهم، ويُسلِّط عليهم أمثالهم من الكفرة والظالمين، فإذا أراد سبحانه أن ينتقم من الظالم سلّط عليه مَنْ هو أكثر منه ظلماً، وأشدّ منه بطشاً، كما قال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الأنعام: ١٢٩).

وإذا كان أصحاب هذا الرأي لديهم من الأدلة ما يثبت أن كلمة عباد تُطلَق على المؤمنين وعلى الكافرين، فسوف نأتي بما يدل على أنها لا تُطلَق إلا على المؤمنين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٣-٦٧).

إلى آخر ما ذكرت الآيات من صفات المؤمنين الصادقين، فأطلق عليهم «عباد الرحمن».

دليل آخر في قول الحق سبحانه في نقاشه لإبليس: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الحجر: ٤٢). والمراد هنا المؤمنون. وقد قال إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (ص: ٨٢-٨٣).

إذن: هنا إشكال، حيث أتى كُلٌ بأدلّته وما يُؤيّد قوله، وللخروج من هذا الإشكال نقول: كلمة «عباد» و»عبيد» كلاهما جمع ومفردهما واحد؛ (عبد). فما الفرق بينهما؟

لو نظرتَ إلى الكون كله مؤمنه وكافره لوجدتهم جميعاً لهم اختيارات في أشياء، ومقهورين في أشياء أخرى، فهم جميعاً عبيد بهذا المعنى يستوي في القهر المؤمن والكافر، إذن: كل الخَلْق عبيد فيما لا اختيارَ لهم فيه.

ثم بعد ذلك نستطيع أن نُقسّمهم إلى قْسمين: عبيد يظلون عبيداً لا يدخلون في مظلة العباد، وعبيد تسمو بهم أعمالهم وانصياعهم لأمر الله فيدخلون في مظلة عباد الله.

كيف ذلك؟

لقد جعل الله تعالى لك في أفعالك منطقة اختيار، فجعلك قادراً على الفِعْل ومقابله، وخلقك صالحاً للإيمان وصالحاً للكفر، لكنه سبحانه وتعالى يأمرك بالإيمان تكليفاً.

ففي منطقة الاختيار هذه يتمايز العبيد والعباد، فالمؤمنون بالله يخرجون عن اختيارهم إلى اختيار ربهم، ويتنازلون عن مُرادهم إلى مُراد ربهم في المباحات، فتراهم يُنفِّذون ما أمرهم الله به، ويجعلون الاختيار كالقهر. ولسان حالهم يقول لربهم: سمعاً وطاعة.

وهؤلاء هم العباد الذين سَلّموا جميع أمرهم لله في منطقة الاختيار، فليس لهم إرادة أمام إرادة الله عز وجل.

إذن: كلمة عباد تُطلق على مَنْ تنازل عن منطقة الاختيار، وجعل نفسه مقهوراً لله حتى في المباحات.

أما الكفار الذين اختاروا مُرادهم وتركوا مُراد الله، واستعملوا اختيارهم، ونسوا اختيار

ربهم، حيث خَيَّرَهم: تُؤمن أو تكفر قال: أكفر، تشرب الخمر أو لا تشرب قال: أشرب، تسرق أو لا تسرق، قال: أسرق. وهؤلاء هم العبيد، ولا يقال لهم «عباد» أبداً؛ لأنهم لا يستحقون شرف هذه الكلمة.

ولكي نستكمل حَلَّ ما أشكل في هذه المسألة لا بُدَّ لنا أن نعلم أن منطقة الاختيار هذه لا تكون إلا في الدنيا في دار التكليف؛ لأنها محل الاختيار، وفيها نستطيع أن نُمَيِّز بين العباد الذين انصاعوا لربهم وخرجوا عن مرادهم لمراده سبحانه، وبين العبيد الذين تمرَّدوا واختاروا غير مراد الله عز وجل في الاختياريات، أما في القهريات فلا يستطيعون الخروج عنها.

فإذا جاءت الآخرة فلا محلَّ للاختيار والتكليف، فالجميع مقهور لله تعالى، ولا مجالَ فيها للتقسيم السابق، بل الجميع عبيد وعباد في الوقت ذاته.

إذن: نستطيع أن نقول: إن الكل عباد في الآخرة، وليس الكل عباداً في الدنيا. وعلى هذا نستطيع فهم معنى (عباد) في الآيتين: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ . ﴾ (المائدة: ١١٨).

وقوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (الفرقان: ١٧).

فسمّاهم الحق سبحانه عباداً؛ لأنه لم يَعُدْ لهم اختيار يتمردون فيه، فاستوَوْا مع المؤمنين في عدم الاختيار مع مرادات الله عز وجل.

إذن: فقول الحق سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ (الإسراء: ٥).

المقصود بها الإفساد الأول الذي حدث من اليهود في ظِلِّ الإسلام، حيث نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعباد هم رسول الله والذين آمنوا معه عندما جَاسُوا خلال ديارهم، وأخرجوهم من المدينة وقتلوا منهم مَنْ قتلوه، وسَبَوْا مَنْ سَبَوْه.

وقوله: ﴿ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (الإسراء: ٥).

أي: قوة ومنَعة، وهذه كانت حال المؤمنين في المدينة، بعد أن أصبحت لهم دولة وشوكة يواجهون بها أهل الباطل، وليس حال ضعفهم في مكة.



وقوله سبحانه: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ (الإسراء: ٥).

جاسُوا من جاسَ أي: بحث واستقصى المكان، وطلب مَنْ فيه، وهذا المعنى هو الذي يُسمّيه رجال الأمن «تمشيط المكان».

وهو اصطلاح يعني دِقّة البحث عن المجرمين في هذا المكان، وفيه تشبيه لتمشيط الشعر، حيث يتخلل المشط جميع الشعر، وفي هذا ما يدل على دِقّة البحث، فقد يتخلل المشط تخلُّلاً سطحياً، وقد يتخلل بعمق حتى يصل إلى البشرة فيخرج ما لصق بها.

إذن: جاسُوا أي: تتبعوهم تتبعاً بحيث لا يخفى عليهم أحد منهم، وهذا ما حدث مع يهود المدينة: بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر.

ونلاحظ هنا أن القرآن آثر التعبير بقوله: ﴿ بَعَثْنَا . . ﴾ (الإسراء: ٥).

والبعث يدل على الخير والرحمة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن في حال اعتداء، بل في حالة دفاع عن الإسلام أمام مَنْ خانوا العهد ونقضوا الميثاق.

وكلمة: {عَلَيْكُمْ} تفيد العلو والسيطرة.

وقوله: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ (الإسراء: ٥).

أي: وَعْد صدق لا بد أن يتحقق؛ لأنه وعد من قادر على الإنفاذ، ولا توجد قوة تحول بينه وبين إنفاذ ما وعد به، وإياك أن تظن أنه كأي وَعْد يمكن أنْ يَفِي به صاحبه أولا يفي به؛ لأن الإنسان إذا وعد وَعْداً: سألقاك غداً مثلاً؛ فهذا الوعد يحتاج في تحقيقه أن تكون لك قدرة على بقاء طاقة الإنفاذ، لكن قد يطرأ عليك من العوارض ما يحول بينك وبين إنفاذ ما وعدت به، إنما إذا كان الوعد ممَّنْ يقدر على الإنفاذ، ولا تجري عليه مِثْل هذه العوارض، فوعْدُه مُتَحقِّق النفاذ.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

(الإسراء: ٦)

نتابع مع الشيخ: (الخطاب في هذه الآية مُوجَّه لبني إسرائيل، والآية تمثل نقطة تحوُّل

وانقلاب للأوضاع، فبعد ما تحدثنا عنه من غلبة المسلمين، وأن الله سلّطهم لتأديب بني إسرائيل، نرى هنا أن هذا الوضع لم يستمر؛ لأن المسلمين تخلَّوْا عن منهج الله الذي ارتفعوا به، وتَنصَّلوا من كَوْنهم عباداً لله، فدارت عليهم الدائرة، وتسلّط عليهم اليهود، وتبادلوا الدور معهم؛ لأن اليهود أفاقوا لأنفسهم بعد أن أدبهم رسول الله والمسلمون في المدينة، فأخذوا ينظرون في حالهم وما وقعوا فيه من مخالفات.

ولا بُدّ أنه قد حدث منهم شبه استقامة على منهج الله، أو على الأقل حدث من المسلمين انصراف عن المنهج وتنكُّب للطريق المستقيم، فانحلَّتْ الأمور الإيمانية في نفوس المسلمين، وانقسموا دُوَلاً، لكل منها جغرافيا، ولكل منها نظام حاكم ينتسب إلى الإسلام، فانحلّتْ عنهم صِفَة عباد الله.

فبعد قوتهم واستقامتهم على منهج الله، وبعد أن استحقوا أن يكونوا عباداً لله بحق تراجعت كِفتهم وتخلَّوْا عن منهج ربهم، وتحاكموا إلى قوانين وضعية، فسلَّط عليهم عدوهم ليؤدّبهم، فأصبحتْ الغلبة لليهود؛ لذلك يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ.. ﴾ (الإسراء: ٦).

و{ثُمَّ}: حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي، على خلاف الفاء مثلاً التي تفيد الترتيب مع التعقيب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ (عبس: ٢١-٢٢).

فلم يَقُل الحق سبحانه: فرددنا، بل ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا ﴾ ذلك لأن بين الكَرَّة الأولى التي كانت للمسلمين في عهد رسول الله، وهذه الكَرَّة التي كانت لليهود، وقتاً طويلاً.

فلم يحدث بيننا وبينهم حروب لعدة قرون، منذ عصر الرسول إلى أن حدث وَعْد بلفور، الذي أعطى لهم الحق في قيام دولتهم في فلسطين، وكانت الكَرَّة لهم علينا في عام ١٩٦٧، فناسب العطف بـ «ثم» التي تفيد التراخي.

والحق سبحانه يقول: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ.. ﴾ (الإسراء: ٦).

أي: جعلنا لبني إسرائيل الغَلَبَة والقوة والنصر على المسلمين وسلّطناهم عليهم؛ لأنهم تخلوْا عن



منهج ربهم، وتنازلوا عن الشروط التي جعلتْهم عباداً لله.

و(الكَرَّة) أي: الغلبة من الكرِّ والفرِّ الذي يقوم به الجندي في القتال، حيث يُقدِم مرة، ويتراجع أخرى.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٦).

وفعلاً أمدّهم الله بالمال حتى أصبحوا أصحاب رأس المال في العالم كله، وأمدّهم بالبنين الذين يُعلِّمونهم ويُثقّفونهم على أعلى المستويات، وفي كل المجالات.

ولكن هذا كله لا يعطيهم القدرة على أن تكون لهم كَرَّة على المسلمين، فهم في ذاتهم ضعفاء رغم ما في أيديهم من المال والبنين، ولا بُدَّ لهم لكي تقوم لهم قائمة من مساندة أنصارهم وأتباعهم من الدول الأخرى، وهذا واضح لا يحتاج إلى بيان منذ الخطوات الأولى لقيام دولتهم ووطنهم القومي المزعوم في فلسطين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ (الإسراء: ٦).

فالنفير: مَنْ يستنفره الإنسان لينصره، والمراد هنا الدول الكبرى التي ساندت اليهود وصادمت المسلمين. ومازالت الكرَّة لهم علينا، وسوف تظل إلى أنْ نعود كما كُنَّا، عباداً لله مُسْتقيمين على منهجه، مُحكِّمين لكتابه، وهذا وَعْد سيتحقّق إنْ شاء الله، كما ذكرتْ الآية التالية:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٧).

ومازال الخطاب مُوجّهاً إلى بني إسرائيل، مبيناً سُنّة من سنن الله الكونية التي يستوي أمامها المؤمن والكافر، وهي أن مَنْ أحسن فله إحسانه، ومَنْ أساء فعليه إساءته.

فها هم اليهود لهم الغَلبة بما حدث منهم من استمساك ووحدة وعمل دؤوب - وإن كانوا على الباطل- وبالمقابل فقد تراجع المسلمون عن منهج الله وتفرقوا وركنوا إلى الدنيا، وهذه سُنّة كونية، مَنِ استحق الغلبة فهي له؛ لأن الحق سبحانه وتعالى مُنزّه عن الظلم، حتى مع أعداء دينه ومنهجه.

والدليل على ذلك ما أمسى فيه المسلمون بتخليهم عن منهج الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ . .﴾ (الإسراء: ٧).

فيه إشارة إلى أنهم في شَكٍّ أنْ يُحسِنوا، وكأن أحدهم يقول للآخر: دَعْكَ من قضية الإحسان هذه.

فإذا كانت الكَرَّة الآن لليهود، فهل ستظل لهم على طول الطريق؟ لا. لن تظل لهم الغَلبة، ولن تدوم لهم الكرّة على المسلمين، بدليل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ..﴾ (الإسراء: ٧).

أي: إذا جاء وقت الإفسادة الثانية لهم، وقد سبق أنْ قال الحق سبحانه عنهم: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ . .﴾ (الإسراء: ٤).

وبيّنّا الإفساد الأول حين نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة. وفي الآية بشارة لنا أننا سنعود إلى سالف عهدنا، وستكون لنا يقظة وصَحْوة نعود بها إلى منهج الله وإلى طريقه المستقيم، وعندها ستكون لنا الغَلبة والقوة، وستعود لنا الكَرَّة على اليهود. وقوله تعالى: ﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ (الإسراء: ٧).

أي: نُلحق بهم من الأذى ما يظهر أثره على وجوههم؛ لأن الوجه هو السِّمة المعبرة عن نوازع النفس الإنسانية، وعليه تبدو الانفعالات والمشاعر، وهو أشرف ما في المرء، وإساءته أبلغ أنواع الإساءة. وقوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ . .﴾ (الإسراء: ٧). أي: أن المسلمين سيدخلون المسجد الأقصى وسينقذونه من أيدي اليهود.

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ . .﴾ (الإسراء: ٧).

المتأمل في هذه العبارة يجد أن دخولَ المسلمين للمسجد الأقصى أول مرة كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن الأقصى وقتها في أيدي اليهود، بل كان في أيدي الرومان المسيحيين.

فدخوله الأول لم يكُنْ إساءةً لليهود، وإنما كان إساءة للمسيحيين، لكن هذه المرة سيكون دخول الأقصى، وهو في حوزة اليهود، وسيكون من ضمن الإساءة لوجوههم أن ندخل عليهم المسجد الأقصى، ونُطهِّره من رِجْسهم.

ونلحظ كذلك في قوله تعالى: ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ . . ﴾ (الإسراء: ٧). أن القرآن لم يَقُلْ ذلك إلا إذا كان بين الدخولين خروج.

إذن: فخروجنا الآن من المسجد الأقصى تصديق لِنُبوءَة القرآن، وكأن الحق سبحانه يريد أنْ ينبهنا: إنْ أردتُمْ أنْ تدخلوا المسجد الأقصى مرة أخرى، فعودوا إلى منهج ربكم وتصالحوا معه).

١. د. صلاح الخالدي عن كتاب (حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية):

وتحت عنوان: إفسادان لبني إسرائيل يقول الدكتور:

قال سبحانه: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٤-٨). وقال تعالى في آخر السورة عن الإفساد الثاني: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٤).

اختلف العلماء في تفسيرهم للإفسادين ولكن جميع التفاسير السابقة لا تنطبق عليها الأحداث التي وردت في الآيات فلا بد من إعادة النظر في فهم النصوص وأحداث التاريخ. لقد علا اليهود قديماً وأفسدوا إفسادات كثيرة، ونظراً لربط الآيات الكريمة بين المسجد الأقصى والتاريخ اليهودي فإننا نؤكد أن الإفسادين متعلقان بالمسلمين بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.



إفسادهم الأول في المدينة:

أتى اليهود إلى يثرب هاربين من الاضطهاد الروماني واليوناني الذي صُب عليهم في بلاد الشام، وأُعجب العرب بما عند اليهود من مال وعلم وثقافة، وتفنن اليهود في التحكم بالعرب والإفساد بينهم وامتصاص خيراتهم وإخضاعهم، وكانوا يبشرونهم بقرب ظهور نبي، ويهددونهم بأنهم سيتبعونه ويقتلون العرب معه، ولكنهم لما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أكثر الناس عداوة له، وتآمروا على قتله وحاربوه مع القبائل العربية الجاهلية.

فإذا جاء وعد أولاهما:

«إذا»: ظرف لما يستقبل من الزمان، أي أن المجيء يأتي بعد نزول آيات الإسراء المكية، وبالتالي فإن عباد الله الربانيين سيكونون أيضاً بعدها.

بعثنا عليكم:

إن التعبير بالبعث مقصود ومراد، فالله بعث الصحابة بعثاً من العدم فلم يكن للعرب في الجاهلية أية منزلة. كما أن كلمة «بعثنا» توحي أن مجيء هؤلاء الربانيين لم يكن متوقعاً فقد بعث الله الصحابة بعثاً فأزالوا إفساد اليهود وورثوا قوة اليهود، الصغيرة في المدينة، وقوة فارس والروم الكبيرة في العالم.

عباداً لنا":

هذه الجملة لا تنطبق إلا على الصحابة لأن الله سماهم «عباداً» وأضافهم إليه «لنا»، إن كلمة «عباد» لا تنطبق على الكافرين السابقين الذين نسب لهم المؤرخون إزالة الإفسادين مثل بختنصر وغيره.

هناك فرق بين كلمتي عباد وعبيد لأنه لا ترادف في كلمات القرآن، فكلمة «عبيد» ذُكرت في القرآن الكريم خمس مرات في الكلام عن الكفار ومعظمها بصيغة: «وما ربك بظلام للعبيد» أي أن الله يحاسب الكفار بعدله.

أما كلمة «عباد» فهي مذكورة خمساً وتسعين مرة منها أكثر من تسعين مرة عن المؤمنين. إذ أن الألف في هذه الكلمة توحي بالعزة والكرامة وهي صفات المسلم.

«أولي بأس شديد»:

كانت قوة الصحابة وبأسهم في مواجهة اليهود في جانبين: الجانب المادي الذي تمثل في شدة قتالهم لليهود ويشهد عليه حصارهم لبني قينقاع وبني النضير وقتل بني قريظة ومحاربتهم في خيبر وإخراجهم منها. والجانب المعنوي الذي تمثل في تحديهم لليهود وإذلالهم لهم، ويشهد عليه مواقف أبي بكر وعمر وعلي وعبادة بن الصامت وعبد الله بن رواحة وغيرهم.

لقد حكم (سعد بن معاذ) على بني قريظة حكماً ربانياً بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم ومصادرة أموالهم واستملاك بيوتهم وأراضيهم وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه.

«فجاسوا خلال الديار»:

الجوس: هو تخلل الشيء والتغلغل فيه، وقد دخل الصحابة ديار اليهود، واحتلوها وجاسوا خلالها في ديار بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وفي خيبر وفي وادي القرى وفدك وتيماء. لقد أزالوا كيانهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أجلى الفاروق بقاياهم عن جزيرة العرب. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الجوس بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٦). ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٧).

نحن نعيش الإفساد الثاني لليهود:

إذا علمنا أن إفساد اليهود الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكَرّة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي



الأجيال التي تعيش في هذا الزمان: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم». ولم تكن لليهود كرة على الأقوام السابقين الذين حاربوهم.

«وأمددناكم بأموال وبنين»:

أي أن قوة اليهود ليست ذاتية بل خارجية، أمدهم الله بها ليقضي عليهم، ويتم بوسيلتين هما الأموال والبنين، وهذا ما نراه واضحاً في أيامنا هذه، فالغرب يمدهم بالمال ويسهل هجرة اليهود إلى فلسطين.

«جئنا بكم لفيفاً»:

لقد مضى على اليهود أكثر من قرن وهم يأتون ملتفين في هجرات متتابعة إلى فلسطين، ولن يتوقف ذلك حتى يتم تجميع كل اليهود في هذه المنطقة تمهيداً للقضاء عليهم.

«وجعلناكم أكثر نفيراً»:

أي أن الله عز وجل سيجعل اليهود الأكثر أعواناً ومؤيدين، وهذا يبدو واضحاً من مواقف العالم معهم.

«إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم»:

هذا رد على زعم تفرد اليهود على البشرية، وتفضيلهم على باقي الناس، فهي أوهام اخترعوها ولا أساس لها.

تحدث القرآن عن الإفساد الثاني لليهود بقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ ﴾ (الإسراء: ٤-٨)، وبقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء: ١٠٤).

فكلمة «الآخرة» لا يراد بها يوم القيامة، فليست هي المقابلة للدنيا، وإنما الآخرة هنا هي المقابلة للأولى، الأولى في قوله: «فإذا جاء وعد أولاهما» أي المرة الأولى، والآخرة «فإذا جاء وعد الآخرة» أي المرة الثانية في الإفساد.

لماذا قال: «ليسوءوا وجوهكم»؟

إن المعركة بين المسلمين واليهود لا ينتج عنها إبادة اليهود وإفناؤهم والقضاء عليهم، وإنما ينتج عنها إزالة فسادهم وتدمير كيانهم، وتحويلهم إلى مجموعات يهودية ذليلة مهزومة مسحوقة، فإساءة وجوه اليهود لا تعني إفناءهم.

اليهود والمسيح الدجال:

سيظهر الدجال – وهو يهودي – في آخر الزمان من أصفهان بإيران، وسيتبعه منها سبعون ألف يهودي، ثم يحاربهم المسلمون ومعهم عيسى عليه السلام الذي سيقتل الدجال بيده الشريفة، وسيقضي المسلمون على كل يهودي تحقيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، فتقتلوهم حتى ينطق الشجر والحجر فيقول: "يا مسلم يا عبد الله: هذا يهودي ورائي تعال فاقتله».

﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ ﴾ (الإسراء: ١٠٤):

يعود ضمير الفاعل في «ليدخلوا» على ضمير الفاعل في «ليسوءوا»، فالذين يسوؤون وجوه اليهود هم الذين يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة، والمراد بالمسجد هنا المسجد الأقصى، وهم المسلمون الذين دخلوه فاتحين أول مرة عندما حرروه من الرومان، وتم لهم فتح الشام ونشر الإسلام فيه.

فالمعركة عند الإفساد الثاني بين اليهود والمسلمين ستكون معركة إسلامية إيمانية، وليست معركة قومية أويسارية أوإقليمية وليست معركة فلسطينية أوعربية أوغير ذلك.

لطائف قرآنية من الآيات:

الأفعال التي تشير إلى تمكن اليهود ثلاثة هي: "رددنا"، "أمددناكم"، "جعلناكم".

الفاعل في الأفعال الثلاثة: «نا» يعود إلى الله عز وجل فهو يفعل لهم تلك الأفعال، وفق حكمته ومشيئته تمهيداً لقضاء المسلمين عليهم.

وعند كلام الآية عن فعل المسلمين بهم، فقد عرضت ثلاثة أفعال مسندة للمسلمين

المجاهدين هي: «ليسوءوا»، «وليدخلوا»، «وليتبروا».

الفاعل في الأفعال الثلاثة: "الواو" يعود على المسلمين؛ صحيح أن الله هو الذي يقرر ويقدر، لكن إسنادها للمسلمين تكريم من الله لهم، وتشريف لهم. إذاً هي أفعال ثلاثة لليهود تقابلها أفعال ثلاثة للمسلمين.

١. وذهب الدكتور أحمد نوفل أستاذ تفسير القرآن إلى نفس ما ذهب إليه الشيخ الشعراوي والدكتور صلاح الخالدي بأن الإفسادين حصلا بعد مجيء الإسلام:

الأولى: إفسادهم في جزيرة العرب وبعث الله عليهم رسوله وصحابته فجاسوا خلال حصونهم.

الثانية: إفسادهم الآن في فلسطين وسيبعث الله عليهم عباده الصالحين ليدخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً.

لكن كيف سيكون ذلك وهل منهج وخطة التحرير موجودة في سورة الإسراء؟

هذا ما سنناقشه إن شاء الله في الفصل القادم.





الفصل الثالث

معالم طريق تحرير الأقصى

وفلسطين من سورة الإسراء

لقد تناولنا في الفصل الأول من الكتاب معنى «القرآن دستورنا»، وأن هذا الدستور صالح لكل زمان للعمل به، فهو دستور عملي، وقلنا: إنه مما يعين على فهم هذا الدستور أن نفهم وحدة الموضوع في كل سورة من سوره، والتي تشكل مجتمعة وحدة واحدة هي دستور هذه الأمة، وبينا كيف أن هذا الدستور يعالج الصراع على هذه الأرض بين الحق والباطل، وأن الصراع على سيادة هذه الأرض بعد مجيء الإسلام انحصر في الأعم الأغلب بين الإسلام عنوان الحق من جهة، والروم الصليبيين وبني إسرائيل اليهود الذين ارتضوا أن يكونوا جنداً من جنود الشيطان وحاملي لواء الباطل على هذه الأرض من جهة أخرى، وذكرنا أنه من خلال فهم وحدة الموضوع في سورتي الإسراء والروم إلى أن السورتين قد عالجتا طبيعة هذا الصراع.

وغصنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب في مطلع سورة الإسراء نستكشف أسرارها، وذكرنا أن لهذه السورة العظيمة ثلاثة أسماء الأول وهو المشهور بين المتأخرين: سورة الإسراء، والثاني : وهو الأقل انتشاراً سورة سبحان، والثالث والمتعارف عليه عند صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند السلف الصالح: هو سورة بني إسرائيل، وقادنا هذا الاسم لنتعرف على هؤلاء القوم، وسيرتهم لعلنا نجد في هذه السيرة أسرار مطلع هذه السورة العظيمة ثم استعنا بمفسرينا الأجلاء من القدامى والمعاصرين علّنا نجد عندهم ضالتنا، أما ملخص ما قاله المفسرون القدامى – على سبيل التذكير –: أن إفسادي بني إسرائيل كانا قبل مجيء الإسلام، لكنهم اختلفوا على تعيين هاتين المرتين، وعلّقنا على هذا الرأي، وحشدنا من الآيات الكريمة ومن بعض أسفار التوراة ما يقرر حقيقة أنه لا يمكن حصر إفساد بني إسرائيل قبل مجيء الإسلام بإفسادين أما ملخص ما قاله المفسرون المعاصرون **أن الإفسادين حصلا بعد مجيء الإسلام**:

الأول: إفسادهم في جزيرة العرب وبعث الله عليهم رسولَه وصحابته فجاسوا خلال حصونهم.



الثاني: إفسادهم الآن في فلسطين وسيبعث الله عليهم عباده الصالحين ليدخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً.

فرجحنا قول المعاصرين بأدلته المبيّنة هناك، ولأنهم مَن عاصر إفساد وعلو بني إسرائيل الثاني في أيامنا، وشاهدوا كيف تتنزل هذه الآية على أرض الواقع : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (الإسراء:٦)

وسنبني على كل ماسبق معالم طريق تحرير الأقصى وفلسطين في هذا الفصل إن شاء الله.



ما أشبه اليوم بالبارحة

ملابسات نزول سورة الإسراء

يصف الأستاذ عليوة الشافعي الملابسات التي كان يعيشها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نزول سورة الإسراء: (**بين يدي الإسراء والمعراج آلام وأحزان**. . وجراحات وأشجان. . فلا يكاد النبي (صلى الله عليه وسلم) يخرج من بلاء حتى يلم به بلاء آخر. . فما يزيده البلاء إلا صبراً. . ومن فرط صبره راح الصبر يتعلم من صبره. . وفي كل أحواله (صلى الله عليه وسلم) كان مستسلماً منقاداً راضياً عن الله فيما قضى عليه وقدر.

بين يدي الإسراء والمعراج درس بليغ عظيم المعنى طيب الروح رقيقاً يتنزل على القلوب الشجية فيسليها. . ويسري في جنبات النفوس البائسة فيبث فيها روحاً وأملاً ويشفيها.

ذلك الدرس هو كلما كان البلاء عظيماً كلما كانت المنح والعطايا من الجواد الكريم أوسع وأعظم.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي (صلى الله عليه وسلم):

«هل أتي عليك يوم كان أشد من يوم أحد» ؟. قال (صلى الله عليه وسلم): «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علي ابن عبد ياليل ابن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي. فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب. . فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك. . وأنا ملك الجبال. . وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت. . إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «بل أرجوأن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً»

متفق عليه. «الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة».

ماذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوم عائشة في ذلك اليوم وما قبله؟

يقول الدكتور راغب السرجاني:(إنَّ قريشاً سعت إلى تفعيل سياسة الحصار الاقتصادي لبني عبد مناف، والتجويع الجماعي لهم، كُفَّاراً ومسلمين، واتفقوا على ألاَّ يُنَاكحوهم، ولا يُزَوِّجوهم ولا يتزوَّجوا منهم، ولا يُبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يَدخلوا بيوتهم، ولا يكلِّموهم، وأن لا يَقْبَلوا من بني هاشم وبني المطَّلب صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسْلِموا رسول الله لهم للقتل!!

وهنا بدأت حِقبة جديدة من المعاناة والألم، حيث حُوصِر المسلمون والمشركون من بني عبد مناف ومعهم أبو طالب في «شِعْبِ أبي طالب»، وقد بلغ الجهد بهم حتى إنه كانت تُسمَع أصوات النساء والصبيان وهم يصرخون من شدَّة الألم والجوع، وحتى اضطرُّوا إلى أكل أوراق الشجر والجلود.

وقد ظلَّت تلك المأساة البشريَّة طيلة ثلاثة أعوام كاملة، حتى جاء شهر المحرم من السنة العاشرة من البعثة، وشاء الله أن يُفَكَّ الحصار البشع عن بني هاشم وبني عبد المطَّلب، وكان ذلك على يد ثُلَّة من مشركي قريش جمعتهم النخوة والحميَّة القبليَّة، ثم بفضل آية قاهرة من آيات الله، تمثَّلت في الأَرَضَة التي أكلتْ جميع ما في الصحيفة التي اتَّفقوا عليها، من جَوْر وقطيعة وظلم، إلاَّ ذِكْرَ اللَّه!!

وما إن انتهت هذه السنون العجاف حتى تلاها عام الحزن، الذي لم يكن تسميته إشفاقاً من أحد، ولكنها تسمية النبي لَمَّا حدثتْ له مصيبتان كبيرتان في هذا العام (العاشر من البعثة)، أمَّا الأولى فهي موت أبي طالب، عمِّ رسول الله، والسند الاجتماعي له، وأمَّا الثانية فهي وفاة خديجة رضي الله عنها، زوج رسول الله والسند العاطفي والقلبي له!!

وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيَّام معدودة، فازدادت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله، وزاد عليه ما كان مِن تجرُّؤ المشركين عليه؛ حيث كاشفوه بالنكال والأذى بعد موت عمِّه أبي طالب.

لقد ازداد رسول الله غمّاً على غمٍّ حتى يئس من قريش، وخرج إلى أكبر القبائل بعد قريش وهي قبيلة ثقيف بالطائف؛ رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يُؤووه وينصروه على قومه، فلم يرَ ناصراً ولم يرَ مَن يُئوي.

وفي هذه الظروف العصيبة والمحن المتلاحقة؛ في الطائف وفيما سبقها من وثيقة المقاطعة والحصار، ووفاة سَنَدَي الرسول الكريم العاطفي والاجتماعي، زوجه السيدة خديجة – رضي الله عنها – وعمه أبي طالب؛ في هذه الظروف وبعد أن ضاقت به الأرض من المشركين اتَّسعت له أفق السماء، وجاءت معجزة الإسراء والمعراج تثبيتاً له ومواساة وتكريماً؛ ولتكون بذلك منحة ربانيَّة تمسح الأحزان ومتاعب الماضي، وتنقله إلى عالم أرحب وأُفق أقدس وأطهر، إلى حيث سِدْرَة المنتهى، والقُرْب من عرش الرحمن عز وجل. . . . .).

لم تكن رحلة الإسراء والمعراج هي التسلية والتثبيت الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل جاءت سورة الإسراء ببشرى نصره كما يقول الدكتور صلاح الخالدي في كتابه (حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية): (أن السورة تقدم للمسلمين المستضعفين في مكة المحاربين هناك بشرى ربانية، بالفرج والنصر والتمكين، فستنتهي تلك المرحلة الحرجة التي يعيشونها في مكة، وسيكتب الله لهم التمكين، فيفتحون البلاد، ويصلون للمسجد الأقصى والأرض المباركة، متابعين خطى رسولهم صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، ويفتحون تلك البلاد، ويقيمون عليها حكم الله، ويعيدون تشييد المسجد الأقصى وبناءه. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ممهداً لفتح بلاد الشام، وكان إسراؤه إلى المسجد الأقصى إرهاصاً ربانياً بفتح المسلمين الحقيقي القادم لهذه الأرض).

ما أشبه اليوم بالبارحة وقد دارت الدوائر وعادت الكرة لبني إسرائيل وأتباعهم واستضعف المخلصون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول رسول الله في صحيح مسلم: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ). فها هي بشرى الوعد الثاني اقترب موعدها وها هو بعث



الله الثاني يسير على خطى البعث الأول ليدخلوا المسجد كما دخله البعث الأول أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا بإذنه وكرمه تعالى.

ثنائيات تؤكد ما ذهب إليه المفسرون المعاصرون

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الإسراء: ١ – ٨).

ثنائيات تؤكد ما ذهب إليه المفسرون المعاصرون بأن الإفسادين المذكورين في هذه الآيات هما في زمن الإسلام:

١ . ذكر نبيين من ذرية نوح عليه السلام: محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث برسالة الإسلام وموسى عليه السلام نبي بني إسرائيل.

٢ . ذكر مكانيين المسجد الحرام في جزيرة العرب حيث وقع الإفساد الأول والمسجد الأقصى في بيت المقدس وفيه يقع الآن الإفساد الثاني.

٣ . تحديد إفساد بني إسرائيل بمرتين.

٤ . ذكر زمنيين للإفسادين عطف الله بينهما بحرف العطف (ثم) الذي يفيد التراخي في الزمن إشارة إلى أن ما بينهما من الزمن طويل.

٥ . ذكر بعثين من عباد الله المخلصين لإنهاء الإفسادين. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ

إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾ (الأعراف: ١٦٧)، وقال إبن عباس رضي الله عنهما " الذين يسومون اليهود سوء العذاب هم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته إلى يوم القيامة ".

٦. وعدان من الله لعباده بالنصر على المفسدين من بني إسرائيل.



الإفساد الأول لبني إسرائيل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٥).

نقلنا في الفصل السابق رأي المفسرين المعاصرين في هذا الإفساد حيث قالوا أنه إفساد اليهود في جزيرة العرب وهم يهود بني قينقاع ويهود بني النضير ويهود بني قريظة ويهود خيبر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وصف القرآن الكريم هذا الإفساد في سورة أخرى من سور القرآن وهي سورة الحشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ (الحشر: ١ - ٣).

لقد بينت هذه السورة طبيعة إفساد هؤلاء القوم في جزيرة العرب بقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) فهم كفروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم رغم أنه موصوف في كتبهم بدقة مذكور فيها بالاسم ولم يكتفوا بالكفر بل تجاوزوه بنقض عهودهم مع رسول الله وزادوا عليهما محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل بعد هذا الإفساد من إفساد !

فبعث الله عليهم بعثه الأول الذي وصفهم بالمؤمنين يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ ﴾.

تؤكد الضمائر في السورتين أن الله هو من بعث عباده لينهوا إفساد بني إسرائيل الأول.

أما الإفساد الثاني؛ فقد وجدنا في سورة الحشر عدداً من اللطائف التي تشير لهذا الإفساد، ولكننا



سنؤجل الحديث عنها إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله، وسنكتفي في هذا المبحث بإشارة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾.

قالت عائشة رضي الله عنها: «كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من غزوة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلق تعني السلاح. . فأنزل الله فيهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ . فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء فأخلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأما قوله: (لأول الحشر) فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام». الحاكم في المستدرك وقال على شرط الشيخين وأقره الذهبي والبيهقي في دلائل النبوة.

إذن أول حشر إلى الشام تحضير للإفساد الثاني.



إفساد بني إسرائيل الثاني

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

(الإسراء: ٦)

كيف عادت الكرة لبني إسرائيل؟

لم يتوقف في يوم من الأيام حلم هؤلاء القوم بالعودة إلى بيت المقدس وحكم العالم من هناك **يقول سباتاني زفي مؤسس حركة يهود الدونمة وهو مولود في مدينة أزمير التركية عام ١٦٢٦: (أنا سليل سليمان بن داوود حاكم البشر والقدس قصر لي) أما مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة ثيودور هرتزل فقال في كتابه (الدولة اليهودية) الصادر عام ١٨٩٦: (فإن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يمكن أن ينسى).**

حلم أمة ممزقة تحاول إعادة أمجادها لكنها في البداية اصطدمت بسد منيع دولة عظيمة يصفها الأستاذ عبد الله التل في كتابه الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: «وعلى الرغم من اختلاف هذه الفرق الدونمية فيما بينها على أمور كثيرة فيما يتعلق بشؤونها الاعتقادية والتشريعية فإن لها هدف لا تختلف عليه هو القضاء على الدولة الإسلامية التي يرونها أنها حجر عثرة في طريق تحقيق حلمهم بإنشاء الدولة اليهودية كما وعدهم سباتي».

ويحكمها سلطان عظيم يتحدث عن مواقفه الأستاذ رفيق النتشة:

رفض هذا السلطان الطلب الذي تقدمت به (جمعية محبي صهيون) عام ١٨٨٢ للقنصل العثماني في مدينة اوديسا الروسية والمتضمن رغبة اليهود الروس بالحصول على إذن من السلطان للهجرة لفلسطين والاستيطان فيها

وأصدر الأمر لواليه على القدس بأن لا يسمح لأي يهودي قادم من روسيا أو رومانيا أوبلغاريا بأن يدخل فلسطين.

ثم في عام ١٨٩٢ أصدر هذا السلطان فرماناً يحرم بيع الأراضي الفلسطينية لليهود حتى لو كانوا رعايا الدولة العثمانية.

وأخيراً منع هذا السلطان إقامة اليهود دولة وطنية لهم بفلسطين. (من كتابه السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين).

نعم إنه السلطان عبد الحميد الثاني ولذلك الحل الوحيد أمام هؤلاء لتحقيق حلمهم هو تدمير هذا السد فكادوا وخططوا لذلك؛ اقرؤوا نصاً من رسالة كتبها السفير البريطاني في اسطنبول جيرارد لوزير خارجيته يقول: «أقام إيمانويل قراصوا (يهودي من أصل اسباني) وقبل عدة سنوات وهو من الماسونين اليهود في سلانيك (مدينة تركية) ونائب المدينة ونائب غرفة التجارة على إيجاد محفل «ماكدونيا ريزوتورا» وذلك بالتنسيق والتعاون مع المحافل الماسونية الإيطالية وقد استطاع قراصوا استمالة جمعية الاتحاد والترقي من مدنيين وعسكريين إلى الماسونية وكان الهدف من وراء ذلك هو فرض النفوذ اليهودي على النظام السياسي في تركيا العثمانية».

يقول ويصف لنا السفير جيرارد لوثر في رسالة بتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٩١٠م طبيعة (حركة تركيا الفتاة) «ويظهر أن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سلانيك (مدينة تركيا) كانوا بالدرجة الأولى من اليهود. . . لقد أصبح كل يهودي كما عبر عن ذلك أحد الأتراك جاسوسا للجمعية الخفية وبدأ الناس يقولون أن الحركة إنما هي حركة يهودية أكثر مما هي تركية»

وفي مكان أخر قال السفير جيرارد لوثر»يهود الدونمة أسسوا جمعية الاتحاد والترقي التي قادت إلى الانقلاب الدستوري عام ١٩٠٨ وأزاحت السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم عام ١٩٠٩).

ولنقرأ كيف توغلت هذه الحركة اليهودية الماسونية في الدولة العثمانية من مذكرات السلطان عبد الحميد «لم يهزني شيء في حياتي هزاً ضخماً قدر شخص يرتفع إلى مقام قيادة الجيش وإلى مقام الصدارة العظمى ويقبل نقوداً من دولة أجنبية، لم يكتفِ مدحت باشا بإثارة ما أثار من مشاكل فهو من ناحية يريد خلق أزمة في السرايا ومن ناحية أخرى الزج في البلاد في أتون حرب، كنت أرى الصدر الأعظم يؤيد الإنجليز ويتعاون معهم سواء بدافع من ماسونية أو بدافع من أسباب أخرى.



أما الأستاذ الأعظم الماسوني (شاريبا) وصف مشهد تحطيم السد: «انظروا إلى إخوانكم الماسونين السالونيكين الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلبت الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد دون أن تسيل نقطة دم واحدة أجل فبمثل هذا الشعب الماسوني تفخر الماسونية».

ولم تكتفِ الصهيونية الماسونية بالكيد عن هذا الحد، ولنقرأ ما قال السلطان المكلوم في مكان أخر من مذكراته: «لم أستطع أن أفهم كيف سارت رغبة إسقاطي من فوق عرشي وتنصيب أخي مراد مرة أخرى؛ هل لأن أخي السلطان مراد كان مثلهم ماسونياً؟ لا بد للتاريخ أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم (الأتراك الشباب) أو (تركيا الفتاة) وعن ماسونيتهم، إن ما استطعت أن أعرفه من تحقيقاتي أن كلهم تقريباً من الماسون، وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل» ص١٩.

إن ما فعله هؤلاء اليهود الماسون مع الدولة الإسلامية؛ كانوا قد سبق وفعلوه في عواصم أوروبا؛ كادوا وخططوا وحكموا لتتحقق إرادة الله بإعادة الكرة لهم بل بعلوهم في كل الأرض وليتوجوا هذا العلو بوعد بلفور وزير خارجية بريطانيا عام ١٩١٧ بإعطائهم فلسطين وطناً قومياً لهم وما تبع هذا الوعد من احتلالي عامي ١٩٤٨م و١٩٦٧م.

من يقود الماسون في العالم؟

يجيب المؤرخ الفرنسي ليوتا كسيل وهو يصف الماسونية الكونية وهي أعلى درجات الماسونية:

«إن هذه الماسونية الكونية لا يعرف مقرها أحد ولا يعرف رئيسها أحد؛ اللهم إلا أعضاءها من رؤساء محافل العقد الملوكي وكلهم يهود من بني يهوذا (رابع أبناء إسرائيل) **ولهذه الماسونية محفل واحد فرد لا يتعدد والعقد الملوكي الذي يتقلده كبار رجال الماسونية هوعبارة عن قلادة مرسوم عليها** أسباط بني إسرائيل».

إذا اتفقنا بأن المحافل الماسونية ينتمي إليها معظم قادة العالم من رؤساء دول وصناع



قرار وأصحاب أكبر مؤسسات المال والأعلام ومصانع السلاح والمشرفين على البرامج الإنسانية والاجتماعية في العالم فإننا سنتفق أن من يقود العالم هم يهود من بني إسرائيل ومن نسل يهوذا بالتحديد وبذلك تكون الآية قد انطبقت تماما على ما نعيشه من واقع؛ (وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) وهنا يجب أن لا ننسى مؤسسات اليهود السرية الأخرى كالصهيونية العالمية التي أسسها ثيودورهيرتزل في مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧ بالإضافة للوبيات الضغط اليهودي في كل عواصم صنع القرار في العالم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٧)

إن هذه الآية العظيمة تحتاج لعدة مباحث قادمة ففيها وعد الآخرة ومراحل النصر وخطة التحرير.



وعد الآخرة

جاء في سورة الإسراء آيتان ذكرتا وعد الآخرة الآية السابعة: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ (الإسراء: ٧).

والآية مئة وأربعة: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ (الإسراء: ١٠٤).

وعد الآخرة: هو الوعد الثاني من الله لعباده بالنصر والتمكين على هؤلاء المفسدين من بني إسرائيل ويقترب هذا الوعد من التحقق عندما ينتهي هؤلاء المقطعون في الأرض من تجمع في وطن واحد.

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسيره للآيتين: (**والمتأمل لهذه الآية يجد بها بشارة بتحقُّق وَعْد الله، ويجد أن ما يحدث الآن من تجميع لليهود في أرض فلسطين آية مُرادة لله تعالى.**

ومعنى الآية أننا قُلْنا لبني إسرائيل من بعد موسى:

اسكنوا الأرض وإذا قال لك واحد: اسكُنْ فلا بُدَّ أن يُحدد لك مكاناً من الأرض تسكن فيه فيقول لك: اسكن بورسعيد. . اسكن القاهرة. . اسكن الأردن.

أما أن يقول لك: اسكن الأرض!! فمعنى هذا أن الله تعالى أراد لهم أنْ يظلُّوا مبعثرين في جميع الأنحاء، مُفرِّقين في كل البلاد).

ويكمل الشيخ (**وبعد أن أسكنهم الله الأرض وبعثرهم فيها، أهاج قلوب أتباعهم من جنود الباطل، فأوحَوْا إليهم بفكرة الوطن القومي، وزيَّنُوا لهم أولى خطوات نهايتهم، فكان أن اختاروا لهم فلسطين ليتخذوا منها وطناً يتجمعون فيه من شتى البلاد.**

وقد يرى البعض أن في قيام دولة إسرائيل وتجمّع اليهود بها نكاية في الإسلام والمسلمين، ولكن الحقيقة غير هذا، فالحق سبحانه وتعالى حين يريد أن نضربهم الضربة الإيمانية من جنود موصوفين بأنهم: ﴿عِبَادًا لَّنَا . ﴾ (الإسراء: ٥). **يلفتنا إلى أن هذه الضربة لا تكون وهم مُفرّقون مُبعْثرون في كل**

أنحاء العالم، فلن نحارب في العالم كله، ولن نرسل عليهم كتيبة إلى كل بلد لهم فيها حارة أو حي، فكيف لنا أن نتتبعهم وهم مبعثرون، في كل بلد شِرْذمة منهم؟

إذن: ففكرة التجمُّع والوطن القومي التي نادى بها بلفور وأيَّدتها الدول الكبرى المساندة لليهود والمعادية للإسلام، هذه الفكرة في الحقيقة تمثل خدمة لقضية الإسلام، وتُسهِّل علينا تتبعهم وتُمكّننا من القضاء عليهم؛ لذلك يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾ (الإسراء: ١٠٤). **أي: أتينا بكم جميعاً، نضمُّ بعضكم إلى بعض، فهذه إذن بُشرى لنا معشر المسلمين بأن الكَرَّة ستعود لنا، وأن الغلبة ستكون في النهاية للإسلام والمسلمين، وليس بيننا وبين هذا الوعد إلا أن نعود إلى الله، ونتجه إليه كما قال سبحانه:** ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ (الأنعام: ٤٣). **والمراد بقوله هنا:** ﴿وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ . .﴾ (الإسراء: ٧). **هوالوعد الذي قال الله عنه:** ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ . .﴾ (الإسراء: ٧). **انتهى.**

نتقل لكم عن موقع المعرفة الإلكتروني التابع لشبكة الجزيرة نت جزءًا من دراسة بعنوان: (**جفاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة** وتاريخها ٢٤/ ١١/ ٢٠٠٨ م).

(ومع انطلاقة انتفاضة الأقصى في نهاية سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٠ وتزعزع الأمن الإسرائيلي برزت أسئلة عديدة حول مستقبل الهجرة اليهودية، حيث يلعب الاستقرار الأمني دوراً هاماً في جذب اليهود إلى فلسطين المحتلة.

وقد أكد رئيس الوكالة اليهودية سالي مريدور أن أرقام الهجرة باتجاه الأراضي العربية المحتلة تراجعت من نحو ٧٠ ألف مهاجر في العام ٢٠٠٠ إلى ٤٣ ألفاً في العام ٢٠٠١، ومن ثم الى ٣٠ الفاً في العام ٢٠٠٢، ولم يتعد الرقم ١٩ ألفاً حتى نهاية العام ٢٠٠٣.

وبقيت الأرقام في حدودها المذكورة حتى نهاية العام ٢٠٠٧ حيث سجلت الإحصاءات الإسرائيلية أرقاماً عالية للهجرة المعاكسة تجاوزت الهجرة إلى إسرائيل بنحو ٣٠٠٠ مهاجر إلى

خارج الأراضي العربية المحتلة.

ومن المتوقع ألاّ يحصل تطور كبير في أرقام الهجرة اليهودية في السنوات القادمة، هذا في وقت تزداد فيه احتمالات ارتفاع وتيرة أرقام الهجرة المعاكسة حيث هناك استعداد لنحو ٤٠٪ من الشباب اليهود في إسرائيل للهجرة المعاكسة.

وتخفي وزارة الهجرة والاستيعاب أعداد اليهود الإسرائيليين الذين هاجروا إلى خارج إسرائيل، لكن هناك دراسات تشير إلى أن ثمة ٤٠٠ ألف يهودي إسرائيلي لن يعودوا إلى إسرائيل، خاصة أن غالبيتهم يحملون جنسيات دول أخرى في العالم.

إذن اقتراب اكتمال مشهد اللفيف علامة على اقتراب تحقيق وعد الآخرة وهو وعد النصر لعباده.

فما هي مراحل النصر كما ذكرتها الآية السابعة من سورة الإسراء؟



مراحل النصر

١. **إساءة الوجوه:** قد تكون هذه المرحلة قد بدأت مع بدايات انتفاضة الأقصى سنة ٢٠٠٠م مروراً بالحرب على غزة وحصارها مما أشعل المظاهرات المليونية في معظم عواصم العالم كما رُفعت كثير من القضايا القانونية على قادة الاحتلال في محاكم أوروبا مما جعل هؤلاء يخافون من السفر إلى تلك البلدان. ثم تقرير جولديستون. واغتيال المبحوح وليس انتهاءاً بأسطول الحرية وقوافل كسر الحصار عن غزة مما أدى إلى توتر العلاقات بين الاحتلال من جهة وتركيا وكثير من المؤسسات الإنسانية الدولية من جهة أخرى.

وتأتي مرحلة إساءة الوجوه بالضرورة أولى مراحل النصر فهي مرحلة قطع حبل الناس:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٢)

ويمكن لكل من لا يستطيع أن يشارك في حمل السلاح بوجه هؤلاء أن يساهم بإساءة وجوههم ولو بكلمة أو مقالة أو إنشاء مجموعة على مواقع التواصل الاجتماعي أو تحريك دعوة أو أي وسيلة يراها مناسبة لتسريع قطع حبل الناس، فهذه المرحلة ستبقى مستمرة حتى تبدأ المرحلة الثانية.

٢. **«وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة»: رسم هذا المقطع من هذه الآية معالم طريق تحرير القدس بل كل فلسطين**، وسنأتي إلى تفصيل أكثر عن هذه المرحلة في المبحث القادم.

٣. **مرحلة ليتبروا ما عَلَوْا تتبيراً:** وهي مرحلة بناء الدولة الإسلامية العالمية التي ستصل إلى كل مكان عَلا فيه بنو إسرائيل، سواء كان ذلك المكان قد حكموه بالمال أو بالماسونية.



معالم طريق التحرير

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ وقفنا طويلاً أمام هذا المقطع من هذه الآية وتبادرت إلى أذهاننا مجموعة من الأسئلة كلما حصلنا على إجابة إحداها قادتنا هذه الإجابة لسؤال آخر:

ما المقصود بدخول المسجد أول مرة؟

يجيب الشيخ الشعراوي في تفسيره: (المتأمل في هذه العبارة يجد أن دخولَ المسلمين للمسجد الأقصى أول مرة كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، إذاً هو دخول المسلمين للمسجد الأقصى في عهد عمر أو ما يعرف بالفتح العمري.

ما دلالة كلمة (كما) في الآية؟

أن (كما) تفيد التشابه وإن كان هناك قرينة فأنها تفيد التطابق.

ما الأحاديث النبوية الشريفة التي كانت تتحدث عن المستقبل وذكرت كلمة (كما)؟

وجدنا منهم حديثاً مهماً رواه مسلم (١٤٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ).

وحديث آخر يحمل نفس المعنى في صحيح مسلم: (منعت العراق درهمها وقفيزها ......، وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم). يحدثنا حبيبنا صلى الله عليه وسلم أن الإسلام سيعود كما بدأ ويدخل مرحلة من الاغتراب.

هل دخل الإسلام مرحلة الاغتراب التي أخبرنا عنها صلى الله عليه وسلم؟

نعم، دخل الإسلام مرحلة الاغتراب عندما سقط رمزه السياسي: الخلافة ولأول مرة في تاريخه في العام ١٩٢٤م، وقد بينا كيف تم ذلك في معرض الحديث عن الآية ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ (الإسراء: ٦) في مبحث إفساد بني إسرائيل الثاني.



وكأن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين كيف سيكون حال الإسلام في زمن إفساد بني إسرائيل الثاني ثم قال (فطوبى للغرباء).

من هم الغرباء؟ وأين يكونون وماذا يفعلون؟

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء فهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس».(رواه الطبري في تهذيب الآثار ٢/ ص:٨٢٣ ، رواه الطبراني المعجم الكبير ج٨/ ص:١٤٥ - رواه أحمد في المسند ج٥/ ص:٢٦٩).

إنهم طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وليس كل أمته وهم في بيت المقدس وفي أكناف بيت المقدس.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة ٣٢٧٠): (أول هذا الأمر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً ورحمة ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر فعليكم بالجهاد وأن أفضل جهادكم الرباط، وأن أفضل رباطكم عسقلان) بإشارة إلى غزة التي هي جزء من عسقلان التاريخية.

يفصل هذا الحديث المراحل التي ستمر على المسلمين من النبوة وحتى مرحلة الاغتراب، ويؤكد أننا نعيش مرحلة الاغتراب التي تأتي بعد فترة الملك المقرون بالرحمة، وفترة الملك المقرون بالرحمة هي الفترة الممتدة من بداية الدولة الأموية ولغاية سقوط الدولة العثمانية سنة ١٩٢٤م. ووصف هذا الحديث مرحلة الاغتراب: (ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر)؛ وبين أن الغرباء هم من سينفذون وصية: (فعليكم بالجهاد، وأن أفضل جهادكم الرباط، وأن أفضل رباطكم عسقلان). وأفضل الغرباء من عسقلان.

وماذا سيكون بعد هذا الرباط في عسقلان ومرحلة الاغتراب: (زمن إفساد بني إسرائيل الثاني)؟



﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾(الإسراء: ٧). وقد روى الإمام أحمد (٤/ ٢٣٧) عن حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)، والحديث صححه الألباني في (السلسلة الصحيحة)، وحسنه الأرناؤوط.

قال الألباني في (السلسلة الصحيحة ج١/ ص:٣٤): ومن البعيد عندي جعل الحديث على عمر بن عبد العزيز؛ لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة، ولم يكنْ بعدُ ملكان ملك عاض وملك جبري. والله أعلم. أهـ

لقد قسم الحديث الذي رواه حذيفة والحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما المراحل التي تمر على المسلمين، فإذا قارنا المراحل التي ذكرها الحديث الأول وتلك التي ذكرها الحديث الثاني كالتالي:

رقم المرحلة	الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما	الحديث الذي رواه حذيفة رضي الله عنه
المرحلة الأولى	نبوة ورحمة	النبوة
المرحلة الثانية	خلافة ورحمة	خلافة على منهاج النبوة
المرحلة الثالثة	ملكاً ورحمة	ملكًا عاضًا
المرحلة الرابعة	يتكادمون عليه تكادم الحمر وأن أفضل رباطكم عسقلان	ملكًا جبرية
المرحلة الخامسة		خلافة على منهاج النبوة

فنجد ما يلي:

أن الحديث الذي رواه حذيفة رضي الله عنه وصف مرحلة الاغتراب بـ (ملكًا جبرية) ووصفها الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما بـ (يتكادمون عليه تكادم الحمر)، ووصفتها سورة الإسراء بالإفساد الثاني لبني إسرائيل، إن الأوصاف الثلاثة تنطبق تماماً على المرحلة التي نعيش فيها الآن.

إن الحديث الذي رواه حذيفة رضي الله عنه ذكر مرحلة خامسة تأتي بعد مرحلة الاغتراب لم يذكرها الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما وهي مرحلة الخلافة على منهاج النبوة.

مرحلة الخلافة على منهاج النبوة ذكرتها سورة الإسراء بقوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧ ﴾ (الإسراء: ٧)

إذاً تشترك الآية الكريمة والحديث الشريف؛ الذي رواه حذيفة رضي الله عنه في إخبارنا أن الذي سيكون بعد رباط عسقلان؛ وهو تحرير بيت المقدس، وخلافة راشدة على منهج البنوة.

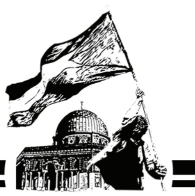
إلى أين سيصل نفوذ هذه الخلافة؟

ستمتد في الجغرافيا فوق كل أرض علا فيها بنو إسرائيل مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ أي فوق كل المعمورة مصداقاً؛ لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ) (رواه أحمد (١٦٩٩٨) ٤/ ١٠٣) وصححه محققو المسند، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣: ١/ ٣٢).

– وتمتد في الزمان ما شاء الله لها أن تكون.

أما عاصمة الخلافة فيقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه ابن حَواله وقد وضع رسول الله يده على رأسه: (يا ابن حواله إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك). سنن أبي داود وصححه الألباني ٣/ ١٩)..



وبعد كل هذا كيف يمكن أن نبني على كل الذي سبق معالم طريق التحرير؟

نجمع شتات هذه المعالم لتشييد طريق بين واضح ونقول لقد وصلنا لنتيجة فيما سبق أن نواة أهل التحرير وقلبهم هم هؤلاء الغرباء الذين هم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس المرابطون في عسقلان، والذين وصفتهم سورة الإسراء بـ(عباداً لنا)، وأن بحثنا عنهم على أرض الواقع سنجد أن من تنطبق عليهم هذه الصفات هم أصحاب المشروع الإسلامي فوق أرض فلسطين بقيادة حركة المقاومة الإسلامية **حماس** التي هي قلب مشروع عالمي يهدف إلى إسلامية العالم.

أما طريقهم إلى التحرير فهو نفس الطريق الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى فتحوا بيت المقدس.

﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ونقلنا فيما سبق قول الشيخ الشعراوي في هذه الآية: (**المتأمل في هذه العبارة يجد أن دخولَ المسلمين للمسجد الأقصى أول مرة كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه**).

ونقلنا أيضا فيما سبق أيضا الحديثين في صحيح مسلم **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)** .

والحديث الآخر الذي يحمل نفس المعنى (**منعت العراق درهمها وقفيزها............ وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم**). (رواه مسلم ٥١٦١) كتاب الفتن وأشراط الساعة

وقلنا أن معنى كلمة كما في الآية والحديث الأول تفيد التشابه وقد تفيد التطابق إذا كان هناك قرينة.

نفهم من كلمة كما في الحديث الأول أن المسلمين في مرحلة الاغتراب سيبدأون من حيث بدأ رسول الله وأصحابه حتى يشيدوا الخلافة التي هي على منهاج النبوة والتي ذكرتها الأحاديث الصحيحة التي أوردناها فوق كل أرض علا فيها بنو إسرائيل كما شيد رسول الله دولته النبوية فوق

حصون بني إسرائيل في جزيرة العرب.

ونفهم كلمة كما في الآية أنها إشارة من الله تحتم على من يريد أن يكون ضمن بعث الله الثاني على بني إسرائيل ويدخل ويحرر المسجد الأقصى كما دخله عمر رضي الله عنه ومن معه؛ أن يعرف كيف كان ذلك الدخول الأول ويدرس تلك المرحلة الممتدة من بداية البعثة وحتى الفتح العمري عام ١٥هـ .

بكلمات أخرى هل تقودنا كلمة كما في الآية والحديث الأول إلى أن هناك تشابه بين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة من وصفهم بالغرباء وبمرابطي عسقلان وقال فيهم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم) ووصفتهم سورة الإسراء ب (عباداً لنا)؟

بالطبع مع فارق الفضل والمكانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم .

وسنستعرض معكم في المباحث القادمة ما وجدناه من تشابه بالأحداث والتواريخ والدلالات بين سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما يجري من أحداث مع ورثة المشروع في فلسطين من أبناء حركة المقاومة الإسلامية حماس، وباقي رجال المقاومة الإسلامية هناك.

تشابه فيه كثير من اللطائف والمبشرات، ولكننا هنا نؤكد على كلمة تشابه أكثر من كلمة تطابق فلرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضل على جميع الخلق، ونحن هنا نشابه الأحداث الكبرى التي قد تعين قادة مشروع التحرير والنصر والتمكين بإذنه تعالى على رسم خطط عملهم، ونبشر عامة الناس في غزة وخارجها بنصر الله القادم وندعوهم أن يكونوا جزءاً من هذا النصر .



المرحلة الأولى:

المرحلة المكية

العناية الإلهية قبل البعثة وقبل الانطلاقة:

أربعون عاماً فصلت بين مولد الحبيب صلى الله عليه وسلم وبعثته، يرعاه الله فيها ويهيء له الطريق لحمل الرسالة، ونفس عدد الأعوام تقريباً كانت بين جذور نشأة حماس في فلسطين وانطلاقتها، وكانت عناية الله تصنع رجالات هذه الحركة وتعدّ المجتمع والظروف من حولها لانطلاقتها.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في عناية الله له قبل البعثة قوله: " أدبني ربي فأحسن تأديبي" والذي رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص١ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٨/٣٧٥ إن معناه صحيح ولكن لا يعرف به إسناد ثابت، ويشير د.عائض القرني إلى أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كلها عطرة ومُثل عليا وأخلاق سامية ومساعٍ نبيلة ومجدٌ وعفافٌ وكرمٌ، متحدياً أن يأتي أعداء الإسلام بأي قصة صحيحة بأنه خان أو كذب أو غدر أو حصل منه ما يخالف الخُلق الكريم والنهج القويم.

يقول د.سلمان العودة واصفاً تلك المرحلة : (هذا الاعتزال كان موعداً سنوياً في شهر رمضان من كل سنة، يذهب فيه النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث ويتعبد الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى زوجه خديجة فيتزود لمثلها، كان يتوجه إلى ربه ويعبده ويستغفر ويتوجع من الوضع والحال التي كان الناس عليها).

في هذا الغار وفي السنة التي أكمل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره وقع الحدثُ الكبير؛ أرسلَ ربُّ العزةِ مَلَكَ الوحيِ جبريلَ عليه السلام، يَحمل إلى رسولِه صلى الله عليه وسلم الآياتِ الأولى من القرآن الكريم، كان هذا الحدثُ على أرجحِ الأقوال ليلةَ الإثنين في

الحادي والعشرين من شهرِ رمضان من السنة الثالثةَ عشرةَ قبل الهجرة.

وبقدر من الله وعنايته بدأت قصة حماس:

يقول المركز الفلسطيني للإعلام وتحت عنوان (النشأة والتطور):

(إن نشأة الحركة تعود في جذورها إلى الأربعينات من القرن العشرين، فهي امتداد لحركة الإخوان المسلمين، وقبل الإعلان عن الحركة استخدم الإخوان المسلمون أسماءً أخرى للتعبير عن مواقفهم السياسية تجاه القضية الفلسطينية منها: «المرابطون على أرض الإسراء» و«حركة الكفاح الإسلامي» وغيرها).

وفي تقرير لحركة (باكس كريستي وهي أكبر حركة للسلام في هولندا):

(ابتداءً من السبعينات كان الفرع الفلسطيني لقيادة الإخوان المسلمين بيد الشيخ أحمد ياسين، وكان مشغولاً بأسلمة المجتمع في المناطق الفلسطينية، وذلك عبر المواعظ الدينية وتقديم الخدمات الاجتماعية للفقراء، وذلك انطلاقاً من الفكرة الأساسية التي تقول: أن المسلمين وحدهم بوسعهم تشكيل حكومة شرعية تعتني بالفقراء عبر أموال مؤسسات لجمع الزكاة والوعظ الديني في الجوامع، مما زاد من نفوذ الإخوان المسلمين).

ويكمل المركز الفلسطيني للإعلام وتحت نفس العنوان:

(إن تراكم الآثار السلبية لسياسات الاحتلال الصهيونية القمعية الظالمة ضد الشعب الفلسطيني، ونضوج فكرة المقاومة لدى الشعب الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها، كان لا بد من مشروع فلسطيني إسلامي جهادي، بدأت ملامحه في أسرة الجهاد عام ١٩٨١ ومجموعة الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٣ وغيرها.

ومع نهايات عام ١٩٨٧ كانت الظروف قد نضجت بما فيه الكفاية لبروز مشروع جديد يواجه المشروع الصهيوني وامتداداته ويقوم على أسس جديدة تتناسب مع التحولات الداخلية والخارجية، فكانت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التعبير العملي عن تفاعل هذه العوامل.

وقد جاءت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» استجابة طبيعية للظروف التي مر بها الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة منذ استكمال الاحتلال الصهيوني للأرض الفلسطينية عام ١٩٦٧.

وأسهم الوعي العام لدى الشعب الفلسطيني، والوعي المتميز لدى التيار الإسلامي الفلسطيني في بلورة مشروع حركة المقاومة الإسلامية الذي بدأت ملامحه تتكون في عقد الثمانينات، حيث تم تكوين أجنحة لأجهزة المقاومة، كما تم تهيئة القاعدة الجماهيرية للتيار الإسلامي بالاستعداد العملي لمسيرة الصدام الجماهيري مع الاحتلال الصهيوني منذ عام ١٩٨٦).

البعثة والانطلاقة:

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام ليحكم العالم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ: ٢٨). فكانت البعثة.

وانطلقت حماس في عام ١٥/ ١٢/ ١٩٨٧ لتكون جزءاً، بل قلب مشروع يحاكي مشروع رسول الله ليعود شرع الله يحكم في فلسطين والعالم الإسلامي، بل العالم كله ، فكانت الانطلاقة، ولنستمع لجزء آخر من تقرير حركة (باكس كريستي): (حماس جزء من حركة الإخوان المسلمين، وهي حركة ظهرت عام ١٩٢٨ في مصر، يعتنق الإخوان المسلمون عقيدة صارمة مستوحاة من القرآن، ومن الدعوة لتأسيس دولة إسلامية تتطابق مع وصايا النبي، وكان لدى الإخوان المسلمين وحركة حماس منذ السبعينات توجهٌ لتجليات الإسلام السياسي الذي يحاول صياغة أجوبة عن العولمة والحداثة، التي يُنظر إليها باعتبارها تهديداً للقيم والحضارة الإسلامية ولدور الإسلام بشكل عام، وحركة الإخوان هي حركة عالمية، وهذا ما يجعلها تحاول أن تلعب دوراً في السياسات الوطنية لمختلف البلدان العربية).

الدّعوة السرية:

اقتدت حركة حماس برسولها وزعيمها صلىالله عليه وسلم وجعلت دعوتها في بدايتها دعوة سرية.

التعذيب:

وكما أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعُذّب أصحابُه من سادة قريش تارة، ومن

الأقارب والأهل والعشيرة تارة أخرى، عذبت قيادات وكوادر حماس في سجون الاحتلال تارة، وفي سجون السلطة تارة أخرى.

يكمل المركز الفلسطيني للإعلام وتحت نفس العنوان: (وقد أثار بروز حركة «حماس» قلق العدو الصهيوني، واستنفرت أجهزة الاستخبارات الصهيونية كل قواها لرصد الحركة وقياداتها، وما أن لاحظت سلطات الاحتلال استجابة الجماهير للإضرابات، وبقية فعاليات المقاومة التي دعت لها الحركة منفردة منذ انطلاقتها، وصدور ميثاق الحركة، حتى توالت الاعتقالات التي استهدفت كوادر الحركة وأنصارها منذ ذلك التاريخ.

وكانت أكبر حملة اعتقالات تعرضت لها الحركة آنذاك في شهر أيار/ مايو ١٩٨٩، وطالت تلك الحملة القائد المؤسس الشيخ المجاهد أحمد ياسين).

يكمل المركز الفلسطيني للإعلام وتحت عنوان الموقف من سلطة الحكم الذاتي:

(إن حركة «حماس» تؤمن أن الصهاينة حاولوا تجنب مواجهة الحركة وبرنامجها الجهادي عبر الاختباء خلف سلطة الحكم الذاتي، وتدرك الحركة أن انشغالها في مواجهة عسكرية مع سلطة الحكم الذاتي يحقق هدفاً هاماً للصهاينة ويلبي جزءاً من طموحاتهم، وقد انعكس هذا الإدراك على مواقف حركة «حماس» التي تجنبت بكل حزم الانجرار لصراع مع السلطة رغم ممارسات السلطة القمعية وتعدياتها على حقوق الإنسان في مناطق الحكم الذاتي والتي بلغت حد اغتيال المجاهدين وإطلاق الرصاص على المصلين واعتقال المئات من أبناء الشعب الفلسطيني بحجة تأييدهم لفصائل المقاومة الفلسطينية، وتعريض المعتقلين لأبشع صنوف التعذيب مما أدى إلى وفاة عدد من المعتقلين جرّاء التعذيب).

الشِّعب ومرج الزهور:

لم يحقق التعذيب مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هدفه بعودتهم عن دينهم، فكان لا بد من ابتداع شيءٍ أكثر إيلاماً، فتمَّ الإبعاد والمقاطعة في الشعب، يقول د.راغب السرجاني:



(وهنا بدأت حِقبة جديدة من المعاناة والألم، حيث حُوصِر المسلمون والمشركون من بني عبد مناف ومعهم أبو طالب في «شِعْبِ أبي طالب»، وقد بلغ الجهد بهم حتى أنه كانت تُسمَع أصوات النساء والصبيان وهم يصرخون من شدَّة الألم والجوع، وحتى اضطرُّوا إلى أكل أوراق الشجر والجلود). ومثل ذلك فعل الاحتلال بإبعاد مجموعة من قادة وكوادر حماس إلى مرج الزهور.

نكمل مع المركز الفلسطيني للإعلام وتحت عنوان (النشأة والتطور): (في ديسمبر ١٩٩٢ نفذ مقاتلوا الحركة عملية أسر الجندي نسيم توليدانو، قامت على إثرها السلطات الصهيونية بحملة اعتقالات شرسة ضد أنصار وكوادر الحركة، واتخذ رئيس وزراء العدو الأسبق إسحاق رابين قراراً بإبعاد ٤١٥ رمزاً من رموز شعبنا كأول سابقة في الإبعاد الجماعي، عقاباً لحركة حماس، وقدم مبعدو حركتي «حماس» والجهاد الإسلامي نموذجاً رائعاً للمناضل المتشبث بأرضه مهما كان الثمن، مما اضطر رابين إلى الموافقة على عودتهم بعد مرور عام على إبعادهم قضوه في العراء في مخيم مؤقت في مرج الزهور في جنوب لبنان.

لم توقف عملية الإبعاد نشاط حركة «حماس» ولا جهازها العسكري حيث سجل العام ١٩٩٣ معدلاً مرتفعاً في المواجهات الجماهيرية بين أبناء الشعب الفلسطيني وجنود الاحتلال الصهيوني، ترافق مع تنامي الهجمات العسكرية ضد جنود الاحتلال ومستوطنيه، وفي أعقاب تنامي موجة المقاومة الشعبية فرض العدو إغلاقاً مشدداً على الضفة الغربية وقطاع غزة في محاولة للحد من تصاعد المقاومة).

الحـــزن:

أما الحزن الأكبر الذي مرَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية فقد كان موت أبي طالب وخديجة؛ يصفه د.راغب السرجاني: (عام الحزن، الذي لم يكن تسميته إشفاقًا من أحد، ولكنها تسمية النبي لَمَّا حدثتْ له مصيبتان كبيرتان في هذا العام (العاشرة من البعثة)، أمَّا الأولى فهي موت أبي طالب، عمِّ رسول الله، والسند الاجتماعي له، وأمَّا الثانية فهي وفاة خديجة رضي



الله عنها، زوج رسول الله والسند العاطفي والقلبي له.وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيَّام معدودة، فازدادت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله، وزاد عليه ما كان مِن تجرُّؤ المشركين عليه؛ حيث كاشفوه بالنكال والأذى بعد موت عمِّه أبي طالب).

أما حماس فكان حزنها الأكبر باستشهاد أبرز قادتها أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي رحمهما الله تعالى، وبينهما أيام قليلة.

يقول الدكتور محسن محمد صالح في كتابه القضية الفلسطينية: (وتلقت حماس إحدى أقسى الضربات باستشهاد زعيمها الروحي ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين في ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤، ثم تبعه استشهاد عبد العزيز الرنتيسي في ١٧/ ٤/ ٢٠٠٤).

الإسراء وانتفاضة الأقصى:

الحدث الأكبر في المرحلة المكية جاء بعد ١٢ عاماً من البعثة تقديراً، وأسري برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليتسلم مفاتيحه - معنويّاً – من الأنبياء، ويصلي بهم إماماً لتكون إشارة إلى أجيال المسلمين بأحقيتهم في هذه الأرض والدفاع عنها وعن مسجدها.

وهذا ما فعله الفلسطينيون وحركة حماس بإسرائهم الذي جاء بعد ١٣ عاماً من الانطلاقة وسمي بانتفاضة الأقصى التي استمرت لخمس سنوات متواصلة.

(لقد كانت الفترة المكية بمنزلة الأساس المتين للصرح الإسلامي الهائل، ومن المستحيل أن يجتاز المسلمون خطوات كبَدْر والأحزاب وخَيْبر وتَبوك، دون المرور على فترة مكة.

ومن المستحيل أيضاً أن تُبنى أمة صالحة، أو تنشأ دولة قوية، أو تخوض جهاداً ناجحاً، أو تثبت في قتال ضارٍ إلا بعد أن تعيش في فترة مكة بكل أبعادها.

وعلى الدعاة المخلصين أن يدرسوا هذه المرحلة بعمق، وعليهم أن يقفوا أمام كل حدث – وإن قصر وقته أو صغر حجمه – وقوفاً طويلاً طويلاً.

فهنا البداية التي لا بد منها، وبغير مكة لن تكون هناك المدينة، وبغير المهاجرين لن يكون هناك أنصار، وبغير الإيمان والأخلاق والصبر على البلاء، لن تكون هناك أمة ودولة وسيادة وتمكين).د.راغب السرحاني من مقاله في ظلال الهجرة النبوية.

المرحلة الثانية

مرحلة الهجرة والانتخابات الفلسطينية بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠٠٦

التشابه في التوقيت:

جاءت الهجرة بعد عام واحد من الإسراء والمعراج وجاءت الانتخابات الفلسطينية بعد عام واحد من إنتهاء انتفاضة الأقصى.

الملابسات ما قبل الهجرة وما قبل الانتخابات وأثنائها:

أحداث جسام واجهت المشروع الإسلامي في مكة وفي فلسطين، يصف د. راغب السرحاني هذه الأحداث في مقاله في ظلال الهجرة النبوية: (الهجرة الكاملة لكل المسلمين لم تكن إلا بعد أن أُغلقت أبواب الدعوة تماماً في مكة، وقد أغلقت أبواب الدعوة منذ ثلاث سنوات؛ بعد موت أبي طالب والسيدة خديجة رضي الله عنها، ومنذ ذلك التاريخ، والرسول يخطِّط للهجرة).

وقال موفاز في جريدة معاريف في تاريخ ٨/ ٥/ ٢٠١١: (أنا أعرف حركة حماس تمام المعرفة وأعتقد أنها من أصعب الحركات التي عرفتها إسرائيل مراساً، وحسابنا مع حركة حماس مرير ومؤلم بسبب العمليات الكثيرة التي قامت به الحركة ضدنا، وكما تتذكرون أنني عندما كنت وزيراً للدفاع في الأعوام السابقة بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ اتبعت سبيل القوة في التعامل مع حماس ومن ضمن ذلك استهداف قادة الحركة في قطاع غزة والضفة الغربية).

تبين بيسان عدوان في مقالتها بعنوان (حركة حماس بين إجراءات التأقلم والضغوط الإسرائيلية) في نفس المقال السابق: (وكان عام ٢٠٠٣ هو الأعنف بالنسبة لحركة حماس، فقد دفعت الحركة فيه ثمناً باهظاً.وكان على حماس في هذه الحالة إما مواصلة العمليات الاستشهادية والإصرار على تلك العمليات أو مراجعة هذا النهج والتوجه إلى العمل السياسي والانضواء تحت مظلة الشرعية الفلسطينية والمشاركة في القرار السياسي).



ثلاث سنوات من الأحداث الجسام مرت برسول الله ومن معه في مكة، كان لا بد معها من إيجاد البديل الذي يحمي المشروع الإسلامي وأتباعه فكان قرار الهجرة.وكذلك ثلاث سنوات من الأحداث الجسام مرت بحركة حماس في فلسطين، كانت مضطرة للتفكير بالطريقة التي يمكن بها حماية مشروعها وأفرادها فكان قرار المشاركة في الانتخابات.

إدراك أهل يثرب والفلسطينيين عواقب اختيارهم:

يروي الإمام أحمد في مسنده ما جرى في بيعة العقبة الثانية: (كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم فقال: يا معشر الخزرج – قال وكانت العرب ممن يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها – إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، قال: فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.قال: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام.قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر).يتضح من رد البراء أن أهل يثرب مدركون ما هم مقبلون عليه من حروب ومعاداة للعرب إن هم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كما قال العباس بن عبادة الأنصاري – رضي الله عنه – على أنها الاستعداد لحرب الأحمر والأسود من الناس.

(والذي يعود إلى التصريحات الأوروبية والأميركية الرسمية طوال أسابيع سبقت عقد الانتخابات، يرى أن رسائل التهديد والتجويع والعزلة الدولية قد وصلت بالفعل إلى الشعب الفلسطيني، ورغم ذلك أعطى حماس أكثرية برلمانية قاطعة)، مقطع من مقال لبشير موسى نافع وبعنوان (دلالات فوز حماس،استثناء متأزم أم تطور طبيعي؟)، نشرته الجزيرة نت في يوم الأحد ١٢/٢/٢٠٠٦ م يوضح إدراك الفلسطينيين ما هم مقبلون عليه من معاداة دولية إن هم انتخبوا حماس.



وفي حلقة من برنامج ما وراء الخبر على قناة الجزيرة الفضائية بعنوان الأزمة المالية التي تعيشها الحكومة الفلسطينية الجديدة في تاريخ ٥/ ٤/ ٢٠٠٦ يشرح د. موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إدراك الفلسطينيين لطبيعة هذه التهديدات الدولية لهم إن هم انتخبوا حماس: (لم تكن تلك التهديدات موجهة لحركة حماس بعينها، هذه التهديدات كانت موجهة للشعب الفلسطيني. وفوجئ العالم بأن الشعب الفلسطيني حاول أن يعالج هذه التهديدات بأنه صمد في وجهها ليختار الذي يريده ولذلك أقول بأن هنا مكمن الموضوع.شعبنا الفلسطيني سيصبر مع حماس في المرحلة القادمة لأنه حينما اختار حماس اختارها وهو يعلم أن هناك مشكلة قادمة، وهذه المشكلة مرت بالموقف الأمريكي والإسرائيلي).

محاولة منع الهجرة ومنع حماس من الفوز في الانتخابات:

حاولت قريش منع الهجرة وكان ذلك واضحاً في تعاملها مع المواقف التالية:

أولا: في قصة أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – ففي أثناء الهجرة فرَّقت قريش بينها وبين زوجها أبي سلمة – رضي الله عنه – وابنهما، من أجل أن يُثنوهم عن الهجرة، ولكن يسجِّل أبو سلمة – رضي الله عنه – أروع صور التضحية والعطاء، فيكون أول مهاجر يصل إلى أرض الهجرة بالرغم من أنَّه فَقَد الزوجة والولد، وأيضاً نرى أمَّ سلمة – رضي الله عنها – تواصل مسيرة الهجرة بعزم صادق وإرادة قوية لم يتطرق إليها ضعف حتى تلحق بزوجها مع ابنها؛ رغم كل ما تعرضت له هي وزوجها وابنها، محتسبين في سبيل الله ما يلاقون.

ثانياً: محاولة قريش قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته، فجمعوا لذلك من كل قبيلة فارسا؛ لكن عناية الله أفشلت خطتهم.

ثالثاً: تتبع رسول الله وصاحبه الصديق ومحاولة الإمساك بهما، وعندما فشلوا كلفوا سراقة بن مالك في المهمة ولكن عناية الله تتدخلت مرة أخرى.

محاولات منع حماس من الانتخابات التشريعية:



(يعرض هذا المحور المحاولات الدولية والداخلية والإسرائيلية لإقصاء حركة حماس عن المشاركة في الانتخابات، فبعد فشل الإدارة الأميركية بتطويع حركات المقاومة ونزع سلاحها أوضحت أن فوز حركة حماس بأغلبية في الانتخابات التشريعية «سينعكس سلباً على العلاقات بين الإدارة الأميركية والسلطة الفلسطينية وعلى مسار عملية السلام»، وسيفرض «عواقب سيئة من الكونغرس»، كما لعبت الإدارة الأميركية على وتيرة الخلافات الفلسطينية الداخلية، في محاولة منها لتحجيم دور حركة حماس في صنع القرار الفلسطيني.

وقد أراد الرئيس محمود عباس من إجراء انتخابات تشريعية بمشاركة حماس إيقاف انتفاضة الأقصى، وإدخال حماس في مرحلة التهدئة، والحصول على الشرعية الكاملة من أجل إطلاق عملية السلام بما يتوافق ورؤيته.

ولكن الخوف من أداء متميز لحماس بدأ بالتسرب إلى نفسه خاصة بعد ظهور قوة حماس في الانتخابات البلدية؛ فضلاً عن انقسام حركة فتح على نفسها وصراعاتها الداخلية؛ كل ذلك دفع بالرئيس عباس إلى تأجيل الانتخابات التشريعية، ومن ثم التهديد بتأجيلها مرة أخرى بعد رفض "إسرائيل" لإجراء انتخابات في القدس.

أما الاتحاد الأوروبي فقد أظهر رغبته بمشاركة حركة حماس في الحياة السياسية كخطوة أولى تجاه التخلي عن السلاح والاعتراف بـ "إسرائيل"، ولكن فشل هذا المسعى جعل دول الاتحاد الأوروبي تتبنى الموقف الأميركي.

أما "إسرائيل" فلم تكتف بالدعوة إلى إقصاء حماس عن المشاركة في الانتخابات، بل أخذت تعتقل قياداتها ومرشحيها للانتخابات، وصعّدت "إسرائيل" العمليات العسكرية ضد حماس، وهدّدت باستهداف قادتها وتصفيتهم، وواصلت الاعتقالات لتحقيق هدفها بعدم مشاركة الحركة في الانتخابات التشريعية الفلسطينية.

وقد حاول الإسرائيليون مرات كثيرة توظيف الالتزامات الأمنية للسلطة في خريطة



الطريق لمنع مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية)، هذا مقطع من استعراض أمل عيتاني في موقع الجزيرة نت في تاريخ ١١/ ١٢/ ٢٠٠٦ لكتاب الحصار الذي أعده وائل أحمد سعد.

وفي نفس الموقع وفي تاريخ ١٩/ ٩/ ٢٠٠٥ خبر بعنوان: "شارون يصعد ضد مشاركة حماس في الانتخابات ويلتقي عباساً" ومما جاء فيه: (وقال شارون الذي حضر قمة عالمية للأمم المتحدة في كلمة أمام زعماء اليهود الأميركيين: "تحدثت اليوم إلى الأمين العام للأمم المتحدة، تحدثت إلى كل زعيم أوروبي بشأن هذا الموضوع".

وأضاف متحدثاً باللغة الإنجليزية: «طلبت منهم أن يتفهموا موقفنا بهذا الشأن وأنه يتعين عليهم الضغط من أجل عدم مشاركة حماس في الانتخابات إلا بعد تسليم سلاحها وحظر ميثاقها).

التدرج في خطوات الإعداد للهجرة والانتخابات:

(التدرج في الخطوات): تحت هذا العنوان يقول د.عماد الدين خليل في مقاله خطوات في طريق الهجرة: (وقد رأيناه كيف تدرج في خطواته مع أهل يثرب؛ فقد طلب منهم أولاً أن يُسْلموا ويصدقوا وينظروا في قومهم، وبعد سنة بايعهم على ما لا خلاف عليه من أخلاق وفضائل، وأجّل طلب حمايته ونصرته، وأرسل معهم مصعباً ليتلو عليهم القرآن، وينظر في توقيت طلب النصرة منهم، وبعد سنتين طلب منهم البيعة على قدومه وحمايته، وجعل نقباءهم من أنفسهم).

أما تدرج خطوات حماس يصفه هذا المقطع من مقال لبشير موسى نافع وبعنوان: (دلالات فوز حماس استثناء متأزم أم تطور طبيعي؟)، نشرته الجزيرة نت في يوم الأحد ١٢/ ٢/ ٢٠٠٦: (وقد ساعد في تعزيز الثقة الشعبية في حماس النشاط الواسع الذي قامت به لدعم صمود الشعب طوال سنوات الانتفاضة، ورعايتها آلاف الأسر الفقيرة وأسر الأسرى والشهداء، وبينما تخلت السلطة عن معظم دورها في حماية المجتمع من وطأة الحصار والدمار والموت، كانت حماس تقوم بواجب لم يكن بالضرورة من الواجبات الملقاة على عاتقها.وقد ذهب الفلسطينيون إلى صناديق الاقتراع

وأعينهم مفتوحة، وهم على وعي كامل بخياراتهم وعواقب هذه الخيارات).

التمويه لإنجاح المهمة:

جعل رسول الله علياً ينام في فراشه ليموه على قريش ثم طلب من عامر بن فهيرة أن يأتي بالغنم، فيريحهما على مقربة من الغار للتغطية على آثار ابن أبي بكر.

أما حماس فقد استفادت من استطلاعات الرأي، وطلبت من مؤيديها أن يخبروا من يستطلع رأيهم بأنهم سينتخبون أو انتخبوا حركة فتح.

(ففي استطلاع للرأي أعده الدكتور نبيل كوكالي ونشره المركز الفلسطيني لاستطلاع الرأي حصلت فتح على ٣٩,٦٪ وحصلت حماس على ٢٨,٨٪، وفي ٢٠ - ٢١ يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٦ كانت النتيجة حسب استطلاع مركز استطلاعات الرأي والدراسات المسحية - جامعة النجاح ٣٩٪ لفتح و٢٣,٤٪ لحماس، أي تقدم فتح على حماس بشكل كبير.

ولكن النتائج الفعلية جاءت على عكس التوقعات، فلم تحصل فتح إلا على ٤٥ مقعدا مقابل ٧٤ مقعداً لحركة حماس) هذا الجزء من استعراض أمل عيتاني في موقع الجزيرة نت في تاريخ ٢٠٠٦/١٢/١١ لكتاب "الحصار" الذي أعده وائل أحمد سعد؛ وتحت عنوان: "القدوة لا يستبعد تأجيل الانتخابات الفلسطينية في آخر لحظة" والمنشور على موقع الجزيرة نت في تاريخ ٢٠٠٦/١/١٣: (وفي محاولة لطمأنة الجانبين الأميركي والإسرائيلي من مشاركة حماس قال مبعوث السلطة الفلسطينية الجديد إلى الولايات المتحدة عفيف صفية: إنه من غير المحتمل أن تفوز بأكثر من ثلث الأصوات، ولن تستطيع أن تشارك في ائتلاف حاكم).

وتوقع صفية - الذي كان مبعوثاً في لندن والفاتيكان - أن تفوز حركة فتح والمرشحون المستقلون بأكثر من ٦٥٪ من الأصوات قائلا إنها «أغلبية مريحة في نظام ديمقراطي).

من الواضح الأثر الذي أحدثه التمويه في إنجاح المهمتين، وخاصة مهمة حركة حماس فالخبر الذي أوردناه أخيراً كان في تاريخ ٢٠٠٦/١/١٣ أي قبل الانتخابات بـ ١٢ يوماً فقط مما



يؤكد أن النية كانت مبيتة لتأجيل الانتخابات في آخر لحظة كما يقول عنوان الخبر نفسه لولا هذا التمويه الذي ألهمه الله للقائمين على الحركة الذي أقنع فتح ومن قبلها الكيان الصهيوني وأمريكا لإبقاء الانتخابات في موعدها.

نجاح الهجرة ونجاح حماس في الانتخابات:

وصل رسول الله إلى المدينة ووصل قبله أتباعه ونجحت حماس في الانتخابات وحصلت على ٧٤ مقعداً أما فتح فلم تحصل إلا على ٤٥ مقعداً.

فما تداعيات هذين النجاحين؟

التعامل مع مجتمع المدينة والمجتمع الفلسطيني:

هذان المجتمعان متشابهان تقول د.هبة رؤوف عز في مقالها الهجرة والمدينة: (والنظر في خصائص المجتمع الذي هاجر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا دروساً كثيرة في كنه المدينة التي هاجر إليها الرسول ليتخذها منطلقاً لدعوة تخاطب العالمين، فيثرب كانت مجتمعاً تعدديّاً تتنوع فيه الأعراق والأديان، وكذا المجتمع الفلسطيني مجتمع مليء بالفصائل والأيدلوجيات، والإسلام ليس دين كل الفلسطينيين هذا أولاً.

أما ثانياً فإن مجتمع المدينة أصبح يضم المهاجرين والأنصار كما أن المجتمع الفلسطيني فيه السكان الأصليون واللاجئون، يقول أ.علاء محمد أبو دية زقوت في رسالة ماجستير في شؤون وأوضاع اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة:

(جاءت هذه الدراسة محاولة إبراز أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة، حتى منتصف عام ٢٠٠٨ م لمواكبة اتجاهات التغير في أوضاعهم مع مستجدات الحصار لقطاع غزة - كونهم يمثلون جزءاً هاماً - من الشعب الفلسطيني وشهدوا مأساته نتيجة طردهم من وطنهم بالإضافة إلى كونهم يمثلون ٢٣٪ من إجمالي أعداد اللاجئين الفلسطينيين وثلثي السكان القاطنين في قطاع غزة).

بناء الدولة الإسلامية الأولى وتشكيل أول حكومة بمرجعية إسلامية على أرض فلسطين

منذ سقوط الخلافة:

مما ترتب عليه في الحالتين الانتقال من قيادة أفراد إلى قيادة شعبين لهما احتياجات اقتصادية وأمنية ولكنها بنفس الوقت تحديات أمام هاتين السلطتين الناشئتين:

أولاً: التحديات الاقتصادية:

يصف د.راغب السرجاني هذه التحديات الاقتصادية في المدينة في مقاله في ظلال الهجرة النبوية: (الهجرة لم تكن أمراً سهلاً ميسوراً، الهجرة لم تكن ترك بلد ما إلى بلد ظروفه أفضل، وأمواله أكثر (ليست عقد عمل بأجر أعلى)، الهجرة كانت تعني ترك الديار، وترك الأموال، وترك الأعمال)، إذاً الهجرة جلبت إلى المدينة المهاجرين الذين أصبحوا بلا عمل.

ويقول د.محمد راتب النابلسي في: (السبت ٢١/ ٠٤/ ٢٠٠٧ ـ درس الأموي ـ فقه السيرة النبوية «القاعدة الاقتصادية في عهد النبي»ـ الدرس الثاني والخمسون): تحت عنوان لمحة عن حال أهل المدينة الاقتصادي:

(لمحات عن حالة أهل المدينة قبل مجيء رسول الله عليه الصلاة والسلام:

١ - حال الناس من حيث النشاط الاقتصادي:

كان اليهود يسيطرون على موارد التجارة، ويتعاملون بالربا، ويتحكمون بالأسعار، وكان عامة الناس ما بين مزارع، وراعٍ للشياه والإبل، وصيّاد، وصانع، وجامع للحطب، هكذا كان وضع الاقتصاد قبل مجيء رسول الله.

٢ - اليهود كانوا يتحكّمون في الاقتصاد).

أما في فلسطين فمن استعراض أمل عيتاني في موقع الجزيرة نت في تاريخ ١١/ ١٢/ ٢٠٠٦ لكتاب الحصار الذي أعده وائل أحمد سعد نقتطف: (وقد توقع تقرير للأمم المتحدة أن تصل معدلات البطالة لسنة ٢٠٠٦ إلى ٤٣٪.أما نسبة الفقر فقد كانت هي الأخطر، إذ إن معدل الفقر في الضفة الغربية وقطاع غزة ارتفع إلى ما يزيد عن ٦٦٪، وتعدى هذا المؤشر في قطاع غزة الـ٨٧,٧٪)،

وخصصت حلقة من برنامج ما وراء الخبر على قناة الجزيرة الفضائية بعنوان الأزمة المالية التي تعيشها الحكومة الفلسطينية الجديدة في تاريخ ٥/ ٤/ ٢٠٠٦ قال فيها د.موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس:

(لكن ليس هذا فقط؛ السلطة الآن عليها ديون ما يقارب مليارين على كل الوزارات، وعلى السلطة نفسها ما يقارب مليارين من الدولارات وبالتالي ليست فقط الخزينة فارغة، ولكنها أيضاً في مديونية، يعني بالناقص الميزانية الموجودة أو الأموال الموجودة الآن في السلطة).

ثانياً: التحديات الأمنية:

نجح رسول الله وبفضل من الله أن يحمي مشروعه وأتباعه عن طريق الهجرة إلى حين، ولكن الأعداء من حوله كثر؛ فطبيعة مجتمع يثرب والعداوات التي كانت قائمة بين الأوس والخزرج والمنافقون واليهود من داخل المدينة وقريش والقبائل العربية المشركة من خارجها، وفي خارج جزيرة العرب هناك الفرس والروم الكل يرقب الفرصة المناسبة للانقضاض على هذا المشروع وإنهائه.

ويتكرر الوضع نفسه في فلسطين، فالسلطة وما يصنعه بعض رموزها من فلتان أمني، واليهود في داخلها والأنظمة العربية المتحالفة معهما من خارجها، وفي البعيد يقف الغرب بقيادة أمريكا؛ الكل يتربص بحماس ومشروعها.

ولقد رصدنا على موقع الجزيرة نت أكثر من ٣٠٠ وثيقة بتواريخ وسنوات مختلفة؛ تبين التحدي الأمني الذي تواجهه حكومة حماس نورد لكم أجزاء من بعضها:

خبر في ٣/ ١٠/ ٢٠٠٤ بعنوان صلاح الأجهزة الأمنية الفلسطينية بين الجدية والتشكيك موسى عرفات للجزيرة نت: تعييني ليس شكليا ومما جاء فيه: (وأعادت عمليات الاختطاف التي شهدها قطاع غزة، فتح ملف الانفلات الأمني في الأراضي الفلسطينية بقوة، ووضعت علامات استفهام كبيرة بشأن ضرورة التغيير الفعلي وتنفيذ المطالب الداخلية والضغوط الخارجية الداعية لتوحيد الأجهزة الأمنية الاثني عشر وصهرها في ثلاثة).

وآخر في٢٤/ ٤/ ٢٠٠٥ م بعنوان: الفلسطينيون يرحبون بالتغييرات في الأجهزة الأمنية، مما جاء

فيه: (يتطلع الشارع الفلسطيني إلى أن تسهم التغييرات في صفوف الأجهزة الأمنية الفلسطينية في وضع حد لحالة الفلتان الأمني والفوضى التي راح ضحيتها المئات خلال السنوات الأربع الماضية بعد أن فقدت السلطة الفلسطينية سيطرتها الأمنية على معظم المناطق في أعقاب تدمير قوات الاحتلال الإسرائيلي المتعمد للمقرات والمؤسسات الأمنية الفلسطينية).

وفي عنوان ١٧/ ٦/ ٢٠٠٥ المحامون الفلسطينيون يتظاهرون ضد الفلتان الأمني.

وعنوان آخر في ١٩/ ٦/ ٢٠٠٥ فلسطينيون يفكرون في الهجرة بسبب الانفلات الأمني.

وخبر في ١٦/ ١٢/ ٢٠٠٦ بعنوان مشعل يرفض الحرب الأهلية ورايس تدعم حرس عباس، (وترافق التدهور الأمني بغزة والضفة مع تصعيد للمواجهة السياسية بين أقطاب السلطة).

وخبر في ١٧/ ١/ ٢٠٠٧ بعنوان عباس لا يريد حواراً مع مشعل ويتمسك بخيار الانتخابات ومما جاء فيه: (وفي إطار السعي لوضع حد لحالة الفلتان الأمني الداخلي عين محمود عباس، بموجب مرسوم رئاسي، العميد ماجد فرج مديراً عاماً للاستخبارات العسكرية بالضفة الغربية والعميد ذياب الحمدوني (أبو الفتح) قائداً لقوات الأمن الوطني بالضفة الغربية).

يقول ضابط المخابرات المتقاعد البريطاني (الستر كروك) في مقال في مجلة «بروسبكت»: «إن الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بانهيار الحكومة التي تقودها حماس ... وقال أيضاً: يجب أن يعاقب الفلسطينيون لسبب اختيارهم لحركة حماس وشجع في نفس المقال حركة فتح التدرج في الانقلاب على حركة حماس.

ورغم كل هذه التحديات المشتركة التي ستقود الأحداث وبإرادة من الله لتصنع التشابهات القادمة، فإن اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين يملأ القلوب ويجعلها مسلمة لتدبير الله، الذي يتدخل مرة تلو مرة لينقذ صاحب المشروع الأول وورثته الحاليين.

وبدون تدبير أو تخطيط من المسلمين تتدخل الإرادة الربانية لترتيب المرحلة القادمة، واللطيف أيضاً أنه سبحانه سيّر الأحداث في غزة لتقود إلى مرحلة أخرى، دون تخطيط أو إرادة بشرية أو حتى قرار سياسي من القيادة.





المرحلة الثالثة

غزوة بدر والحسم العسكري في غزة بتاريخ ١٤/ ٦/ ٢٠٠٧:

إن أول ما يلفت انتباهنا من تشابه بين بدر والحسم العسكري (سيطرة حماس على غزة) هي في تشابه تواريخ الأحداث وترتيبها؛ فالأول جاء بعد عام ونصف من الهجرة والثاني جاء بعد عام ونصف من الانتخابات.

وإن الأحداث جاءت بدون تخطيط أو إرادة من القيادة، إنما توالت الأحداث هنا وهناك لتفرض الإرادة الإلهية، ولذلك كان التجهيز لمعركة بدر مفاجئاً وبالإمكانات المتاحة رغم اختلال ميزان القوى، حيث وصل الخبر للمسلمين بأن قافلة أبي سفيان بن حرب قدمت من الشام، وتحمل أموالاً وتجارة لقريش، وقُدّر عدد الرجال فيها ما بين ثلاثين إلى أربعين رجلاً من قريش، فلما وصل الخبر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يُنْفِلُكُموها.

فبدأ الناس يستعدون للانطلاق، البعض جهز سلاحاً والبعض الآخر لم يجهز سلاحاً بل وسيلة نقل من ناقة وخلافه، إذ إنهم لم يعتقدوا باحتمالية قيام الحرب.

أما الحسم فكان استجابة سريعة لتسارع الأحداث دون تخطيط، ينقل موقع الرباط الفلسطينية الإلكتروني في تاريخ ٧/ ٧/ ٢٠٠٧ عن «موسى أبو مرزوق» نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس: (إن حركته لا تجد حلاً للخروج من الأزمة في الأراضي الفلسطينية إلا من خلال الحوار، مشيراً إلى أن الحسم العسكري في قطاع غزة لم يكن نابعاً من قرار سياسي، لكنه جاء اجتهاداً من بعض القيادات الميدانية).

أما فرق الإمكانات بين السلطة وحماس يذكرها الأستاذ فهمي الهويدي من خطاب وجهه في ١٠ يناير ٢٠٠٧ م رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية إلى رئيس السلطة أبو مازن، نصها

كما يلي:

(نهديكم أطيب التحيات، ونسأل الله لكم التوفيق والسداد، لقد توافر لنا بعض المعلومات في الآونة الأخيرة، تشير إلى خطة أمنية تهدف إلى الانقلاب على الحكومة والخيار الديمقراطي للشعب الفلسطيني، ويمكن إيجاز هذه المعلومات في النقاط التالية:

– إدخال كميات ضخمة جدّاً من السلاح لصالح حرس الرئاسة من بعض الجهات الخارجية، بمعرفة ومباركة من أمريكا والكيان الصهيوني.

– تشكيل قوات خاصة من الأمن الوطني تقدر بالآلاف لمواجهة الحكومة الفلسطينية والقوة التنفيذية، واعتماد "مقر أنصار في غزة" مقرّاً مركزيّاً لها.

– تجهيز هذه القوات بالسيارات والدروع والسلاح والذخيرة وصرف الرواتب كاملة للموالين.

– عقد اجتماعات أمنية حساسة لعدد من ضباط الأمن الفلسطيني في مقر السفارة الأمريكية حيث تناقش فيها خطط العمل.

– البدء بإجراءات إقالة لعدد من الضباط واستبدالهم بشخصيات أخرى، مع العلم أن لجنة الضباط هي المختصة بهذه الشؤون، كذلك تعيين النائب محمد دحلان من طرفكم شفويّاً كقائد عام للأجهزة الأمنية، وفي ذلك مخالفة قانونية.

– تهديد الوزراء ورؤساء البلديات بالقتل، حيث تم الاعتداء على الوزير (وصفي قبها) وزير الأسرى، وإعلامه عبر مرافقه أن الاعتداء القادم سيقتله.

– وكذلك تم تكليف أحد أصحاب المليارات الفتحاويين من غزة بتصفية الوزير عبد الرحمن زيدان – وزير الأشغال والإسكان – مقابل ٣٠ ألف دولار.

الأخ الرئيس، بناء على ما سبق وغيره الكثير من المعلومات التي نمتلكها، فإننا نعبر عن بالغ أسفنا إزاء ما ورد، حيث إن ذلك يهدد النظام السياسي الفلسطيني، والنسيج الوطني والاجتماعي ويعرض القضية برمتها للخطر.

نرجو منكم اتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة لحماية شعبنا وقضيتنا، ونحن سنظل أوفياء وحريصين على وحدة الشعب ولحمته، واقبلوا وافر التحية".

في الوقت الذي أرسل فيه السيد إسماعيل هنية هذا الخطاب إلى أبي مازن، كانت أمامه معلومات محددة حول بعض تفصيلات الإعداد للخطة الأمنية التي منها على سبيل المثال:

– تعيين محمد دحلان قائداً عامّاً للأجهزة الأمنية.

– اختيار ١٥ ألف عنصر من الموالين، لتشكيل قوة خاصة في الأمن الوطني لمواجهة حماس.

– دخول ١٥٠ سيارة جيب مزودة بأجهزة الاتصال اللاسلكي.

– توفير ٢٠٠٠ مدفع كلاشنكوف، إضافة إلى ثلاثة ملايين رصاصة.

– توفير الملابس الخاصة والدروع للقوة الجديدة.

– إعادة بناء الأجهزة الأمنية كافة، وإقالة ١٥ من قادتها واستبدال آخرين موالين لهم.

– إقالة ١٨٥ من ضباط الأمن الوطني لتنقية صفوف الجهاز من غير الموثوق في موالاته).

إذن؛ أراد الله بدراً معركة، وأرادها المسلمون قافلة يعيدون فيها جزءاً مما سلبهم إياه المشركون في مكة.

وجاء الحسم رداً على الاضطهاد والفلتان الأمني والفساد وسرقة الأموال الذي تمارسه بعض أجهزة السلطة على الشعب الفلسطيني، وعن هذا الفلتان وتوضيح دور الجنرال دايتون فيه نشرت في يوم ١٤ يونيو ٢٠٠٧ م صحيفة "يونجافليت" الألمانية تقريراً لمعلقها السياسي فولف راينهارت قال فيه:

(إن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش خططت منذ فترة طويلة لتفجير الأوضاع الداخلية الفلسطينية، وتحريض تيار موال لها داخل فتح على القيام بتصفيات جسدية للقادة العسكريين في حركة حماس".

وقد تحدث في هذا الموضوع صراحة الجنرال كيث دايتون مسئول الاتصال العسكري

الأمريكي المقيم في تل أبيب، في جلسة استماع عقدتها في أواخر مايو الماضي لجنة الشرق الأوسط بالكونجرس الأمريكي. وفي شهادته ذكر الجنرال دايتون أن للولايات المتحدة تأثيراً قويّاً في تيارات حركة فتح كافة، وأن الأوضاع ستنفجر قريباً في قطاع غزة، وستكون عنيفة وبلا رحمة.

وقال: إن وزارة الدفاع الأمريكية والمخابرات المركزية ألقتا بكل ما يملكان من ثقل، في جانب حلفاء الولايات المتحدة والكيان الصهيوني داخل حركة فتح. كما أن تعبئة الأجهزة الأمنية والعسكرية التابعة لرئيس السلطة الفلسطينية ضد حماس، يمثل خياراً استراتيجيّاً للإدارة الأمريكية الحالية، وهو ما يفسر أن الكونجرس لم يتردد في اعتماد مبلغ ٥٩ مليون يورو لتدريب الحرس الرئاسي في بعض دول الجوار، وإعداده لخوض مواجهة عسكرية ضد حركة حماس.

وأضاف المعلق السياسي للصحيفة الألمانية أن التيار الأمريكي الصهيوني داخل فتح لم ينجح رغم كل الدعم السخي الذي قدم إليه في كسر شوكة حماس. وهو ما دفع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى استدعاء خبرتها السابقة في جمهورية السلفادور، وتوجيهها للعناصر "الفتحاوية" المرتبطة بها لتشكيل فرق الموت لاغتيال قادة وكوادر حماس، وتحدث راينهارت في هذه النقطة عن خيوط كثيرة تربط بين فرق الموت والحرس الرئاسي الفلسطيني والمستشار الأمني النائب محمد دحلان، ونسب إلى خبيرة التخطيط السياسي بالجامعات الصهيونية "د. هيجا ياو مجارتن" قولها: إن دحلان مكلف من وكالة المخابرات المركزية وأجهزة أمريكية أخرى بتنفيذ مهمة محددة، هي تصفية أي مجموعات مقاومة للكيان الصهيوني داخل وخارج حركة حماس).

وتم حسم معركة بدر بنصر المسلمين بسرعة رغم أن قريش كانت تظن أنها خارجة إلى نزهة وها هي قولة أبي جهل المشهورة تؤكد ذلك: (لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم ثلاثاً ننحر الجُزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبداً).

وهذا ما توقعته رموز السلطة: أنها قادرة على إنهاء حماس خلال ٣ ساعات.

أما الحقيقة فيرويها لنا جزء من تقرير لحركة (باكس كريستي):

(وفي ٩ حزيران بدأت محاولة حماس السيطرة على السلطة في غزة بالعنف. وخلال ثلاثة أيام هزمت حماس القوات الموالية لفتح واستولت على المقرات الرئيسية للقوى الأمنية والأبنية

الرئاسية. زعمت حماس بأن ذلك كان عملاً استباقياً بقصد ضمان عدم استيلاء أي من الجماعات التي لها علاقة بفتح على السلطة، وهو زعم لا يبدو بأنه من دون أساس، حيث يبدو أن محمد دحلان، رئيس جهاز الأمن في غزة، كان يستعد لاستخدام الوسائل العسكرية للتخلص من قيادة حماس.

أما حماس فقد أعادت النظام إلى غزة، وسيطرت بشكل تام على العنف، واحتكرت بشكل كامل تقريباً النشاطات السياسية وعدّلت القوانين والأنظمة).

وخلال هذه الساعات القليلة التي استغرقها الحسم في بدر استطاع المسلمون قتل عدد من صناديد قريش، كما استطاعت حماس قتل عدد من الجواسيس والمتآمرين مع الاحتلال.

أما النتائج فقد قلبت واقع المرحلة على طرفي التاريخ السياسية منها والعسكرية وكانت كالتالي:

١. غنم المسلمون في بدر غنائم مادية ومعلوماتية، كما نتج عن الحسم السيطرة على كثير من مؤسسات السلطة وتم من خلال ملفاتها معرفة كثير من معلومات التنسيق بين السلطة والاحتلال لمحاربة المقاومة وهذا ما يجعلها في خندق واحد مع اليهود.

٢. صار للمسلمين بعد بدر في المدينة تشكيل متكامل لجيش مهيب، أما الحسم فقد مكَّن حماس من تحويل جناحها العسكري إلى ما هو أشبه بالجيش النظامي بتشكيلاته رغم أنه يخوض حروب عصابات (هذا ما أعلنته معلومات استخباراتية صهيونية)، ومكن الحسم حماس من تحسين تسليح جناحها العسكري.

٣. بدر رفعت من معنويات المسلمين وقوتهم وحفزتهم للاستمرار بالمواجهة وعززت القناعات بالنصر القادم، والحسم العسكري رفع معنويات حماس وأنصارها في كل مكان.

أما قريش فخرجت من المعركة بحقد شديد ورغبة بالانتقام، وهذا تماماً كان حال السلطة واليهود.

وهنا نطوي صفحة لنفتح أخرى من التشابه.

تمهيد للمرحلة الرابعة

علم عبد الله بن أبي بن سلول واليهود في المدينة أن قريشاً لن تهدأ حتى ترد هيبتها واعتبارها، وأنها تعد لضربة قادمة تكون القاضية تنهي وجود المشروع الإسلامي، فأعدوا خطتهم ليشاركوا قريشاً ضربتها القاضية وذلك من خلال ستمائة من اليهود وبقيادة ابن أبي بن سلول يطبقون على المسلمين أثناء المعركة ومن الخلف، وأنه بعد القضاء على قيادة المسلمين سيعود الوضع في المدينة إلى ما كان مخطط له من تتويج لعبد الله بن أبي بن سلول ملكاً على المدينة.

(إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم أحد حتى إذا جاوز ثنية الوداع إذا هو بكتيبة خشناء فقال: من هؤلاء؟ فقال: عبد الله بن أبي بن سلول في ستمائة من مواليه من اليهود من أهل قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام قال: وقد أسلموا قالوا: لا يا رسول الله قال: قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين). (الألباني، السلسلة الصحيحة ٣/ ٥٧)، (مسند الإمام أحمد ١٥٣٣٦).

ومثل ذلك فعلت بعض قيادات السلطة بأن تآمرت مع الاحتلال إن لم تكن هي المحرض الرئيس للاحتلال للقضاء على حماس العدو المشترك ووعدته أنه بعد الضربة الأولى سيثور الناس على حماس وستدخل هي بمقاتليها لإعادة الوضع في غزة لسالف عصره، وفعلاً جهّزت هذه القيادات ستمائة مقاتل (وهو نفس العدد من منافقي ويهود المدينة) في العريش للانقضاض على غزة.

في حلقة من برنامج «حكي ع المكشوف» بثت فضائية فلسطين التابعة للسلطة الفلسطينية ليل الجمعة ١٢/٨/ ٢٠١١ لقاءاً مع عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» جمال محيسن القيادي قال فيه: إن «مخابرات الاحتلال التقت دحلان وبعض المحسوبين عليه في الأمن الوقائي لتنسيق الحرب على غزة وما بعدها»، ونشر موقع الجزيرة نت في تاريخ ٢/ ٢/ ٢٠٠٩ خبراً بعنوان: (نواب مصريون يقاضون حكومتهم لموقفها من حصار غزة) جاء فيه:

(وكشف النائب حمدين حسن عن وجود رجال أمن فلسطينيين تابعين للقيادي في حركة

فتح محمد دحلان، على الجانب المصري لمعبر رفح للتعرف على هوية الجرحى الذين دخلوا مصر، للتعرف على أنصار حماس، «وهو ما أكد ما سمعناه عن تعذيب جرحى فلسطينيين في مصر، ونقل عن سكان في رفح أن قوات دحلان كانت على معبر رفح تنتظر العدوان لاجتياح غزة».

أما النائب حازم فاروق فاستنكر منع ثمانية نواب مصريين من الوصول إلى الحدود ومعهم نواب الجزائر والمغرب و٢٠ نائباً من البرلمان الماليزي، بينما تم السماح لوفد من المهندسين العسكريين الأميركيين بالتفتيش على الحدود، ولقوات دحلان بالتدريب في العريش على أمل دخول غزة على ظهر الدبابات الإسرائيلية).

أن هذا المذكور أعلاه كان يعتبر نفسه ملك غزة كما كان عبد الله بن أبي يعد نفسه ليتوج ملكاً على يثرب، واسمعوا ما قاله ياسر عرفات - في تعليق له بعد حملة دحلان ضده في صيف عام ٢٠٠٤: (لن يتحول قطاع غزة لمزرعة دحلان الخاصة طالما أنا على قيد الحياة).

أما دعم القبائل العربية فكان كبيراً جداً لقريش للقضاء على المسلمين، ومثله كان دعم كثير من الأنظمة العربية للاحتلال بالقضاء على العدو المشترك «حماس» وهذا ما يؤكده الخبر السابق.

وفي داخل قريش كان لهند بنت عتبة زوج أبي سفيان الدور الأكبر في التحريض للقضاء على المسلمين.

قال ابن إسحاق: فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرضن على القتال، فقالت هند فيما تقول:

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأديار ضربا بكل بتار

وتقول أيضاً:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق.

ويقول ابن إسحاق أيضاً: (وكان وحشي كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول: ويها أبا

دسمة اشف واشتفِ. يعني تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب).

وداخل الكيان الصهيوني وحليفته أمريكا كانت لتسيبي ليفني ورايس وزيرتي الخارجية الدور الأكبر في التحريض على المعركة.

(وكانت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني تعهدت بعد اجتماع الخميس بالرئيس المصري المخلوع في القاهرة بتغيير الأوضاع في غزة، وقالت: إن حكومتها لن تسكت على الصواريخ الفلسطينية).

هذا مقطع من خبر بعنوان «حماس نفت وجود عرض تهدئة» في تاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨ أي قبل العدوان بيوم واحد على موقع الجريرة نت.

وفي السنة الثالثة من الهجرة وفي السنة الثالثة من الانتخابات كان التاريخ مهيئاً تماماً لمرحلة جديدة من الصراع، وصفحة جديدة من التشابه كذلك.



المرحلة الرابعة:

غزوة أحد والعدوان على غزة «الفرقان» ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨

قال ابن إسحاق: فخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها، وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة.

ولو كان ابن إسحاق حياً وأراد أن يؤرخ للعدوان على غزة لقال: «فخرجت (إسرائيل) بحدها، وحديدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من أنظمة عربية».

استعد المسلمون للقتال (قال قتادة: يوم السبت)، وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر جيشه، فاستفاد من جبل في المكان وضع عليه خمسين من الرماة أمَّر عليهم عبد الله بن جبير؛ هدفهم حماية ظهور المسلمين، وقال لهم صلى الله عليه وسلم: - في رواية البخاري - (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) (كتاب الحج ٢٨٢٩).

لكن الرماة استعجلوا النصر، ونزلوا عن جبلهم مما أدى إلى استشهاد قائدهم وزعزعة صفوف المسلمين لبرهة من الوقت.

وفي يوم السبت أيضاً لكن بعد أكثر من ١٤٠٠ عام بدأ العدوان على غزة وكانت الضربة الأولى موجهة إلى حفل لتخريج الشرطة - حماة ظهور المجاهدين-، واستشهد قائدهم توفيق جبر وكثير منهم؛ مما أدى إلى زعزعة صفوف الحركة لفترة من الزمن.

ولعل من لطيف التشابه أن الحادثين وما نتج عنهما كانا بسبب مخالفة أوامر القيادة هنا وهناك، ففي حادث الرماة أمرهم رسول الله أن لا ينزلوا عن جبلهم حتى لو شاهدوا المسلمين يقتلون، وفي قصة حفلة الشرطة تمت مخالفة أوامر القيادة حيث جاء الأمر للواء توفيق جبر أن يلغي الحفل لكن الأخير أصر على إقامته.

رحم الله القائدين الشهيدين اللذين تشابهت ملامح قصتيهما إلى حد أن التشابه في اسميهما: الصحابي عبد الله بن جبير واللواء توفيق جبر.

وشهدت معركة أحد سقوط عدد كبير من الشهداء على رأسهم: أسد الله حمزة بن عبد المطلب أهم قادة المسلمين العسكريين؛ فقد جاء عبد حبشي مشرك ماهر بالرماية اسمه وحشي أمره سيده بقتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ووعده بأن يجعله حراً إن قتله، وبقي طيلة المعركة يتحين الفرصة حتى وجد نفسه وجها لوجه أمامه، فرفع حربته وهزها ثم رماها فاخترقت جسد حمزة الذي وقع شهيداً).

كما استشهد الداعية الأول مصعب بن عمير، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: (بدأ مقاتلون آخرون يهبون لنجدة الرسول منهم مصعب بن عمير وزياد بن السكن وخمسة من الأنصار، فدافعوا عن الرسول، ولكنهم قتلوا جميعاً، وعندما قَتَلَ ابنُ قميئة الليثي مصعبَ بن عمير ظن أنه قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فصاح مهللاً: «قتلت محمداً»).

ومثل ذلك حصل في العدوان على غزة، إذ سقط كثير من الشهداء، وعلى رأسهم الأسد سعيد صيام أهم قادة حماس العسكريين والداعية العالم الرباني نزار ريان.

ثبت المسلمون في أحد بعد مباغتة قريش لهم من خلف ظهورهم؛ رغم شدة الضربات التي كادت تقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما صبر وثبت المجاهدون ومعهم أهل غزة على شدة الضربات أثناء العدوان وسعي العملاء إلى زعزعةالصف الداخلي.

وكما فعل حسان بن ثابت بتثبيت المسلمين بشعره في أحد، فعلت فضائية الجزيرة والأقصى والقدس بتثبيت الناس على العموم، وتحفيز المجاهدين في غزة على الخصوص.

خاض المسلمون أُحداً دون تدخل أي طرف حليف، وفي العدوان على غزة لم يتدخل أي حليف خارجي لفصائل المقاومة بالمعركة بشكل مباشر (كحزب الله وسوريا أو غيرهما).

ومن نساء المسلمين في أحد نسيبة بنت كعب – أم عمارة –، فلما رأت النبي صلىالله عليه



وسلم في أرض المعركة قد تكالب عليه أعداؤه من يمنة ويسرة رمت القراب التي كانت تسقي بها جرحى المسلمين، وأخذت تدافع عنه، فقال الرسول عنها: ((ما رأيت مثل ما رأيت من أم عمارة في ذلك اليوم، التفتُّ يمنة وأم عمارة تذود عني، والتفت يسرة وأم عمارة تذود عني))، وقال لها النبي في أرض المعركة: ((من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟! سليني يا أم عمارة)) قالت: (أسألك رفقتك في الجنة يا رسول الله) قال: ((أنتم رفقائي في الجنة)). (رواه ابن سعد في الطبقات: ٨/ ٤١٤)

وفي غزة تأست القساميات بصحابيات رسول الله، فكن يدفعن أبناءهن وأزواجهن للجهاد، وكان منهن آلاف الاستشهاديات الجاهزات لتفجير أنفسهن إذا دعت الحاجة.

وفي أُحُد أنعم الله على الصحابة بالطمأنينة والنوم: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ (آل عمران: ١٥٤).

يروي أحد مجاهدي القسام عن الطمأنينة التي كانوا يعيشونها في المعركة في (برنامج حوار) مفتوح، بعنوان: «مقاتلو القسام بين الركام ومواقع المعارك» ج١ في تاريخ ٢١/ ٢/ ٢٠٠٩:

(مقاتل ٦: كثافة النار والمدافع اللي كانت تضرب كثيفة شديدة جداً، لكن يعني أقسم بالله عز وجل أنه كانت لدينا طمأنينة مش طبيعية، والله العظيم في لحظة من اللحظات هيك يعني هديت الأمور شوي، ودخلنا في مبنى تمركزنا، وجزءٌ منا نام وجزء منا بقي صاحياً، فلقينا في المبنى شاي ونسكافيه ومش عارف إشي، فلما جاء الأخوة يصحوا النايمين، ويجلسوهم كان في طاولة، لقينا الأخوة اللي كانوا صاحيين حاطين عليها كاسات شاي وطعام ومش عارف إيش، وبعدين والمدافع بتضرب والدنيا قائمة بره وكذا، القصد يعني الطمأنينة اللي كان فيها الشباب يعني شكل لا تتصوره).

وقاتلت الملائكة يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي "الصحيحين": عن سعد بن أبي وقاص، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد).

وفي غزة يروي موقع القسام في تاريخ ٢٦/ ١/ ٢٠٠٩ قصة مشابهة تحت عنوان "جنود الرحمن تقاتل مع القسام في معركة الفرقان":

(وحديث الجنود الصهاينة وقادة العملية عما رأوه من أشباح ترتدي االلباس الأبيض، وتركب الخيول أكدته رواية أحد المجاهدين حيث يروي قصة يقول فيها: "يوجد منزل لعائلة دردونة عند مفترق جبل الكاشف مع جبل الريس في شارع القرم، ارتقى الجنود المنزل وأجلسوا العائلة كلها في غرفة واحدة واصطحبوا أحد شباب العائلة معهم للتحقيق، وأخذوا يسألونه ماذا يلبس مقاتلو القسام فأجاب أنهم يلبسون زياً أسود".

وأضاف الراوي: "حينها ثارت ثائرة الجنود، وانهالوا عليه بالضرب حتى أغشي عليه، وفي اليوم التالي أتى به الجنود، وسألوه نفس السؤال ليعاود هو الإجابة نفسها بأن جنود ومقاتلي القسام يرتدون الزي الأسود، ليقوموا مرة أخرى؛ وبغضب وحنق شديد بضربه حتى أغشي عليه، وفي اليوم الثالث عاود الجنود إحضار الشاب وسألوه نفس السؤال فأجابهم ذات الإجابة فأخذ أحدهم يسبه ويشتمه ليقول له: "يا كذاب إنهم يلبسون زياً أبيض").

ومن كرامات الصحابة في أحد وفي "مغازي الأموي": أن المشركين صعدوا على الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: اجنبهم. يقول: اردد‌هم. فقال: كيف أجنبهم وحدي؟ فقال: ذلك ثلاثاً، فأخذ سعد سهماً من كنانته، فرمى به رجلاً فقتله، قال: ثم أخذت سهمي أعرفه، فرميت به آخر فقتلته، ثم أخذته أعرفه، فرميت به آخر فقتلته، فهبطوا من مكانهم، فقلت: هذا سهم مبارك، فجعلته في كنانتي، فكان عند سعد حتى مات، ثم كان عند بنيه.

وفي غزة يروي موقع القسام وتحت نفسس العنوان السابق بعضا من كرامات مجاهديه:

(ومن الدلائل التي استدل بها المجاهدون وطمأنت قلوبهم وأشعرتهم بمدد الله لهم ونصرته أنه في جبل الريس وقبل انطلاق أي صاروخ من العدو الصهيوني تجاه المجاهدين كان الحمام يطير في الجو محدثاً صوتاً يلفت الانتباه مما جعل المجاهدون في كل مرة يأخذون حذرهم ويؤمنون أنفسهم

مما حماهم من الإصابة في أكثر من موقع كما أفاد أحد المجاهدين المقاتلين في تلك المنطقة.

لقد علم رجال القسام أن الله يقول للشيء كن فيكون، فهو الذي أذهب خاصية الحرق من النار وخاصية الذبح من السكين، لذلك فهو القادر أن يسكت الكلب المسعور ويجعله كلباً أليفاً مستأنساً رغم أنه مدرب على التهام العدو والتنكيل فيه، فهذه إحدى المجموعات القسامية كانت ترابط في نقطة متقدمة وفي منتصف ليلتهم تلك إذ ظهر فجأة كلب صهيوني مدرب من نوع «دوبر مان» وهو كلب صهيوني مدرب يساعد الجنود الصهاينة في العثور على السلاح وعلى المقاومين فأخذ هذا الكلب الضخم يقترب متوحشاً من المجاهدين ويضيف الراوي فإذا بأحد المجاهدين يقول له: «نحن مجاهدون في سبيل الله ومأمورون أن نكون في هذا المكان فابتعد عنا ولا تصيبنا بأي ضرر» فيقول المجاهد مكملاً سرد الحكاية: فإذا بالكلب يجلس ويمد قدميه ويهدأ فقام أحد المجاهدين بإطعامه تمرات كانت معه فأكلها هادئاً ثم انصرف).

أما التشويه والتمثيل بجثث الشهداء في أحد فتذكر الروايات أن هند بنت عتبة بقرت كبد حمزة بن عبد المطلب فلاكته فلم تستطعه فلفظته، فقد كان له ما يشابهه في العدوان على غزة من تشويه لجثث الشهداء والتمثيل بهم وسرقة أعضائهم بعد العدوان، ناهيك عن تشويه أجساد الأحياء باستخدام القنابل الفسفورية وغيرها من القنابل التي أدت إلى بتر أعضاء الأحياء.

وانتهى القتال في أحد كما بدأ في نفس اليوم يوم السبت، وانتهى العدوان على غزة يوم السبت لكن بعد ٢٢ يوماً.

إن انتهاء القتال في أحد كان بمثابة النصر للمسلمين؛ فقد حال دون قتل رسول الله وهو الهدف الأكبر لقريش في هذه المعركة: (فبعد أن احتمى المسلمون بصخرة في جبل أحد تقدم أبو سفيان من سفح الصخرة ونادى «أفي القوم محمد»؟ ثلاث مرات لم يجاوبه أحد، ولكن أبا سفيان استمر ينادي «أفي القوم ابن أبي قحافة»؟ «أفي القوم ابن الخطاب»؟ ثم قال لأصحابه: «أما هؤلاء فقد قتلوا»، ولكن عمر بن الخطاب لم يتمالك نفسه، وقال: «كذبت، والله إن الذين عددتهم لأحياء

كلهم»، ثم صاح أبو سفيان: «الحرب سجال، أُعل هبل، يوم بيوم ببدر»، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «الله أعلى وأجل، لا سواء! قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار»).

أما انتهاء العدوان على غزة فكان نصراً وإنجازاً للمقاومة، التي منعت العدوان من تحقيق أهدافه بالقضاء على حماس في غزة.

(أكد القيادي البارز في حركة المقاومة الإسلامية حماس د. إسماعيل رضوان أن الحرب الإسرائيلية الأخيرة على قطاع غزة لم تحقق أياً من أهدافها المرجوة والتي تمثلت في إنهاء وإسقاط حكم الحركة ووقف الصواريخ والقضاء على مقاومة غزة). جزء من حوار أجراه معه ضياء كحلوت بعنوان: حماس؛ الحرب لم تحقق أهدافها، ونشره موقع الجزيرة نت في تاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٩.

وعاد رسول الله إلى المدينة فوجد أن الأمن وإدارة أمور المسلمين في المدينة كانت كما خطط وجهز لها قبل خروجه للمعركة، حيث عين حامية لها، جعل فيها الشباب الذين لم يجيزهم في الغزو لصغر سنهم وكبار السن، وجعل محمد بن مسلمة أميراً على هذه الحامية؛ خوفاً من أن يطرقها طارق، وأناب عنه من يدير شؤون الناس حتى يرجع. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

وفي غزة: (سرد محمد عوض الأمين العام لمجلس الوزراء بياناً متلفزاً بثته فضائية الأقصى مساء الأحد يبين إنجازات الوزارات المختلفة في حكومة إسماعيل هنية أثناء الحرب، بما في ذلك صرف رواتب الموظفين عن ديسمبر/ كانون الأول الماضي.

وأكد المسؤول الفلسطيني أن الحكومة واصلت - رغم قصف مقراتها - العمل على تسخير جميع الإمكانات لخدمة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وتخفيف معاناته، موضحاً أن الحكومة بمختلف أذرعها عملت بالطاقة القصوى في كل الوزارات.

أما عن الوضع الأمني فقال: إن وزارة الداخلية والأمن الوطني تأقلمت مع الواقع بسرعة رغم استهدافها المباشر وتدمير جميع مقراتها، وتوزعت المهام والانتشار على الأرض، فيما ضبط



العديد من الحالات التي تعمل على هدم الجبهة الداخلية)، مقطع من خبر منشور على موقع الجزيرة نت في تاريخ ١٢/ ١/ ٢٠٠٩ وبعنوان غزة بحاجة إلى مليار دولار لإعادة الإعمار.

خرج رسول الله في اليوم التالي للمعركة يوم الأحد لمعركة حمراء الأسد لإرهاب الكفار وإثبات قدرة المؤمنين على مواصلة القتال يقول ابن كثير): ولما أصبح يوم الأحد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النهوض في طلب العدو إرهاباً لهم وهذه غزوة حمراء).

وحاكى المجاهدون في غزة معركة حمراء الأسد بإطلاقهم ٢٢ صاروخاً على مدن العدو، وكان ذلك – بعد إعلان وقف الحرب من طرف اسرائيل – وأيضاً في يوم الأحد وذلك لإثبات قدرة المقاومة على مواصلة القتال، وإعلان أن هدف العدو بالردع لم يتحقق.

نتائج معركة أحد والعدوان على غزة:

١. كانت أحد فرزاً أولياً لصفوف المسلمين والكشف عن المنافقين، والعدوان كان كفيلاً بهذا الفرز الأولي في فضح المتعاونين مع الاحتلال في فلسطين وخارجها.

٢. أحد كانت تنقية وتمحيصاً للصف المسلم وتوحيده أكثر فأكثر حول قيادته، ومثل ذلك فعل العدوان على غزة.

٣. أما النتيجة الأهم فقد كانت قناعة قريش بقوة المسلمين وعدم قدرة قريش القضاء عليهم دون الاستعانة الحقيقة بغيرهم من الحلفاء، وربما هذا ما خلص له الاحتلال بعد عدوانه على غزة وسنرى تجليات هذا الاستنتاج في المرحلة القادمة.

انتهت أحد، وانتهى العدوان على غزة، لكن جولات المواجهة بين الحق والباطل مستمرة، حتى يدمغ الحق الباطل.

ومع انتهاء تلك الجولة بدأ الإعداد للجولة القادمة.

المرحلة الخامسة:

غزوة الأحزاب وأحداث شهري ١٢/٢٠١٠ و١/٢٠١١

بعد عامين تماماً من غزوة أحد وفي العام الخامس للهجرة كان الباطل يراقب عن كثب قوة الحق التي تزداد؛ بات يرى الرجل محمداً الذي بدأ وحيداً، تنمو له الآن دولة وجيش مهابان؛ لم يقتصر تهديدهما على قريش وحدها بل غدا يهدد بتغيير وجه المنطقة وخريطتها السياسية، وما تحويه من قبائل ويهود.

كابوس دفع الباطل لتحريك جنوده، فكان أول من استجاب سادات يهود بني النضير، وعلى رأسهم حيي بن أخطب، فقاموا بجولات مكوكية بين زعماء قريش وغطفان والقبائل المجاورة ليستنهضوهم لغزو المدينة، واستئصال شأفة المسلمين منها، ووعدوهم بتأليب يهود بني قريظة الذين مازالوا في المدينة، ووعدوا غطفان بنصف تمر خيبر فالتقت أحقاد قريش وبني النضير وأطماع غطفان، واتفقت هذه القبائل ومن تحالف معها على غزو المدينة وجمعوا لذلك عشرة آلاف مقاتل وكان ذلك في أوائل شوال، وعندما وصلوا حدود المدينة كانت مفاجأة تنتظرهم؛ اضطرتهم لحصار المدينة.

وعلى الطرف الآخر من التاريخ كان نفس الكابوس يطارد الباطل وجنوده، فبعد العدوان على غزة خرجت حماس أقوى بكثير، وآثار هذه القوة قد يطال المنطقة بأسرها، وصار من الواضح أن العدو الصيهوني غير قادر لوحده القضاء على حماس.

ويشهد تقرير لمجموعة الأزمات الدولية عن ازدياد قوة حماس قائلاً: (أثبتت الحركة الإسلامية أنها اقتربت من تحقيق نظام فعال، وإعادة تشكيل النظم القانونية والتشريعية وإعادة إدارة الشؤون الصحية والاجتماعية، واستطاعت فرض النظام وضبط السلاح وخفض القيادات العشائرية والأنشطة الإجرامية والعدائية، كما أثبتت «حماس» مهارتها من خلال اختراقها الواضح

للحصار). وتقول مجلة الإيكونومست البريطانية: (حماس أدارت شؤون قطاع غزة بكفاءة بعد العدوان الإسرائيلي وحققت معدلات نمو).

وأكدت الإيكونومست: (إن حركة حماس الفلسطينية تمكنت من تسيير شؤون قطاع غزة بشكل جيد يؤكد مرونتها بعد مرور عام على العدوان الإسرائيلي على القطاع في شتاء العام الماضي، لافتة إلى أن القطاع حقق بقيادة الحركة الإسلامية نمواً فاق نظيره في الضفة الغربية بحسب محللين على الرغم من الحصار الإسرائيلي).

وقالت مجلة بريطانية واسعة الانتشار في تقرير نشرته في عددها الصادر هذا الأسبوع: (إنه بعد مرور أربعة أعوام "منهكة" في ظل الحصار، فإن أهالي غزة، وحركة حماس التي تحكمهم لا يزالون يتحكمون في الأمور بشكل جيد بما يضمن بقاءهم وذلك في مواجهة الظروف المعاكسة).

كل هذا يذكرنا بما قلناه في مبحث (المرحلة الثانية: الهجرة والانتخابات الفلسطينية) عن التحديات المشتركة التي واجهت رسول الله وحركة حماس في بداية حكمهما وبين لنا تسلسل المراحل كيف أن هذه التحديات المشتركة هي من قاد المشروعين لما هما عليه الآن من النجاح والاستمرار على طريق الهدف المنشود.

نقول هذا ونحن بصدد دراسة الجولة الأهم والجولة الفاصلة جولة أو مرحلة من مراحل التشابه في التاريخ. مرحلة عنوانها الأبرز «حصار الحق والتحالف للقضاء عليه»، مرحلة بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدايتها بفتح اليمن والشام والمغرب والمشرق وقال بعد انتهائها: «الآن نغزوهم ولا يغزونا» (رواه البخاري ٤١٠٩) لتتوالي بشائر النصر. فتعالوا نستعيد سوياً معالم تلك المرحلة: سننهج في رسم هذا التشابه بنقل نص مما كتبه د. راغب السرجاني عن غزوة الأحزاب تحت عنوان: (قصة الأحزاب) ثم نأتي بما يشابهه في حالة غزة من وثائق موقع الجزيرة نت وإن ذكرنا نصاً أو وثيقة من خارج هذين المصدرين سنشير لذلك ثم نقوم بالتعليق:



حشد الأحزاب وبدأ الحصار وموقف المؤمنين:

(إن اليهود حركوا قريشاً وسيحركون غطفان، وسيجمعون عشرة آلاف مقاتل وكان هدفهم استئصال المسلمين تماماً، وليس الانتصار في غزوة عابرة، ولكن إنهاء الوجود الإسلامي من الأرض، لا شك أن هذا اختبار لأهل المدينة يفوق ما قبله من اختبارات.

أما ما فعله المؤمنون في المدينة المنورة عندما وصلتهم أنباء تجمع الجيوش الكافرة، فقد علموا أن هذه أمارة النصر، وتبين لهم صدق موعود الله في الجزئية الأولى وهي تجمع الأحزاب، وحتماً سيتحقق صدق الله في الجزئية الثانية وهي نصر المؤمنين، لذلك استقبلوا الأمر بثبات، وازداد يقينهم وإيمانهم بالله.

وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأحزاب:٢٢).

وليس معنى هذا أن المسلمين يتلقون أنباء الحصار، وتجمع الأحزاب بفرح وسعادة ، فإن قوة إيمان المؤمنين لا تخرجهم عن كونهم من البشر).

نشر خبراً في يوم ١٧/ ١/ ٢٠٠٩ أي بعد يوم من وقف العدوان على غزة بعنوان مذكرة تفاهم بين واشنطن وتل أبيب تنص على مساهمة أميركية في منع تهريب الأسلحة إلى غزة ومما جاء فيه:

(وفي واشنطن، وقعت وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس ونظيرتها الإسرائيلية تسيبي ليفني «مذكرة تفاهم» تنص على مساهمة واشنطن بمساعدات تقنية ومراقبين لمنع تهريب الأسلحة لحماس، والعمل على تشكيل فرق مراقبة في رفح لسد الأنفاق ووسائل تهريب الأسلحة، في استجابة لمطلب إسرائيلي رئيسي للتوصل إلى وقف إطلاق نار في غزة.

وأكدت رايس أن وقف تسريب الأسلحة هو شرط للوصول إلى اتفاق، وأن بريطانيا وفرنسا وألمانيا ستشارك «على الأرجح» في قوة المراقبين الدوليين. وأكدت أن الخطوة تأتي لدعم المبادرة المصرية).

وخبر آخر في تاريخ ١٩/ ١/ ٢٠٠٩ بعنوان أولمرت يبلغ مشاركي قمة شرم الشيخ رغبته بالانسحاب ومما جاء فيه:

(أبلغ رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود أولمرت الزعماء الأوروبيين الذين زاروه في القدس عقب مشاركتهم في قمة شرم الشيخ رغبته في الانسحاب من قطاع غزة. والتقى أولمرت بالرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ورؤساء وزراء بريطانيا غوردون براون وإسبانيا خوسيه لويس ثاباتيرو، وإيطاليا سيلفيو برلسكوني، إضافة إلى رئيس وزراء التشيك ميريك توبولانيك الذي ترأس بلاده الدورة الحالية للاتحاد الأوروبي.

وقال الزوار الأوروبيون الذين حضروا قمة أمس الأحد مع الرئيس المصري حسني مبارك لتعزيز ترتيبات السلام حول قطاع غزة إنهم يظهرون جبهة واحدة من أجل تعزيز سلام دائم في المنطقة.

وكان ساركوزي وبراون وميركل وبرلسكوني قالوا في مؤتمر شرم الشيخ إنهم سيتوجهون إلى إسرائيل للتأكيد على حماية أمنها، ولكي يطالبوها بالانسحاب فور وقف إطلاق الصواريخ وإنهاء عملية تهريب السلاح).

وهذا مقطع من مقال «الجدار الفولاذي»، المنشور على موقع ويكيبيديا الإلكتروني:

(في ديسمبر ٢٠٠٩ أعلنت مصر عزمها بناء جدار تحت الأرض بين رفح المصرية وقطاع غزة، يصل إلى عمق ٣٠ متراً وطول ١٠ كم، من أجل وقف تسلل الفلسطينيين وتهريب السلاح إلى الأراضي المصرية، ووقف تهريب البضائع المصرية بمختلف أنواعها للأراضي المحتلة، حيث إن الهدف من إنشاء هذا الجدار العازل هو القضاء على الأنفاق التي تصل بين مصر وقطاع غزة، وحيث إن هذه الأنفاق هي المدخل الوحيد الآن لكل احتياجات الشعب الفلسطيني في قطاع غزة بعد أن فرضت مصر الحصار على معبر رفح وهو المنفذ الوحيد لغزة على العالم، وضيقت الخناق على أهل غزة، وهناك قضية مرفوعة الآن في مصر ضد قانونية هذا الجدار).



وفي٢٧/ ١٢/ ٢٠١٠ خبر بعنوان «الهندي»: تهديدات إسرائيل لا تخيفنا ومما جاء فيه:

(وقال محمد الهندي القيادي في حركة الجهاد الإسلامي بشأن التهديدات الإسرائيلية: «العدو الصهيوني لن يقدر على شيء ولن يحقق أي شيءٍ»).

تعليق: إن التشابه في تحشيد الأحزاب لحصار المشروعين واضح، وأن هذا التحشيد أكبر بكثير من إمكانات المدينتين المستهدفتين حسب المقاييس البشرية، ورغم كل ذلك فإن موقف المؤمنين ثابت بالاعتقاد بنصر الله، وهذا ما عبر عنه محمد الهندي في الخبر الذي أوردناه أخيراً.

تسخين الجبهة تمهيداً للحرب:

(وصل في شوال عام ٥ هـ إلى حدود المدينة المنورة عشرة آلاف مقاتل مشرك من قريش وغطفان وبني سليم وغيرهم، بدأ المسلمون في رشق المشركين بالنبال لكي يمنعوهم من عبور الخندق أو ردمه، وحاول المشركون بكل ضراوة أن يقتحموا الخندق).

ويقول علي حافظ في فصول من تاريخ المدينة المنورة: (وتقابل الجيشان، ولم يكن بينهما قتال سوى الرشق بالنبال والرمي بالحجارة).

خبر في ٢١/ ١٢/ ٢٠١٠ بعنوان: "أشكنازي يهدد بهجمات جديدة على القطاع"، ومما جاء فيه:

(شنت طائرات إسرائيلية اليوم الثلاثاء سلسلة غارات جوية جديدة على قطاع غزة، بحجة الرد على صواريخ أطلقتها المقاومة الفلسطينية من داخل القطاع، في حين هدد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي غابي أشكنازي بشن هجمات شديدة على القطاع.

وكانت طائرات حربية إسرائيلية قد شنت الليلة الماضية سبع غارات على عدة مناطق في قطاع غزة خلفت ثلاثة جرحى أحدهم إصابته خطيرة. في حين ذكر مراسل الجزيرة بالقطاع أن القصف استهدف مصنعاً للألبان وموقع القادسية التابع لكتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحماس.

وكانت مصادر عسكرية إسرائيلية كشفت أمس عن نشر كتيبة مدفعية على حدود قطاع غزة مجهزة بنظام لحمايتها من الصواريخ يسمى (معطف الريح).

وذكر الموقع الإلكتروني لصحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية أن: إسرائيليين أصيبا بإصابات طفيفة، فيما أصيب طفلان بحالة هلع جراء سقوط قذيفة صباح اليوم الثلاثاء - أطلقها مسلحون فلسطينيون من قطاع غزة - قرب روضة أطفال بالقرب من المجلس الإقليمي لبلدة أشكلون الإسرائيلية.

وبدوره أشار متحدث باسم الجيش الإسرائيلي إلى أن ١٤ صاروخاً على الأقل أطلقت من غزة خلال اليومين الماضيين، وذكر أن القذائف الفلسطينية سقطت دون أن تسفر عن وقوع إصابات).

وفي٢٧/ ١٢/ ٢٠١٠ خبر بعنوان الهندي: تهديدات إسرائيل لا تخيفنا ومما جاء فيه:

(وتأتي هذه الذكرى في ظل أجواء توتر بعد تلميح وزراء في حكومة إسرائيل إلى احتمال شن حرب جديدة على القطاع، وقد حذر وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك حركة حماس من استمرار إطلاق الصواريخ من القطاع.

يحيي الفلسطينيون اليوم الذكرى السنوية الثانية للحرب الإسرائيلية على قطاع غزة وسط تهديدات إسرائيلية بحرب جديدة، وتصريحات عن استحالة تحقيق السلام بين الجانبين).

خبر في ٩/ ١/ ٢٠١١ بعنوان: "إسرائيليون يحذرون من انفجار المنطقة"، ومما جاء فيه:

(يشير إلدار في قراءته للوضع أن الحكومة الإسرائيلية الحالية لا تتعرض لضغوط داخلية ولا خارجية من الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي، معتبراً ذلك أنه "يزيد من مخاطر حريق جديد سيما أن الوضع الراهن يخدم محور المقاومة حركة المقاومة الإسلامية حماس وحزب الله اللبناني".

ويقول هارئيل: إن الوضع هش وقابل للانفجار ويرى أن حركة حماس لا تسيطر بشكل



شامل على بقية الفصائل في قطاع غزة، مما يفتح الباب أمام استمرار إطلاق الصواريخ نحو إسرائيل.

ورغم تهديدات قادة إسرائيليين بمحرقة جديدة وتسريبات «ويكيليكس» بأن قائد هيئة الأركان أشكنازي يعد جيشه لحرب جديدة ضد غزة، يرى هارئيل – على غرار معلقين آخرين – أن الوضع قابل للانفجار بسرعة).

وفي ١٠/ ١/ ٢٠١١ خبر بعنوان «حماس ترفض اتفاقاً لمعابر غزة»: شهيد بغزة وسجن نائب بالضفة، ومما جاء فيه:

(يأتي ذلك في وقت قال فيه الجيش الإسرائيلي: إنه شن ضربات جوية في وقت مبكر من صباح اليوم استهدفت "مواقع إرهابية" في شمال وجنوب القطاع، وقالت متحدثة في تل أبيب: إنها مواقع تستخدمها جماعات متشددة لتدريب المسلحين أو كنقاط متقدمة.

وقد استشهد ١٣ فلسطينياً في عمليات للجيش الإسرائيلي خلال الشهر الماضي أغلبها غارات جوية، ردت عليها فصائل المقاومة الفلسطينية بإطلاق عدد من الصواريخ في اتجاه إسرائيل.

وقالت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الأحد: (إنها بدأت محادثات مع فصائل المقاومة الفلسطينية في القطاع لحثها على وقف إطلاق الصواريخ على إسرائيل وسط تهديدات إسرائيلية بشن حرب جديدة).

تعليق: لقد جاءت غزوة الأحزاب بعد عامين من غزوة أحد: (وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث، قاله الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، ومالك، قال ابن إسحاق: للنصف من شوال)، وذكرنا قول د. راغب السرجاني: (وصل في شوال عام ٥ هـ إلى حدود المدينة المنورة عشرة آلاف مقاتل مشرك من قريش وغطفان وبني سليم وغيرهم)، وجاء مشروع الحرب الثانية على غزة بعد عامين من العدوان السابق الذي كان في تاريخ ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨ كما توضح تواريخ الأخبار السابقة.



وصف المؤرخون غزوة الأحزاب أنها لم تكن قتالاً، سوى رشق بالنبال ورمي بالحجارة كما نقلنا عن علي حافظ: والأحداث التي جرت في هذه التواريخ لم تكن سوى تراشق ولكن بالصواريخ كما ذكرت الأخبار السابقة.

الحالة النفسية:

(كل ما حدث من الأحزاب وحصار المدينة كان درجة من درجات الابتلاء، أما الآن فقد وصل المسلمون إلى ما أسميه بمرحلة الزلزال، المرحلة التي يزلزل فيها المسلمون زلزالاً لا يثبت فيه إلا الصادقون حقاً، أما المنافقون مهما كانت درجة نفاقهم فلا شك أنهم سيقعون، وصف الله عز وجل هذا الأمر في سورة الأحزاب حيث قال: ﴿ **إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾** ﴾ (الأحزاب: ١٠ - ١١).

وفي خبر في ٢٨/ ١٢/ ٢٠١٠ بعنوان «في الذكرى الثانية للحرب: أهل غزة يتوقعون عدواناً جديداً» مما جاء فيه:

(تلقى تلميحات الاحتلال بتصعيد هجماته على غزة تزامناً مع الذكرى الثانية للحرب؛ اهتماماً لافتاً من قبل سكان قطاع غزة).

تعليق: إن حال الخوف من الحرب وخاصة في ظل عدم تكافؤ الإمكانات البشرية حالة طبيعية.

محاولة إشراك من بينهم وبين رسول الله عهد في القتال، ومحاولة إشراك من يربطهم الدين والدم والتاريخ والجغرافيا مع غزة في العدوان

يقول د. راغب السرجاني: (وأسقط في أيدي الكافرين، وتحيروا في كيفية إيجاد حل لما هم فيه من مأزق، حتى جاءهم الحل أخيراً، وكان من عند اليهود.

فاليهود مثلما جمعوا هذه الأعداد كلها لا زالوا يفكرون في استئصال المسلمين، وبدءوا

يفكرون في الطريقة التي تمكنهم من ذلك، وكان مع المشركين أحد زعماء اليهود وعتاتهم، وهو حيي بن أخطب، وكان من أشدهم كفراً وحقداً وغلاً وحسداً، فكر في الأمر، فلم يجد له مخرجاً إلا في يهود بني قريظة.

بنو قريظة كما ذكرنا كانوا في الجنوب الشرقي للمدينة، فلو فتحوا الباب من جهتهم لدخول المشركين المدينة لانتهت المدينة، فماذا يحدث لو حاربوا مع المشركين، وراقت تلك الفكرة للمشركين، ولم يتبق إلا إقناع بني قريظة بنقض العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسماح للمشركين بدخول المدينة لاستئصال الشعب المسلم بكامله، وذهب حيي بن أخطب لأداء مهمته القذرة، والتقى بزعيم بني قريظة كعب بن أسد، فقال حيي: إني قد جئتك يا كعب بعز الدهر، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وبغطفان على قادتها وسادتها، وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يرجعوا حتى نستأصل محمداً ومن معه.

قال كعب: جئتني والله بذل الدهر، ويحك يا حيي، فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً).

أما الجزيرة نت فقد نشرت في ٧/ ١/ ٢٠١١ خبراً بعنوان: «مبارك يحذر نتنياهو من مهاجمة غزة»، مما جاء فيه:

(حذر الرئيس المصري حسني مبارك إسرائيل من خطورة شن حرب جديدة على قطاع غزة، ودعا خلال استقباله رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أمس في شرم الشيخ إلى تغيير الموقف الإسرائيلي تجاه محادثات السلام والبناء الاستيطاني من أجل الوصول إلى اتفاق نهائي مع الفلسطينيين.

وقالت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية الرسمية: إن مبارك أكد رفض بلاده لأي عدوان جديد على أهالي القطاع، محذراً من خطورة التهديدات الإسرائيلية الأخيرة وانعكاساتها على أمن واستقرار المنطقة وقضية السلام في الشرق الأوسط).



تعليق: إن النظام المصري السابق أبى إلا أن يشارك في حصار غزة، وكان تتويج هذا الحصار هو الجدار الفولاذي، كما بيّنا، وأخذ "النظام" دور يهود بني قريظة الذين رفضوا إلى الآن أن يشاركوا في الحرب.

نجاح المحاولة:

يقول د. راغب السرجاني: (لكن حيياً ظل يكلم كعباً ويزين له، ثم وعده إن تخلت قريش وغطفان عنه أن يدخل معه في حصنه، ويتحمل معه ما يحدث بعد ذلك.

وتحت تأثير شيطان بني النضير وقع شيطان بني قريظة، وقرر التحالف مع المشركين لتنفيذ ما ذكره حيي: لا نبرح حتى نستأصل محمداً ومن معه.

وقضى التحالف ليس فقط بفتح باب للمشركين لدخول المدينة، بل وتجهيز فرق عسكرية للحرب ضد المسلمين، إنها كارثة، المدينة على أبواب هلكة قريبة، ماذا يحدث لو تمكن عشرة آلاف مسلح بالإضافة إلى يهود بني قريظة من اقتحام المدينة، لا أحسب أن أحداً كان سيبقى حياً في المدينة آنذاك).

على الصفحة الأولى نشرت روز اليوسف في تاريخ ٢٤/ ١/ ٢٠١١ مقال بعنوان (عبد الله كمال يكتب التحليل السياسي لخطاب مهم: انهض يا شعب) مما جاء فيه:

(إلي أي مدى سوف تستخدم مصر ذراعها الطويلة لحماية أمنها؟

مبارك يتعهد بهزيمة الإرهاب واستخدام أقصى «قوة وإمكانيات» ضده.

الرئيس يشير إلي الحروب الاستباقية لحماية أمن الشعوب ويقول: «أمن مصر ليس أقل أهمية من أمن الآخرين، وزير الداخلية يؤكد: بالدليل القاطع «جيش الإسلام الفلسطيني» ارتكب جريمة الإسكندرية، واختفى وراء تجنيد عناصر محلية.

لا يمكن وصف الزمن الذي ألقى فيه رئيس الجمهورية خطابه أمس إلا بأنه (لحظة تاريخية)، جسدت قوة الدولة، وثقة رئيسها.



إن للرئيس خطابات عديدة مهمة، لكن خطابه بالأمس يصنف تاريخياً في مرتبة أهمية قصوى،حيث أعلن الرئيس بوضوح وحسم وامتلاء وعزم قائد يتجه إلي المعركة: (سوف ننتصر، سوف نهزمكم).

ومن ثم فإن وزير الداخلية حبيب العادلي ما لبث أن بدأ الاحتفال بأن أعلن في خطابه أن تنظيم (جيش الإسلام الفلسطيني) المرتبط بالقاعدة يقف وراء تفجير الإسكندرية، ما دعا الرئيس مبارك لأن يقول في خطابه: (إن ما أعلنه السيد وزير الداخلية الآن يشفي صدور جميع المصريين، ويضع وساماً جديداً على صدور رجال الشرطة، ونحن نحتفل بعيدهم).

والواقع أن هذه الفرحة التي فجرتها قدرة الشرطة، إنما تطرح تساؤلات جوهرية حول:

• إن صفة التنظيم المتهم – باعتباره فلسطينياً، عمل ويعمل على أرض غزة – إنما تلقي بتساؤلات رهيبة حول البيئة التي اصطنعها وجود حماس في القطاع، والمناخ الذي أفرزته، وكيف أدى إلى تولد هذه التنظيمات التي لم تقوض أمن ومصير فلسطين فقط، وإنما تلقي بحممها في اتجاه أمن مصر، فإلى أي مدى يمكن أن تحتمل مصر هذا؟

• إن هذا الاتهام يثير أيضاً تساؤلات جوهرية حول الأعباء القومية التي تتحملها مصر، والضغوط التي تسفر عنها وتحوم حولها، خصوصاً فيما يتعلق بأمر معبر رفح، ومعضلة الأنفاق التي تسبب مشكلات رهيبة وتحديات مذهلة لأمن سيناء والأمن القومي عموماً، ولا بد أنه سوف يتضح في الفترة التالية كيف أثر هذا الوضع على أمن مصر، لاسيما ما يتعلق بجريمة (كنيسة القديسين).

وإذ نهنئ الشرطة على هذا الإنجاز الذي تمكنت من تحقيقه قبل أن يمضي شهر كامل على الجريمة المروعة في الإسكندرية، فإن خطاب الرئيس بالأمس في عيد الشرطة، في ذكرى شهدائها في ميدان النضال ضد الاحتلال، مثل رسالة قوية وصارمة وفارقة في معركة مصر ضد الإرهاب. ويمكن بإيجاز غير مخل توصيف هذا الخطاب بأنه: (إعلان حرب متكاملة على الإرهاب والطائفية). بلا أي مبالغة. وهو إعلان له مقوماته الدقيقة والمحددة، قرأته كما يلي وفقاً لما ورد في



نص الخطاب:

• قال الرئيس: سوف نمضي في حربنا على الإرهاب.

• قال الرئيس: هذه الحرب على الإرهاب سوف تكون بقوة القانون وحسمه.

• قال الرئيس: سوف نستخدم في هذه الحرب أقصى ما نمتلكه من قوة وإمكانيات، ولدينا منها الكثير. «لاحظ هنا استخدام الرئيس لتعبير (أقصى)، وتعبير (قوة)، و(لدينا منه الكثير)».

• جاء هذا بعد حديث الرئيس عن الحروب الاستباقية التي شنتها دول كبرى خارج حدودها، محدداً (في أفغانستان والعراق)، وقال: لقد رفعت هذه الدول شعار الحرب على الإرهاب وأراقت كثيراً من الدماء وأزهقت الكثير من الأرواح ولم تزل تفعل، حماية لأمنها القومي وأمان شعوبها.

فيما بعد ذلك قال الرئيس بوضوح: (أمن مصر القومي ليس أقل شأناً من الأمن القومي لهؤلاء، وحرصنا على حماية بلدنا ومواطنينا لن يكون أقل حرصاً على أمن بلادهم ومواطنيهم)، وهو تعبير واضح يشي بدلالات لا يمكن أن تفوت على أحد. قال الرئيس: لن نتردد قط في اتخاذ ما نراه محققاً لأمن مصر وشعبها.

• قال الرئيس: سوف نتصدى للإرهاب ونهزمه، سنتعقب مرتكبيه ونلاحقهم في الداخل والخارج، ولن يفلتوا أبداً من العدالة.

وقد كرر الرئيس ما قاله من قبل يوم أول يناير: (لن نزداد إلا تصميماً على محاصرته، وملاحقته، وقطع يده، واقتلاع جذوره)، إن هذا كلام له أهمية كبرى حين يكون جذر الإرهاب الذي وقف وراء ما جرى في الإسكندرية هناك في غزة.

• هناك تعاون دولي لابد أن يفعّل، وألا تتخلي الدول عن مسئولياتها في المواجهة الجماعية للإرهاب لأنه خطر يلاحق الجميع.

لم يكن هذا خطاباً عادياً، لا الظرف كان سيجعله عادياً، ولا المسؤولية كانت سوف تجعله عادياً، ولا الضغوط المفروضة كانت ستجعله عادياً، ولا التهديد المحدق كان سوف يجعله عادياً، ولا

شخصية الرئيس مبارك كان يمكن أن تقبل أن يكون هذا خطاباً عادياً).

تعليق: لقد استجاب كعب في النهاية لطلب حيي في المشاركة في الحرب على المسلمين، واجتثاثهم والقضاء على مشروعهم الذي بات يهدد المنطقة بأسرها ليكتمل بذلك عقد الأحزاب.

ووافق الريس أخيراً على طلب نتنياهو بالمشاركة في الحرب على غزة لاجتثاث مشروع حماس، لقد وصف كاتب المقال خطاب مبارك وفي أكثر من مرة بخطاب تاريخي وغير عادي في وقت غير عادي، أنه خطاب إعلان الحرب، حرب التحرير، تحرير الأرض كل الأرض من الخطر القادم من حماس ومشروع حماس، وهذه الحرب كما ختم المقال تحتاج لتعاون دولي. وهذا تحشيد آخر للأحزاب، فهي حرب الأحزاب الثانية.

كفى الله المؤمنين القتال:

(الريح جندي هائل من جنود الرحمن، والله سبحانه وتعالى بعث ريحاً شديدة وقاسية البرودة على معسكر الكافرين، فلم تترك لهم خيمة إلا واقتلعتها، ولم تترك قِدراً إلا قلبته، ولم تترك ناراً إلا أطفأتها، ووصلت شدة الريح وخطورتها إلى الدرجة التي دفعتهم لأخذ قرار العودة دون قتال، وفك الحصار على الفور.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

أما رياح التغيير التي هبت على الوطن العربي واقتلعت خيام المتآمرين على الحرب، وقلبت قدورهم وأطفأت نيرانهم فقد انطلقت من تونس من الشاب محمد بوعزيزي في ١٧/ ١٢/ ٢٠١٠ وأسقطت الطاغية الأول زين العابدين بن علي في يوم الجمعة الموافق ١٤/ ١/ ٢٠١١ ثم انتقلت إلى مصر في يوم ٢٥/ ١/ ٢٠١١ أي بعد خطاب الريس وإعلانه الحرب على غزة بيومين فقط.

تعليق: لقد بعث الله الريح في غزوة الأحزاب الأولى بصورة مفاجأة كما لم يكن أحد إلا من شاء الله يتوقع أن تغييراً سيحصل قريباً في الشعوب العربية، ويزيل عن كواهل تلك الشعوب أولئك الطغاة، وكانت المفاجأة مضاعفة أن تنطلق رياح التغيير من تونس بعد كل ما قام به ذلك الطاغية؛

من تعذيب وتغريب لشعبها العظيم، ولكنه قدر الله يأتي في المكان والزمان المناسبين. ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٥﴾ (الأحزاب: ٢٥)

وعد الله أصدق من حسابات المنافقين:

(أما المنافقون فلا يعرفون إلا حسابات الورقة والقلم، ولا يقدرون لله قدره، ولا يؤمنون بوعده، بل يحكمون عقولهم في كل صغيرة وكبيرة، فينظر هؤلاء المنافقون إلى أعداد المشركين الهائلة فيقولون: هذه أعداد لا تغلب، وهذه قوة لا تهزم، فالفجوة بيننا وبينهم هائلة، ولا طاقة لنا بهم، ومهما وعدنا بالنصر فهذا وعد مكذوب، وأوهام لا وجود لها على أرض الواقع.

يقول ربنا في وصف هؤلاء المنافقين: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾ (الأحزاب:١٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ٢٢﴾ (الأحزاب: ٢٢)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ٧﴾ (الإسراء: ٥ – ٧)

وعن جابر رضي الله عنه قال: « كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق: فقال أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال: بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر. وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا. ثم قال: بسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله وضرب ضربة أخرى. فقلع بقية الحجر فقال الله



أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا». رواه الأمام أحمد.

تعليق: إنه نفس الوعد بالنصر يتكرر: وعد الله لعباده المتصلين به المؤمنين بأنه تعالى إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون فجاء الوعد الأول في سورة الإسراء لرسول الله وصحابته المستضعفين في مكة بأن النصر والتمكين لهم على جزيرة العرب قادم أما الوعد في الأحزاب فهو أمتداد للوعد الأول رغم كثرة الأحزاب وقوتهم واشتداد الحصار وبلوغ الخوف في المسلمين مبلغه ومع هذا جاء الوعد بالنصر مرتين مرة بنص الآية السابقة من سورة الأحزاب ومرة من المؤيد بالوحي صلى الله عليه وسلم مبشر بفتوحات عظيمة واليوم والحال كماتعلمونها ألا أننا ننتظر تحقيق الوعد الثاني من سورة الإسراء وما ذلك على الله بعزيز.

والمنافقون هم المنافقون يتكررون في كل زمان، وتتكرر مواقفهم وحساباتهم المادية، ويعيدون نفس الكلام ولكن بصيغ أخرى فتارة يقولون: مغامرة سياسية، وأخرى يقولون: هذا طيش سياسي إلى آخر ذلك من هذه الأوصاف التي اعتدنا سماعها من هذا الفريق.

وبانتهاء غزوة الأحزاب الأولى انتهت مرحلة وبدأت أخرى، عبر عنها رسول الله: «الآن نغزوهم ولا يغزونا ونحن نسير إليهم».

دولة الإسلام أصبحت قوية لدرجة تمنع من استئصالها وتمنع الآخرين من التفكير في غزو المدينة.

أما المرحلة الجديدة فكانت مرحلة الفتح والانتشار والتمكين وسينتشر الإسلام فيها بسرعة مذهلة بالجزيرة العربية وكل ما حولها.



المرحلة السادسة:

(نغزوهم ولا يغزونا)

يقول د. راغب السرجاني تحت عنوان نشاط المسلمين عقب غزوة الأحزاب:

(مرحلة الانتشار والتوسع:

وبانتهاء غزوة الأحزاب انتهت هذه المرحلة المهمة؛ لتبدأ مرحلة أخرى لا تقل أهمية عن المرحلة السابقة، عبر عنها صلى الله عليه وسلم بقوله الدقيق الذي يعبر عن اتصاله بالوحي: الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ.

فالدولة بفضل الله أصبحت قوية لدرجة تمنع استئصالها، وتمنع الآخرين من التفكير في غزو المدينة.

وهذه المرحلة الجديدة نستطيع أن نسميها مرحلة الانتشار والفتح والتمكين، وسينتشر فيها دين الإسلام بسرعة مذهلة ليس فقط في الجزيرة العربية، بل وحولها أيضاً، سيتطور الأمر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، لينتشر الإسلام في ربوع العالم المختلفة، إنها طبيعة بناء الأمة الإسلامية، تبدأ شاقة وعسيرة فيقف كل الأعداء على اختلاف توجهاتهم في حربها، ثم تخرج الأمة من عنق الزجاجة في وقت ما لتبدأ مرحلة الانتشار والفتح والتمكين، وهكذا ففي ذي القعدة سنة ٥ هـ رحلت الأحزاب، وفي نفس الشهر بدأ المسلمون مرحلتهم الجديدة، حملات عسكرية متتابعة سريعة بهدف رئيس، وهو تأديب وعقاب أولئك الذين غدروا بالمسلمين في حوادث أخرى سابقة للأحزاب، ليعلم الجميع أن انتهاك حرمات الأمة الإسلامية لا يمر هكذا دون عقاب.

لقد كانت حملات عسكرية مكثفة بمعدل حملة كل عشرين يوماً تقريباً، وكان فيها إرهاق شديد على الدولة الإسلامية الناشئة، ومع ذلك هو إرهاق لا بد منه؛ لأن الأمة التي لا تجاهد تصاب بالذل).

لهذه المرحلة العديد من العنوانات الرئيسة سنناقشها في المباحث القادمة إن شاء الله.

أولا: غزوة بني قريظة، وثورة ٢٥ يناير:

نكمل مع د.راغب السرجاني ولكن تحت عنوان: «غزوة بني قريظة وحكم الله فيهم»:(إن كانت قصة الأحزاب انتهت فقصة بني قريظة لم تنته بعد؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)، وهكذا اجتمع الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة في ثلاثة آلاف مقاتل، هذا غير الملائكة، في حصار بني قريظة، واستمر الحصار (٢٥) ليلة، فجاءت الأوس إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وقالت: (يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء بنو قريظة موالينا فأحسن فيهم، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك إلى سعد بن معاذ. قالوا: قد رضينا) فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وكان في المدينة مصاباً، فأتوا به من المدينة المنورة راكباً على حمار، فلما رآه الأوس التفوا حوله، وقالوا: يا سعد أجمل في مواليك فأحسن فيهم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حكّمك لتحسن فيهم، وهو ساكت رضي الله عنه لم يرد عليهم، حتى قال لهم: قد آن لـسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، عندما سمعوه يقول هذا عرفوا أن سعداً سوف يحكم فيهم حكماً شديداً، وأتى سعد ووصل إلى المكان الذي فيه الصحابة، ولما رآه الرسول عليه الصلاة والسلام قال للصحابة: (قوموا إلى سيدكم، فقام الصحابة احتراماً لـسعد بن معاذ رضي الله عنه وأرضاه وأنزلوه من فوق الحمار، وقالوا: يا سعد إن هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمك. قال سعد: وحكمي نافذ عليهم؟ - أي: أن الذي سأقوله سوف يحصل فيهم؟ - قالوا: نعم، قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم، قالوا: وعلى من ها هنا؟ وأعرض بوجهه رضي الله عنه وأرضاه، وأشار ناحية الرسول عليه الصلاة والسلام)، وهو لا يريد أن يقول: وحكمي نافذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على أدبه رضي الله عنه، فقال صلى الله عليه وسلم: (نعم، وعليّ - أي: أن حكمك ينفذ عليّ - قال: فإني أحكم فيهم أن يُقتل الرجال وتُسبى الذرية وتقسّم الأموال، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: لقد حكمت فيهم بحكم الله

من فوق سبع سماوات) وبدؤوا بتنفيذ حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه وأرضاه).

أما عن ثورة ٢٥ يناير:

نشرت صحيفة القدس العربي على الصفحة الأولى عنواناً رئيسياً في يوم ٢٦/ ١/ ٢٠١١ (انتفاضة شعبية تطالب مبارك بالرحيل).

وبعد ١٨ يوم من الاعتصام في ميدان التحرير وغيره من ميادين مصر نشرت نفس الصحيفة على الصفحة الأولى عنواناً رئيسياً في يوم ١٢/ ٢/ ٢٠١١ (هي دي مصر، الشعب أسقط مبارك ويريد محاكمته).

في ٣/٨/ ٢٠١١ نشرت صحيفة القدس العربي على الصفحة الأولى عنواناً رئيسياً: (تأكيدات رسمية بنقل مبارك للمحاكمة اليوم وسط إجراءات عسكرية وأمنية مشددة محاكمة القرن: الفرعون ووريثه في قفص الاتهام).

تعليق: أولاً: بدأت غزوة بني قريظة بنفس اليوم الذي انتهت فيه غزوة الأحزاب، وبدأت ثورة ٢٥ يناير، لتنهي حرب الأحزاب الثانية مباشرة بعد إعلان مبارك مشاركة مصر فيها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)، رواه البخاري.

أسفرت غزوة بني قريظة عن محاكمة هؤلاء الخائنين وأسفرت ثورة ٢٥ يناير عن محاكمة رموز النظام المصري السابق الذين خانوا شعبهم وعروبتهم ودينهم وأمتهم، ومن اللطيف أنه النظام الوحيد من الأنظمة العربية المخلوعة لحد الآن تجري محاكمته كما أن بني قريظة هو وحدهم من تم محاكمتهم.

ثانياً: التوسع في جزيرة العرب واتساع الثورات العربية:

ومرة أخرى تحت عنوان «نشاط المسلمين عقب غزوة الأحزاب»، يقول د. راغب السرجاني:

(لقد تميزت هذه السنة المباركة – السنة السادسة من الهجرة – بأنها كانت سنة جهادية من الدرجة الأولى، انتشرت فيها جيوش الإسلام في كل أنحاء الجزيرة العربية تقريباً، وتمّت فيها عشرون حملة عسكرية، ويعني هذا أن هناك حملة عسكرية كل عشرين يوماً، كان منها سبع عشرة سرية بقيادة الصحابة رضي الله عنهم، وثلاث غزوات بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع أن هذه الغزوات والسرايا بصفة عامة لم تكن من المعارك الضخمة؛ إلا أن تأثيرها كان عميقاً على أهل الجزيرة العربية جميعاً من المسلمين والمشركين واليهود والمنافقين والأعراب).

ونقول لقد تميزت هذه السنة المباركة سنة ٢٠١١م – السنة السادسة للانتخابات الفلسطينية – بأنها كانت سنة ثورات ومظاهرات بالدرجة الأولى، انتشرت في كل الدول العربية تقريباً، وكان تأثيرها عميقاً على العرب جميعاً وعلى الاحتلال الصهيوني بل وعلى العالم بأسره.

ونستعيد وإياكم وبشكل سريع أهم محطات هذه الثورات:

١٧/ ١٢/ ٢٠١٠ انطلاق هذه الثورات والثورة التونسية على يد الشاب محمد بوعزيزي.

وتكللت هذه الثورة بالنجاح في تاريخ ١٤/ ١/ ٢٠١١ وكان هذا الخبر هو الخبر الرئيسي في كل الصحف العربية في صباح اليوم التالي ومنها الرأي الأردنية والتي عنونت له: ابن علي غادر تونس و(الغنوشي) يتولى السلطة مؤقتاً.

٢٥/ ١/ ٢٠١١ بدأت الثورة المصرية وانتصرت في ١١/ ٢/ ٢٠١١ كما بينا في المبحث السابق.

في نفس التاريخ الذي انتصرت فيه الثورة المصرية بدأت الثورة اليمنية حيث انطلقت حركة الاحتجاجات في تعز والعاصمة صنعاء في ١١ / ٢ / ٢٠١١.

وفي ٢٤/ ١١/ ٢٠١١ نشرت الجزيرة نت خبراً عنوانه "ترحيب دولي بتوقيع صالح المبادرة الخليجية مما يمهد الطريق لنجاح الثورة".

وفي ١٧/ ٢/ ٢٠١١ ثار الليبيون وفي ٢٠/ ١٠/ ٢٠١١ مقتل القذافي وإعلان نهاية نظامه عنوان آخر لخبر نشرته الجزيرة نت.

أما الثوار السوريون فندعو الله لهم بالنصر القريب بعد ما فجروا ثورتهم في ١٥/ ٣/ ٢٠١١ وأن يكتب لهم النصر مع صدور أول نسخة من هذا الدليل.

أهم ما حققته هذه الثورات لحماس ومشروعها لغاية الآن:

أولا على الصعيد الإنساني:

بدأ كسر الحصار المفروض على قطاع غزة، ففي تاريخ ١/ ٥/ ٢٠١١ نشرت الجزيرة نت خبراً عنوانه: "قلق إسرائيلي من فتح معبر رفح"، ومما جاء فيه:

(وكان وزير الخارجية المصري نبيل العربي قد صرح للجزيرة بأن معبر رفح بين غزة ومصر سيفتح بشكل كامل من أجل تخفيف الحصار الذي تفرضه إسرائيل على القطاع.

وقال العربي: إن مصر ستتخذ خطوات مهمة تساعد على تخفيف حصار قطاع غزة خلال الأيام القليلة المقبلة، مؤكداً أن بلاده لن تقبل ببقاء معبر رفح مغلقاً.

وتوقع أن تتغير الأوضاع في غزة جذرياً واصفاً إغلاق المعبر بأنه «أمر مشين»).

ثانيا: على الصعيد السياسي والانتشار:

في تونس مهد الثورات عنونت الجزيرة نت لخبر إعلان نتائج الانتخابات بعنوان: «في انتخابات يوم الأحد فوز النهضة وإسقاط قوائم للعريضة»، في تاريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠١١ وفي تاريخ ٢٤/ ١٢/ ٢٠١١ خبر بعنوان: «الجبالي يكلف بتشكيل حكومة تونس»، ومما جاء فيه: (كلف الرئيس التونسي الجديد المنصف المرزوقي اليوم، أمين عام حزب النهضة الإسلامي حمادي الجبالي بتشكيل الحكومة).

وفي المغرب نشر موقع الجزيرة نت في تاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١١ خبرا بعنوان: "حزب العدالة يفوز بالانتخابات المغربية"، وخبرا آخر بعنوان: "عبد الإله بنكيران"، في تاريخ ١٤/ ١٢/ ٢٠١١، ومما جاء فيه: (عبد الإله بنكيران هو رئيس الحكومة المغربية الحالي، والأمين العام لحزب العدالة والتنمية المغربي منذ ٢٠ يوليو/ تموز ٢٠٠٨، وعضو مجلس النواب المغربي عن مدينة سلا (القريبة من العاصمة الرباط) منذ ١٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٧ لثلاث ولايات ١٩٩٧ و٢٠٠٢ و٢٠٠٧.

عينه الملك محمد السادس يوم ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١١ رئيساً للحكومة بعد أن احتل حزبه المرتبة الأولى في الانتخابات التشريعية التي شهدها المغرب في الـ٢٥ من الشهر ذاته بموجب دستور جديد اقترحه الملك المغربي، وتم تبنيه في استفتاء شعبي في يوليو/ تموز ٢٠١١، ينص على أن يعيّن الملك رئيس الوزراء من الحزب الذي يحصل على أعلى نتيجة في الانتخابات التشريعية).

وعن مصر الشقيقة الكبرى نشر الموقع السابق مقالاً في تاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠١١ بعنوان: «لماذا تفوق الإسلاميون بانتخابات مصر؟» ومما جاء فيه:

(لكن النظرة الأشمل على نتائج المرحلتين الأولى والثانية سواء على مستوى القوائم التي سيتشكل منها ثلثا أعضاء مجلس الشعب أو المستوى الفردي الذي سينتج ثلث الأعضاء، من شأنها أن توضح الإنجاز الكبير الذي حققه الإسلاميون، حيث جمع تحالف الحرية والعدالة ١٦١ مقعداً تمثل تقريباً نصف مقاعد المرحلتين مقابل ٨٢ للنور و٢٧ للوفد و٢٣ للكتلة المصرية التي تضم ثلاثة أحزاب هي التجمع والمصريين الأحرار والمصري الديمقراطي الاجتماعي).

ومن المعلوم أن جميع هذه الأحزاب وبمسمياتها المختلفة هي الوجه السياسي للإخوان المسلمين في هذه البلدان المذكورة، وهذا أيضاً ما ينطبق على حماس، ووضحنا ذلك في مبحث (المرحلة الأولى: المرحلة المكية).

أما عن استفادة حماس من صعود الإخوان فهو عنوان مقال نشرته "الجزيرة نت"، في تاريخ ٢٧/ ١٢/ ٢٠١١ م، ومما جاء فيه:

(ترى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أن صعود حركة الإخوان المسلمين في مصر وتنامي الاعتراف الدولي بكونها قوة سياسية مؤثرة في المنطقة؛ سيوجد هامشاً مريحاً لها للخروج من العزلة السياسية التي فرضتها عليها أنظمة عربية وغربية.

وقد أعرب القيادي في حماس صلاح البردويل عن استغرابه لنشره تلك الوسائل، موضحاً أن الحركة سبق أن أعلنت في ميثاقها الأول عام ١٩٨٨ أنها أحد أجنحة الإخوان المسلمين.

ورأى البردويل أن حماس ستستفيد من صعود الإخوان في العالم العربي باعتبار ذلك سيخلق لها أرضية مريحة للتحرك والخروج من العزلة المصطنعة التي فرضتها عليها الأنظمة قسراً.

وحول موقع الحركة بين سائر الحركات التي تتبع الإخوان المسلمين في المنطقة، قال البردويل: إن حماس تعتبر الحركة الأكثر «دلالاً» ومكانة، مضيفاً أن الثمن الذي دفعته حماس من أجل تثبيت الفكرة وتثبيت وجود هذه الحركة على الأرض هو الذي فتح الطريق للحركات الإسلامية في الوطن العربي بأن تتسلم مقاليد الحكم، حسب قوله).

لقد كسر الربيع العربي الحصار السياسي المفروض على حركة حماس وقاداتها بل أعاد الأمور إلى نصابها، فأينما حل قائد من قادة الحركة إلا واستقبل استقبال الأبطال الذي يليق به وبحركته ومن ذلك جولة رئيس الوزراء إسماعيل هنية وقد اخترنا لكم الأخبار التالية التي تشرح هذه الجولة.

عنوان برنامج حافل لهنية بالقاهرة هو ما نشرته الجزيرة نت مما جاء في:

(وصل إلى القاهرة مساء الأحد رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة في قطاع غزة في بداية جولة خارجية تشمل عدة دول عربية وإسلامية، وتأتي بعد أيام قليلة من اتفاق الفصائل الفلسطينية برعاية مصرية على تفعيل آلية لتنفيذ المصالحة الفلسطينية، وقد التقى هنية عقب وصوله قادماً من

غزة عبر معبر رفح البري، عدداً من القيادات الأمنية المصرية، كما التقى مع عدد من قادة جهاز المخابرات العامة المصرية، بينهم اللواء نادر الأعصر مسؤول الملف الفلسطيني بالجهاز.

والتقى هنية كذلك خيرت الشاطر نائب مرشد جماعة الإخوان المسلمين، علماً بأن برنامج لقاءاته بالقاهرة الاثنين يشمل لقاء مع مرشد الجماعة، محمد بديع حسب ما ذكر للجزيرة نت، مدير الدراسات الفلسطينية بالقاهرة إبراهيم الدراوي؛ الذي أكد أن هنية سيلتقي كذلك مع مدير المخابرات المصرية اللواء مراد موافي ورئيس الوزراء كمال الجنزوري والأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي.

وأضاف الدراوي أن زيارة هنية إلى القاهرة تأتي فى إطار التواصل مع المسؤولين المصريين للتباحث في سبل تنفيذ اتفاق المصالحة الفلسطينية، إضافة إلى عدة قضايا أخرى بينها الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة.

تشمل جولة هنية كلا من مصر والسودان وقطر والبحرين وتونس وتركيا. وقال مسؤولون في الحكومة المقالة في وقت سابق: إن الجولة ستبحث ملفات إعادة إعمار قطاع غزة والتنمية والبطالة إلى جانب التطورات السياسية الفلسطينية خاصة ملف المصالحة. واعتبر هؤلاء أن الجولة تعدّ بداية تفكيك للحصار السياسي المفروض على القطاع.

ولم يسبق لهنية القيام بأي زيارة خارج قطاع غزة منذ سيطرت حركة المقاومة الإسلامية حماس على الأوضاع فيه في يونيو/ حزيران).

وفي تاريخ ٢٨/ ١٢/ ٢٠١١ نشرت الرسالة نت الخبر التالي:

(وصل رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية مساء الثلاثاء إلى العاصمة السودانية الخرطوم، حيث استقبله د. إبراهيم أحمد عمر مستشار الرئيس السوداني ود. كمال عبيد وزير الإعلام السوداني، وعدد من المسئولين السودانيين رفيعي المستوى).

وبالعودة للجزيرة نت التي نشرت تحت عنوان ترحيب بهنية في البرلمان التركي وفي تاريخ



٣/ ١/ ٢٠١٢ خبراً مما جاء فيه:

(لقي رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية الثلاثاء استقبالاً حاراً في أنقرة من قبل نواب حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا خلال زيارة للبرلمان، كما التقى هنية أيضاً زعماء المعارضة في الجمعية الوطنية التركية.

وصفق نواب حزب العدالة والتنمية بحرارة لهنية عند دخوله قاعة البرلمان، في حين ألقى رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان خطاباً أشاد فيه بالمصالحة الفلسطينية، كما تصافح أردوغان وهنية أمام عدسة المصورين).

أما المركز الفلسيطيني للإعلام فقد نشر في تاريخ ٥/ ١/ ٢٠١٢ وتحت عنوان «وسط استقبال حافل رسميّاً وشعبيّاً هنية يصل تونس في زيارة رسمية ويلتقي رئيس الحكومة»، الخبر التالي:

(استقبل رئيس الوزراء إسماعيل هنية، بشكل رسمي وشعبي حافل في العاصمة التونسية، اليوم الخميس (٥ / ١)، حيث كان في استقباله رئيس الوزراء التونسي الدكتور حامد الجبالي في مطار تونس، وعدد من وزرائه، وكذلك راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة التونسية.

واستعرض رئيسا الوزراء حرس الشرف، وعزف السلام الوطني للبلدين، ثم عقدا لقاءً، تبعه تحية هنية للجماهير المحتشدة بالآلاف في منطقة المطار، والتي رفعت صوره والشيخ المؤسس الشهيد أحمد ياسين، وأعلام فلسطين وتونس، هاتفةً "الشعب يريد تحرير فلسطين").

وفي خاتمة هذا المبحث نقول: شاء الله أن يشكل بداية هذا الانقلاب في الحالة العربية عمقاً جغرافياً استراتيجياً لغزة، فمصر جارة غزة الغربية، فليبيا فتونس، بعد ما كانت أنظمة تلك الدول تشارك في حصار غزة.

إن انطلاق الانقلاب في الحالة العربية من هذه المواقع الجغرافية الإستراتيجية لغزة ليؤكد أن غزة هي مركز هذا الانقلاب والمحرك الأساسي له على الأقل في ضمائر الشعوب الحية.

ثالثاً: صلح الحديبية والمصالحة الفلسطينية

ذكر ابن هشام في السيرة النبوية: أمر الحديبية في آخر سنة ست.

وكان اتفاق الفصائل الفلسطينية على تفعيل آلية لتنفيذ المصالحة الفلسطينية في نهاية السنة السادسة للانتخابات رغم أن توقيع المصالحة الفلسطينية كان في منتصف تلك السنة ولكن بقي هذا التوقيع غير مفعل حتى تاريخ ٦/ ٢/ ٢٠١٢. وهذا الخبر على الجزيرة نت يبين ذلك:

إعلان الدوحة للمصالحةالفلسطينية عنوان الخبر الأهم في موضوع المصالحة في تاريخ ٦/ ٢/ ٢٠١٢ ومما جاء فيه:

(وينص الاتفاق الذي تم برعاية أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني على أربع نقاط:

أولاً: التأكيد على الاستمرار في خطوات تفعيل وتطوير منظمة التحرير الفلسطينية من خلال إعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني بشكل متزامن مع الانتخابات الرئاسية والتشريعية...

ثانياً: تشكيل حكومة التوافق الوطني الفلسطينية من كفاءات مهنية مستقلة برئاسة محمود عباس تكون مهمتها تسهيل الانتخابات الرئاسية والتشريعية والبدء في إعمار غزة...).

و بالعودة لصلح الحديبية يقول د. راغب السرجاني تحت عنوان "مفاوض قريش ورجل الحمائم": (ومن هنا فقد أرسلت قريش رجلاً من الحمائم هو سهيل بن عمرو، ذلك الذي كانت له حياة هادئة في مكة، ولم يكن في سيرته مصادمات مباشرة مع المسلمين، الأمر الذي يمكنه من التفاوض مع المسلمين بهدوء، وهذا عين ما تريده قريش).

أما الجزيرة نت نشرت في تاريخ ٢٧/ ٤/ ٢٠١١ خبراً بعنوان: "توقيع اتفاق أولي للمصالحة الفلسطينية"، ومما جاء فيه:

(وقعت اليوم بالأحرف الأولى حركتا التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) والمقاومة الإسلامية (حماس) على اتفاق مصالحة خلال اللقاء الذي جمعهما بالقاهرة برعاية مصرية.

ووقع الاتفاق موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحماس وعضو اللجنة المركزية لفتح عزام الأحمد بحضور رئيس المخابرات المصرية اللواء مراد موافي).

تعليق: إن من يراقب اللقاءات بين الحركتين يدرك أن شخص عزام الأحمد هو الأقدر على أداء هذه المهمة فسيرته كسيرة سهيل بن عمرو، لم يكن فيها مصادمات مباشرة مع حماس، الأمر الذي يمكنه من التفاوض معهم بهدوء.

وتحت نفس العنوان يقول د. راغب السرجاني: (وفي مثل هذه الاتفاقيات هناك إيجابية من الأهمية بمكان، وهي أن كل طرف من طرفي المعاهدة قد أصبح معترفاً بالطرف الآخر، فإذا كان هناك جماعة لا دولة، وقليل لا كثير، ثُم تَمَّ معها معاهدة صلح، فهذه إيجابية كبيرة؛ وذلك لأنها بداية الاعتراف بأنها أصبحت قوة مكافئة.

وما نحن بصدده الآن هو أن قريشاً ليست بحاجة لاعتراف الرسول بها ذلك أن تاريخها يرجع إلى أكثر من ستمائة عام، وهي قبيلة معترفٌ بها وسط مكة المكرمة، ووسط الجزيرة العربية، بل ووسط العالم آنذاك، ولها عَلاقات مع بعض الدول في العالم.

أما جماعة المسلمين فلم يكن يعترف بهم أحد؛ إذ إنها ما زالت جماعة ناشئة ضعيفة مستضعفة، وإذا اعتُرف بها من قِبل قريش فإن هذا يُعَدّ من أعظم إيجابيات صلح الحديبية).

ونقول: إن هذا ينطبق تماماً على طرفي المصالحة الفلسطينية ففتح هي أول من تصدرت النضال كحركة منظمة في تاريخ فلسطين الحديث، لكن وفي تاريخها الطويل قدمت كثيراً من التنازلات مقابل الاعتراف بها عربياً ودولياً كممثل وحيد للشعب الفلسطيني تحت مسمى "منظمة التحرير الفلسطينية" والتي تضم فتح كفصيل رئيس وأساسي ومسيطر وفصائل أخرى أقل حجماً وتأثيراً على قرارات المنظمة، أما حماس فلا يعترف بها أحد فما زالت قوة ناشئة وهي بحاجة للمصالحة لتكسر العزلة السياسية المفروضة عليها، ونذكركم بجزء من الخبر الذي نقلناه عن الجزيرة نت في المبحث السابق بعنوان برنامج حافل لهنية بالقاهرة:

(وصل إلى القاهرة مساء الأحد رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة في قطاع غزة، إسماعيل هنية: (في بداية جولة خارجية تشمل عدة دول عربية وإسلامية وتأتي بعد أيام قليلة من اتفاق الفصائل الفلسطينية برعاية مصرية على تفعيل آلية لتنفيذ المصالحة الفلسطينية). مما يدل أن الاتفاق على تفعيل آلية لتنفيذ المصالحة الفلسطينية سهل على رئيس الوزراء إسماعيل هنية القيام بجولته.

توصيات وبشرى لكوادر حماس:

يقول أيضاً د. راغب السرجاني وفي نفس الموضوع: (إذا جلس طرفان للتفاوض والصلح فلا بد أن يتنازل كل طرف عن شيء أو أشياء من حقوقه.

ومثل هذا بحاجة إلى وقفة متأنية، حتى إذا حدث مثل هذا بين المسلمين وبين غيرهم نكون على وعي تام بطبيعة هذا التفاوض وهذا الصلح، ونعي تماماً ما الذي يمكن أن يتنازل عنه المسلمون ثم نتغاضى نحن عنه، وما الذي يمكن أن يتنازلوا عنه ولا يمكننا السكوت عليه.

ومن هنا فلا شك أن الرسول في هذا الصلح سيقبل - لا محالة - بأمور من أجلها سيشعر المسلمون بغُصَّةٍ وألم في حلقهم، وهذا ما لا بد منه إذا ما جلس طرفان متكافئان للصلح، لا بد أن يقدِّم كل منهما تنازلاً، وإلا فلماذا التفاوض؟ وعلامَ الصلح؟).

ونقول لكم: إن أي تفاوض لا بد أن ينتج عنه بعض التنازلات عن بعض ما حققتموه من مكتسبات للشعب الفلسطيني أولاً ولكم ثانياً وخاصة في غزة ونذكركم بثلاثة مواقف حصلت في صلح الحديبية:

الموقف الأول: عمر بن الخطاب مع أبي بكرٍ الصدّيق رضي الله عنهما:

(فلما التأم الأمر، ولم يبقَ إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟، قال: بلى، قال: أوَلَسْنا بالمسلمين؟، قال: بلى، قال: أوَلَيسوا بالمشركين؟، قال: بلى، قال: فعَلامَ نُعطي الدَّنِيَّةَ (أي: الذل والهوان والصَّغَار) في ديننا؟، قال أبو بكر: يا عمر، إلزم غَرْزَه (أي: لا تَحِد عن طريقه صلى الله عليه وسلم، ولا تختر لنفسك إلا ما اختاره) فإني أشهد



أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله). (سيرة ابن هشام).

الموقف الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وفي روايةٍ ثانيةٍ في الصحيحين: (أنّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتَيتُ نَبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟، قال: بلى، قلت: ألستَ على حقٍّ وعدوّنا على باطل؟، قال: بلى، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟، قال: بلى، قلت: أوَلَستَ كنتَ تُحَدِّثنا أنّا سنأتي البيتَ فنطّوَّف به؟، قال: بلى، أفَأخبرتكَ أنّك تأتيه العام؟، قلت: لا، فقال صلى الله عليه وسلم: فإنك آتيه ومطَّوِّف به). (متّفق عليه).

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: [ما زلتُ أتصدَّقُ وأصوم وأصلّي وأعتِق، من الذي صنعتُ يومئذٍ، مخافة كلامي الذي تكلمتُ به، حتى رَجَوتُ أن يكونَ خيراً]. (سيرة ابن هشام).

الموقف الثالث: بعد توقيع الكتاب (المعاهدة):

[فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قضية الكتاب قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، فَوَالله ما قام منهم رجل (من شدّة الصاعقة النفسية التي ألّمت بهم بتوقيع الصلح)، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات. فلما لم يَقُم منهم أحد، دخل صلى الله عليه وسلم على أمّ سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقيَ من الناس، فقالت له: يا رسول الله؛ أتُحِبّ ذلك؟، اخرج ثم لا تكلِّم أحداً منهم كلمةً حتى تنحرَ بُدْنَكَ وتدعو حالِقَكَ فيحلِقَكَ. فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحرَ بُدْنَهُ ودعا حالِقَهُ فحلقه، فلما رأوا ذلك (أي المسلمون)، قاموا فنحروا، وجعل بعضُهُم يحلِقُ بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً]. (مختصر ابن كثير).

ثم عاد الجيش من غير فتحٍ ولا نصرٍ (على ما يراه الناس).

إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم أخذوا الأمور على ظاهرها، وهذا طبيعي، ولكن مكر الله وتدبيره هو الغالب ففي الطريق بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح




تبشِّر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه من المسلمين، بأنّ النصر سيتم لا محالة بل إن ما تم كان فتحاً ونصراً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ (الفتح:١). فكان الفتح في صلح الحديبية، كما قال المفسرون، وكما قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: [ونحن نَعُدّ الفتحَ صلح الحديبية].

فالتزموا يا كوادر حماس أمر القيادة، لعل الله يدبر لكم نصراً وفتحاً تحبونه، وما يدريك - أيها الموفق - لعله يكون قريبا.

رابعاً: فتح مكة وما سيشابهه إن شاء الله

نتوقع أن يحمل قادم الأيام والأحداث كثيراً من التشابهات بين طريق حماس والمسلمين اليوم لتحرير بيت المقدس، وبين طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو ذلك الفتح، كما تشابهت من قبل (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) وتتقارب تواريخ حدوثها كما تقاربت من قبل، ونذكر أننا نسبنا التواريخ إلى الانتخابات الفلسطينية مشابهة لنسبة التواريخ إلى الهجرة النبوية.

ثم إنه قبل وبعد فتح مكة هناك كثير من الأحداث المهمة، ولكننا سنقتصر هنا في هذا الكتاب الحديث عن هذا الفتح وعن فتح بيت المقدس، وهو الأهم في عصرنا، وهو موضوع المبحث القادم إن شاء الله.

فتح مكة:

وقته: السنة الثامنة للهجرة.

سببه: نقض قريش لصلح الحديبية وذلك بمد حليفتها بني بكر بالسلاح والرجال بغزوتها على خزاعة حليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصار لزاماً على المسلمين نصر حليفتهم خزاعة.

نتائجه:

فتح مكة دون قتال، بعد ما ملئت قريش رعباً من جيش المسلمين الذي كان يفوق العشرة آلاف مقاتل.

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحطيم الأصنام وهو يردد: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل زهوقاً».

وبذلك تم إطلاق سراح قريش عندما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة ..، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فطاف

بالبيت وركع ركعتين خلف المقام، ثم أخذ بجنبتي الباب، فقال:

"يا قريش ما تظنون وما تقولون؟ قالوا: نقول ونظن أنك أخٌ وابن عمٍّ حليم رحيم، قال: "يا قريش ما تظنون وما تقولون؟ قالوا: نقول ونظن أنك أخٌ وابن عمٍّ حليم رحيم، قال: "يا قريش ما تظنون وما تقولون؟ قالوا: نقول ونظن أنك أخٌ وابن عمٍّ حليم رحيم، قال: أقول كما قال أخي يوسف (لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين). (رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار رقم ٥٠٤٤ بسند صحيح)

إن فتح مكة أنهى العداء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ خاصة المهاجرون منهم من جهة، وقريش الأهل والعشيرة من جهة أخرى، ونتوقع أن حدثاً في المستقبل، وموعده في السنة الثامنة للانتخابات سيحاكي هذا الحدث - ينهي حالة الانفصال بين شقيّ الوطن الواحد -الضفة وغزة -.



خامساً: فتح بيت المقدس

وتحرير القدس في عام 2021 م إن شاء الله

فتح بيت المقدس:

وقته: في السنة الخامسة عشرة للهجرة.

سببه: استمرار خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنشر الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هدفهم الأول بعد الجزيرة العربية بلاد الشام وخاصة بيت المقدس توأم مكة والمدينة، فأرسلوا لذلك الجيوش والحملات، وخاضوا في سبيل ذلك كثيراً من المعارك أهمها معركة اليرموك، تمهيداً للهدف الأكبر فتح بيت المقدس.

نتيجته: فتح بيت المقدس دون قتال؛ إنما اشترط نصارى القدس لتسليم مفاتيح المدينة؛ أن يأتي زعيم المسلمين بنفسه لاستلامها، فخرج خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب من المدينة المنورة قاصداً المدينة المقدسة، وليس معه إلا دابته وخادمه، الذي تناوب معه على ركوب الدابة، وعندما وصل إلى المدينة المقدسة، عرفه رهبانها، أنه هو وكما جاء وصفه بالآثار، هامة عالية، وثياب مرقعة واعتزاز لا مثيل له بالدين الذي أعز أصحابه، فسلموه المفاتيح وكتب لهم عهدته العمرية المشهورة.

فتح عظيم يوازي ويشابه فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة.

وعظمة الحدث، دفعت بمؤذن رسول الله بلال أن يؤذن بالناس رغم أنه صام عن الأذان منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما وصل إلى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أجهش بلال والمسلمون في البكاء، فقد تذكروا حبيبهم سيد الإسراء وخاتم الأنبياء.

ونتوقع أن تحرير القدس سيكون في عام ٢٠٢١ أي بعد خمسة عشر عاماً من الانتخابات الفلسطينية، ولندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة ثم نبدأ دورة جديدة مع الخلافة على منهج النبوة عاصمتها القدس وحدودها المعمورة بأسرها بعد ما نتبر ما علو تتبيراً بإذن الله تعالى وتدبيره.



التفريغ الزمني لخطة التحرير

قسمنا خطة التحرير من تاريخ الانتخابات الفلسطينية ٢٠٠٦ ولغاية تاريخ تحرير المسجد الاقصى ٢٠٢١، إلى ثلاث مراحل، مدة كل مرحلة خمس سنوات.

المرحلة الأولى ٢٠٠٦ - ٢٠١١

عنوان المرحلة: البناء والدفاع.

أولويات المرحلة:

١. الحفاظ على بيضة الإسلام والمسلمين، من خلال الدفاع عن المشروع الإسلامي في فلسطين، وإفشال كل المحاولات التي تسعى لإنهاء كل نجاح في مجالاته السياسية والعسكرية والاقتصادية.

٢. بناء دولة إسلامية قوية تتمتع بـ:

أ. وحدة الصف الاسلامي.

ب. اقتصاد محلي.

ج. تشكيل عسكري (جيش متكامل).

د. مجتمع تمت تربيته تربية قرآنية ونبوية.

هـ. علاقات سياسية مع دول الجوار وبعض الدول الأجنبية.

المرحلة الثانية: ٢٠١١ - ٢٠١٦

عنوان المرحلة: التوسع وقيادة المنطقة.

أولويات المرحلة:

١. إيصال العدو بكافة أشكاله إلى مرحلة اليأس من اجتثاث المشروع الإسلامي في فلسطين، وأنه



لا طريق أمامه سوى التعايش والتعامل مع هذا المشروع كواقع.

٢. فرض الدولة الاسلامية واقعاً في فلسطين، وإبرازها كقوة تستطيع استقطاب الحلفاء بمختلف أشكالهم.
٣. تحويل المشروع إلى مشروع دولي يخاطب القوى الكبرى السياسية والعسكرية في هذه المرحلة.
٤. التوسع الجغرافي من خلال وصول اسلامين الى سدة الحكم في عدد من البلدان المجاورة من جهة وإنهاء حالة الانفصال بين شقي الوطن الواحد غزة والضفة من جهة اخرى.
٥. التوسع في العلاقات الإستراتجية مع دول الجوار، التي قد تكون في هذه المرحلة قد تغيرت طبيعة الأنظمة الحاكمة فيها توجهاتها.

المرحلة الثالثة: ٢٠١٦ - ٢٠٢١

عنوان المرحلة: الانتصار، وقيادة العالم الاسلامي.

شكل المرحلة المتوقع إن شاء الله:

١. إنحسار المشروع الصهيوني تدريجياً، وتحقيق انتصارت متتالية؛ مدعوماً ذلك بانحسار مشروع الباطل العالمي.
٢. تخلي كثير من الشركاء الاستراتيجيين للمشروع الصهيوني عن دعمه وبدء التصدع في هذا المشروع.
٣. الدخول في مواجهات مع القوى العالمية في مناطق نفوذهم في الشرق الأوسط وتحقيق انتصارات.
٤. إعادة ترتيب موازين القوى في الشرق الأوسط، وهذا قد يفرض مواجه مع قوة إقليمية مؤثرة في المنطقة تعتبر اليوم حليفا للمشروع الإسلامي في فلسطين.
٥. إنحسار تدريجي للنفوذ الأجنبي في منطقة الشرق الأوسط.
٦. تحرير المسجد الأقصى وباقي أرض فلسطين.



تسلسل الأحداث إلى نهاية العالم

ما سنذكره من تسلسل للأحداث مبني على فهمنا لسورة الإسراء وربط هذا الفهم ببعض الأحاديث الشريفة مجتهدين في ذلك متوكلين على الله:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٨)

تساؤل مهم يقفز إلى ذهنك عندما تقرأ هذه الآية، وهو: هل هناك عودة أخرى لبني إسرائيل ليفسدوا في الأرض ويحتلوا القدس بعد تحريرها كما ذكرنا؟

لقد وضحنا في مبحث (معالم طريق التحرير) تسلسل الأحداث حتى قيام الخلافة الراشدة على منهج النبوة والتي سيكون مركزها بيت المقدس أن شاء الله، ولكن ما الذي سيحدث بعد أن تنزل الخلافة بيت المقدس؟

قال صلى الله عليه وسلم: (عمرانُ بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال). (رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح أبي داوود ٤٢٩٤).

ولنُعِد ذكر الأحاديث بتسلسل وفق فهمنا لتسلسل الأحداث من النبوة وحتى الدجال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت).

وتكون عاصمة الخلافة: (يا ابن حواله إذ رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك).



وبعد نزول الخلافة في بيت المقدس قال صلى الله عليه وسلم: (عمرانُ بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال).

أما الملحمة فقد روى فيها مسلم في صحيحه هذا الحديث وغيره عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق – أو بدابِقَ – فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بينا وبين الذين سُبُوا مِنَّا نقاتلْهم، فيقول المسلمون: لا والله، كيف نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم؟ فينهزم ثُلُث ولا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتَل ثلثُهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يُفتَنون أبداً، فيفتَتِحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد عَلَّقوا سُيوفَهُم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ قد خَلَفَكم في أهاليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدِّون القتال، يُسَوُّون صفوفَهم، إذا أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم، فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده – يعني المسيح – فيريهم دَمه في حربته).

دابق: قرية من القرى التاريخية التابعة لناحية اخترين وهي تقع شمال مدينة حلب على مسافة ٤٥ كم وتبعد عن الحدود التركية حوالي ١٥ كم تقريباً.

والواضح من هذه الأحاديث وربطها مع سورة الإسراء، أن هذه المراحل والأحداث مرتبط بعضها ببعض ولكن الناظر لها يجد أن هذه المراحل قد تتسع مدة بعضها، بينما تضيق مدد البعض الآخر، كما أنه قد يطول الزمن بين حدث وآخر وقد يقصر.

١. إن ربط هذه الأحاديث مع سورة الإسراء يبين أن بيت المقدس ستحرر قبل خروج الدجال، وتكون تحت الحكم الإسلامي بل وتكون هي عاصمته، أما عن خراب يثرب يقول

ابن كثير في (النهاية): (وليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك آخر الزمان، بل تكون عمارة بيت المقدس سبباً في خراب المدينة النبوية، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يقدر على دخولها، يُمنع من ذلك بما على أبوابها من الملائكة القائمين بأيديهم السيوف المصلتة).

٢. إن هذه الخلافة الأخيرة التي تكون خلافة على منهاج النبوة وبعد أن تبلغ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت حضر ووبر إلا أدخل الإسلام فيه كما يقرر ذلك أيضاً نص الحديث: (قالت الروم: خلوا بينا وبين الذين سُبُوا مِنَّا نقاتلْهم). والذين سبوا منا: أي الروم الذين خرجوا من دين الروم ودخلوا الإسلام تعود فتنحسر قوتها ودليل انحسار قوتها قول رسول الله: (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) و(فيفتَتَحِون قسطنطينية) ومن المعلوم أن محمد الفاتح فتح القسطنطينية أو إسطنبول، وإسطنبول هي مدينة أغلب سكانها الآن مسلمون، وإن من يحكم إسطنبول بل كل تركيا الآن هو حزب العدالة والتنمية ذو التوجهات الإسلامية، إذن سيأتي زمان تخرج إسطنبول من حكم الإسلام مرة أخرى.

٣. مقابل هذا الانحسار لقوة المسلمين ونفوذهم تتعاظم قوة ونفوذ الروم وتدخل إسطنبول تحت نفوذهم مرة أخرى، بل ويصل هذا النفوذ إلى حدود بلاد الشام الشمالية؛ إلى دابق قرب حلب المدينة السورية.

٤. بعد انتهاء المعركة مع الروم أو الملحمة التي يتحدث بعض العلماء أن قائد جيش المسلمين فيها يكون المهدي يعود المسلمون ويبدءون دورة جديدة مع المجد فينطلقون ويفتحون القسطنطينية مرة أخرى ولا يوقفهم إلا خروج الدجال.

٥. إن توجه المسلمين بعد المعركة شمالاً باتجاه إسطنبول لفتحها، والتي تبعد مئات الكيلومترات عن دابق، لا يستقيم مع وجود يهود يحتلون جزءاً من بلاد الشام، وهو فلسطين مما يؤكد أن تحرير فلسطين قد تم قبل ذلك.

ويعضد هذا الفهم حديث آخر رواه أحمد في مسنده (١٧٤٤٣) والحاكم في مستدركه (٨٥٨١):

عن عثمان بن أبي العاص؛ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام، فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيخرج الدجال في أعراض الناس، فيهزم من قبل المشرق، فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين، فيصير أهله ثلاث فرق، فرقة تقول: نشامه، ننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم، ومع الدجال سبعون ألفاً عليهم السيجان، وأكثر تبعه اليهود والنساء، ثم يأتي المصر الذي يليهم فيصير أهله ثلاث فرق، فرقة تقول: نشامه وننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغربي الشام، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق، فيبعثون سرحاً لهم، فيصاب سرحهم، فيشتد ذلك عليهم، وتصيبهم مجاعة شديدة، وجهد شديد، حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السحر: يا أيها الناس أتاكم الغوث، ثلاثاً، فيقول بعضهم لبعض: إن هذا لصوت رجل شبعان، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: يا روح الله، تقدم صل، فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلي، فإذا قضى صلاته، أخذ عيسى حربته، فيذهب نحو الدجال، فإذا رآه الدجال، ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوته، فيقتله وينهزم أصحابه، فليس يومئذ شيء يواري منهم أحداً، حتى إن الشجرة لتقول: يا مؤمن هذا كافر، ويقول الحجر: يا مؤمن هذا كافر».

يؤكد هذا الحديث ما ذهبنا إليه من:

١. انحسار نفوذ المسلمين زمن خروج الدجال في ثلاثة أمصار ذكرها الحديث.
٢. أحد تلك الأمصار التي تحت نفوذ المسلمين هو بلاد الشام وفلسطين جزء منه،

والحديث ذكر بالتحديد غربي بلاد الشام، وفلسطين تقع في الجزء الغربي من بلاد الشام بمعنى أنه في ذلك الوقت تكون فلسطين محررة من احتلال يهود لها والله أعلم.

من هم أهم أتباع الدجال؟

ينص الحديث السابق على (وأكثر تبعه اليهود والنساء)، وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يتبع الدجال سبعون ألفاً من يهود أصفهان عليهم الطيالسة).

يعلق الشيخ محمد العريفي في كتابه نهاية العالم على هذا الحديث لمسلم قائلاً: (أصفهان مدينة إيرانية تقع في وسط إيران، ويسكنها حسب المصادر الرسمية من ٢٥ - ٣٠ ألف يهودي)، فقط لحد الآن ولا ندري كم منهم عليهم الطيالسة.

أما سورة الإسراء فقد أشارت لذلك ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإسراء: ٨.)

فعودة بني إسرائيل الأخيرة تكون مع ملكهم المخلص الأعور الدجال فيفسدون في الأرض ويدخلون القدس معه من جديد، فيبعث الله عيسى عليه السلام فيقتل الدجال عند باب اللد، روى مسلم في صحيحه عن ما سيجري مع الدجال: (إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله).

وينقل الشيخ محمد العريفي في كتابه نهاية العالم نصاً من التلمود يؤكد عودة يهود مع المسيح الدجال بعد ما يرفع الله الخلافة الراشدة، جاء فيه : (ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار)، وإليكم هذا النص: (لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من صوف وقمحاً حبه بقدر الكلاوي، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له، وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد



يخدمونه، وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته، ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار ويتحقق منتظر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون تلك الأمة متسلطة على باقي الأمم عند مجيئه).

ثم يقتتل المسلمون وأتباع الدجال من كفار ويهود وينتصر المسلمون، يروي أحمد في الحديث الذي ذكرناه عن عثمان بن أبي العاص: (أخذ عيسى حربته، فيذهب نحو الدجال، فإذا رآه الدجال، ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوته، فيقتله وينهزم أصحابه، فليس يومئذ شيء يواري منهم أحداً، حتى إن الشجرة لتقول: يا مؤمن هذا كافر. ويقول الحجر: يا مؤمن هذا كافر)، وبمثل معناه روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله)، وروى البخاري أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله).

وعنه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتقاتلن اليهود، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم! هذا يهودي، فتعال فاقتله). رواه مسلم.

وعنه أيضاً: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي ورائي فاقتله)، رواه الترمذي.

أما الأحداث لقيام الساعة نكملها مع الحديث في صحيح مسلم الذي ذكرنا جزءاً منه: (عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة

النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً؛ يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول: لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يَدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم



اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة).

ماذا نستنتج من كل ما سبق؟

إن ما ذهبنا إليه من تسلسل زمني للأحداث مستندٍ للآيات من سورة الإسراء، والأحاديث النبوية الشريفة ليبين أننا في الإفساد الثاني لبني إسرائيل، وأن نهاية هذا الإفساد ليست مرتبطة بظهور المهدي والدجال وعيسى عليه السلام، وأن الساعة ليست قريبة إلا بالمعنى النسبي أي نسبة ما تبقى لقيامها من زمن إلى عمر الأرض، وقيامها ليس مرتبطاً بزوال الاحتلال من فلسطين، والله أعلم.

إن ما يعضد هذا الطرح هو أن كثيراً من علامات الساعة الصغرى لم تظهر بعد فقد عدد الشيخ محمد العريفي في كتابه نهاية العالم ١٣١ من هذه العلامات التي لم تقع بعد.

وذكر الشيخ عمر سليمان الأشقر رحمه الله في كتابه: "القيامة الصغرى" بعضاً من

تلك العلامات التي لم تقع بعد وننقل عن كتاب الشيخ :

(وبه يتبين أنه ثمة تسع علامات للساعة الصغرى لم تظهر بعدُ، ويتبين أن ما يتكرر من كلام كثير من الناس أن علامات الساعة الصغرى قد ظهرت كلها ولم يبق إلا "المهدي" قول عارٍ عن الصحة. والله أعلم).



الفصل الرابع

نهاية هيمنة الغرب وأمريكا

من ظلال سورة الإسراء



إن نهاية هيمنة الغرب على العالم هي المقدمة الطبيعية لزوال الكيان الصهيوني الغاصب إذ الهيمنة الغربية هي الداعم الرئيس للمشروع الصهيوني ومن ثم تبدأ دورة جديدة للمسلمين مع الخلافة الراشدة على منهج النبوة.

فبعدما قصت علينا سورة الإسراء – هذه السورة المعجزة والقرآن كله معجز – نبوءتها عن بني إسرائيل ستقص علينا الآن نبوءة جديدة عن نهاية هيمنة الغرب على العالم، وهذه النبوءة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنبوءة الأولى **كما قررت هذه الآية** ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٢)، وأكده ترتيب الآيات في سورة الإسراء، ويؤكده الواقع أيضاً.

وهذا موضوع ناقشناه في هذا الفصل؛ رابطين آيات هذه السورة العظيمة بحقائق تؤكد أن نهاية هيمنة الغرب على العالم باتت وشيكة.

سنة الله في تدمير القرى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الإسراء: ١٦ – ١٧).

رسم لنا سيد قطب في ظلال القرآن شيئا بديعا مما توحيه هاتين الآيتين قائلاً: (والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغو في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها.

والآية تقرر سنة الله هذه، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك. وهي المسؤولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين. فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك.

فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجية القهري الذي ينشئ السبب، ولكنها ترتب النتيجة على السبب. الأمر الذي لا مفر منه لأن السنة جرت به، والأمر ليس أمراً توجيهياً إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفسق.

هذه السنة قد مضت في الأولين من بعد نوح، قرناً بعد قرن، كلما فشت الذنوب في أمة انتهت

بها إلى ذلك المصير، والله هو الخبير بذنوب عباده البصير).

ونقول: من الواضح أن سنة الله في تدمير الأمم مرتبطة بالمال والاقتصاد، ولقد رتع الغرب المتحكم بمال واقتصاد العالم في الفسق والمجانة، واستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وولغ في الأعراض والحرمات، وعاث في الأرض فساداً، ونشر الفاحشة في دوله وبين شعوبه بل بين شعوب كل العالم، وهذا ما دفع سيد قطب أن يتوقع في معرض الحديث عن ظلال ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٢). أن ينحلّ هذا الغرب، حيث قال: (وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال، منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث، وقد يغر بعضهم أن أوروبا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع فشو هذه الفاحشة فيهما، ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة منها - كفرنسا – ظاهرة لا شك فيها، أما في الأمم الفتية كالولايات المتحدة، فإن فعلها لم يظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب واتساع موارده كالشاب الذي يسرف في شهواته فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب، ولكنه سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة فلا يقوى على احتمال آثار السن، كما يقوى عليها المعتدلون من أنداده!).

ونقول: لقد اتخذ الغرب هذه الدنيا العاجلة إلهاً له والنظام الرأسمالي ديناً وتشريعاً، فغدا لا يؤمن إلا بما يراه ويشعر به من ماديات هذه الحياة ولا يدرك ولا يعلم أن مقومات هذه الدنيا التي راح يعبدها هي من عطاء الله يعجل له فيها ولكن إلى حين.



مصير النظام الرأسمالي

من ظلال سورة الإسراء

لمعرفة مصير هذا النظام الفاسد، يمكننا كذلك أن نبحث فيما قصه الله تعالى علينا في سورة الإسراء، لنرى آياتها تقضي بسنة الله تعالى في إهلاك الأمم والأنظمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الإسراء: ١٨-٢٠)

يقول د. عابد العبدلي في شرح مادة أصول الاقتصاد الإسلامي: (موقف الاقتصاد الإسلامي من المشكلة الاقتصادية يختلف مع الفكر الغربي الرأسمالي في مفهوم الندرة، فالأصل في الموارد في النظام الرأسمالي الندرة، أما الأصل في الموارد في الاقتصاد الإسلامي ليس الندرة بل الوفرة ويدل على ذلك أدلة من القرآن والسنة).

ونقول: إن هذه الآيات وفي هذا الترتيب من هذه السورة العظيمة أكبر دليل على الاختلاف بين الحل الإسلامي للمشكلة الاقتصادية وحل هؤلاء الغربيين الذين اتخذوا ما اخترعوه من دين (النظام الرأسمالي) شرعاً لهم، فهذه الآية قررت أن عطاء الله غير محدود للمؤمنين وللكافرين على السواء، مما يعني أن الإسلام يقر أن الأصل في الموارد الوفرة، وبالتالي لا يكون حل المشكلة الاقتصادية في حصر الثروة بأيدي طبقة محدودة من الناس استناداً إلى أن الأصل في الموارد الندرة، وعلى هذه القاعدة الباطلة شيَّد الرأسماليون نظامهم.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإسراء: ٢١)

ومن تفسير الشعراوي لهذه الآية ننقل لكم الجملة التالية:

(والمتأمل يجد أنّ الله تعالى جعل التفضيل هنا عامّاً، فلم يُبيّن مَن المفضَّل ومَنِ المفضّل



عليه، فلم يقُلْ: فضلت الأغنياء على الفقراء، أو: فضلت الأصحاء على المرضى.

إذن: فما دام في القضية عموم في التفضيل، فكلٌّ بعض مُفضَّل في جهة، ومُفضّل عليه في جهة أخرى، لكن الناس ينظرون إلى جهة واحدة في التفضيل، فيفضلون هذا لأنه غني، وهذا لأنه صاحب منصب، إلخ).

ونقول: إن الناس في كل أرجاء المعمورة ينظرون للغرب ونظامه الرأسمالي نظرة التلميذ لأستاذه الأفضل، فهم أصحاب المال والرفاهية والتقدم.

لكن الآية التالية تقرر مصيرهم ومصير من يتخذ مع الله إلهاً آخر:

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٢).

يذكر سيد في ظلاله: ((مخذولاً) لا ناصر له، ومن لا ينصره الله فهو مخذول وإن كثر ناصروه، ولفظ {فتقعد} يصور هيئة المذموم المخذول، وقد حط به الخذلان فقعد، ويلقي ظل الضعف، فالقعود هو أضعف هيئات الإنسان وأكثرها استكانة وعجزاً، وهو يلقي كذلك ظل الاستمرار في حالة النبذ والخذلان، لأن القعود لا يوحي بالحركة ولا تغير الوضع، فهو لفظ مقصود في هذا المكان).

ونقول: إن حال الغرب اليوم منطبق تماماً على وصف (فتقعد مذموماً مخذولاً) كما بينه المفسر الكبير رحمه الله، فالغرب وما يعاني منه من مشكلات، كأنه سقط إلى الأرض، بعد أنْ أصبحتْ رِجلاه غير قادرتين على حَمْله، ولم تَعْد به قوة للحركة، والسبب واضح هو اتخاذ هؤلاء مما اخترعوا من دين (النظام الرأسمالي) شرعاً لهم من دون شرع الله.

ولنلقِ نظرة سريعة على هذه المشكلات التي يعانيها الغرب اليوم، والتي ستنتهي به حتماً إلى الانحلال كما بينا في المبحث السابق:

إن الغرب ونظامه المالي بكل أدواته – البنوك والأسهم والبورصات والسندات وبالذات نظام التوريق ونظامه النقدي من عملات الدولار واليورو وغيرهما – يعاني كثيراً من المشاكل بل هو على

حافة الانهيار، وحتى ندرك عمق ما يعيشه الغرب ونظامه المالي من أزمة، فلنستمع إلى رأس الهرم في هذا النظام السيد روبرت زوليك رئيس البنك الدولي وهو يبحث عن حلول للأزمة:

((أدعو دول G٢٠ إلى اعتماد الذهب كمعيار لتقييم أسعار العملات)) وهذا يؤكد عمق الأزمة وتخبط المسؤولين عن النظام المالي العالمي، فزوليك يدرك تماماً أن كل الذهب الموجود في العالم لا يغطي جزءاً يسيراً من حجم السيولة الموجودة في العالم.

أما الرئيس الفرنسي ساركوزي فقد دعا إلى وضع نظام اقتصادي عالمي جديد.

السؤال الأكبر: ما الذي جعل النظام المالي العالمي يصل إلى هذا السوء؟

أولاً: إن هذا النظام وما يملك من أدوات – البنوك والأسهم والبورصات والسندات ونظام التوريق أي العملات من دولار ويورو وغيرها – مبني على الوهم والغش، فكثير من أدواته لا قيمة حقيقية لها أي لا تغطيها أصول، فالعملات والأسهم وتعامل البنوك بالفوائد وبيع الدين الواحد أكثر من مرة يضاعف قيمته وهمياً، فمثلاً لو استدان شخص ١٠٠٠ دولار من بنك فإن البنك يبيع هذا الدين لبنك آخر، والآخر يعود ويبيع هذا الدين وهكذا، فتتضاعف القيمة عشرات المرات وهو في الحقيقة ١٠٠٠ دولار، بهذا يظهر كذب هذا النظام وغشه، فهو عرضة للأزمات المتتالية.

ثانياً: إن الاقتصاد الأكبر في العالم، والذي يقود النظام الاقتصادي العالمي بعملته – التي هي عملة التجارة والاحتياط – الوحيدة تقريباً في العالم، وطبعاً نتحدث عن الولايات المتحدة الأمريكية وعملتها الدولار يعاني في الصميم، للأسباب التالية:

١. مديونية أمريكا ١٥,٣ تريليون دولار مع العلم أن المديونية الأمريكية في عام ٢٠٠١ أي قبل بدء حملتها على ما تسميه الإرهاب كانت بحدود ٥,٧ تريليون بمعنى أن الدين زاد حوالي١٠ تريليون.

٢. نسبة الدين العام إلى الناتج الوطني الخام يزيد عن ١٠٠٪ مع العلم أن النسبة المقبولة دولياً لا

تزيد عن ٦٠٪.

٣. إنفاق كبير على قطاعي الصحة والتقاعد بسبب ارتفاع معدلات الشيخوخة، مديونية قطاع الصحة ١ تريلون.

٤. العجز في الميزان التجاري: فحسب الاتفاقات الدولية، على أمريكا أن تصدر الدولارات إلى العالم وتحصل على السلع، فتصدر أموالاً أكثر مما يتدفق عليها مما يؤدي إلى هذا العجز.

٥. مديونية عالية لدى القطاع الخاص.

٦. بطالة تزيد عن ١٥ مليون عاطل.

٧. إنفاق عسكري كبير في حربي العراق وأفغانستان والحرب على ما يسمى الإرهاب.

٨. الاستهلاك الكبير عند المواطنين الأمريكان، فالاقتصاد يعتمد على الاستهلاك والاحتياط الفدرالي يقوم بطبع وضخ الدولارات، وإعطاء القروض بفوائد متدنية كما حصل عام ٢٠٠٨ حيث تم طباعة ٨٠٠ مليار دولار وفي عام ٢٠١٠ تم طباعة ٦٠٠ مليار دولار، لحث المواطنين على استهلاك المنتجات لتدوير عجلة الاقتصاد، ولكن هذا الفعل بالطبع له آثار سلبية سنتحدث عنها لاحقاً، أما المشكلة الحقيقية التي تواجه هذا الحل هو أن المواطن الأمريكي يتجه نحو البضائع من دول منافسة بالذات الصين وبالتالي تستفيد الاقتصادات المنافسة على حساب الاقتصاد المحلي.

٩. وجود اقتصادات قوية منافسة تتمثل باقتصاديات دول آسيا وخاصة الصين واقتصاد الاتحاد الأوروبي.

١٠. طباعة البنك المركزي الأمريكي وكما ذكرنا سابقا ل٦٠٠ مليار دولار في عام ٢٠١٠ وضخها في الأسواق مما أدى إلى خفض قيمة الدولار وارتفاع أسعار الذهب والنفط فزاد من التخبط في الأسواق، وزاد من اشتعال فتيل حرب العملات العالمية، فإنزال قيمة الدولار يؤدي إلى خفض أسعار المنتجات الأمريكية ويسهل تصديرها، ويقلل من استيراد المنتجات المنافسة، ولذلك أثارت هذه الخطوة اعتراضات كلاً من الصين وألمانيا محذرتان

من حرب عملات عالمية وفي المقابل تتهم أمريكا الصين بخفض قيمة عملتها بمقدار ٤٠ ٪ عن قيمتها الحقيقية.

١١. وعلى الجهة الأخرى فإن خفض الدولار يتضرر منه الدولار نفسه بسبب عدم استقراره فيصبح غير آمن كعملة تجارة أو احتياطي دولي.

١٢. من ضمن ٥٠ ولاية في أمريكا تشكو ٤٦ ولاية عجزاً قد يفجر مشكلة سياسية اقتصادية تودي إلى حرب ولايات.

١٣. عجز أمريكا ومنذ ٢٠ عاماً يمول من فوائض الدول التي لها فائض مثل الصين والدول النفطية ، فمثلا الدين الأمريكي لصالح الصين لوحده أكثر من تريليون، وهذا الذي أصبح غير مقبول.

١٤. أزمة اقتصادية خانقة عام ٢٠٠٨ وبوادر أزمة جديدة في ٢٠١٢ بعد رفع قيمة الدين العام مما سبب خفض التصنيف الائتماني.

ثالثاً: الاقتصاد الأوربي وعملته اليورو أيضاً يعانيان من أزمات وصفتها الأخبار المتخصصة بـ (اليورو يشيخ مبكراً) وقال الأمريكي (دانيال فيغسون) وهو من أشهر وأكبر المؤرخين الاقتصاديين: (نهاية اليورو حتمية) وقالت الكيمونست: (عيوب خلقية لليورو) وذلك للأسباب التالية:

١. الوحدة الاقتصادية لدول اليورو تحتاج إلى بنية سياسية تدعمها وهذا غير متحقق في أوروبا على عكس اتحاد الولايات الأمريكية مثلاً، ولتحقيق بعض ملامح هذه الوحدة السياسية ينبغي على الدول الأعضاء التخلي عن بعض القرارات السيادية، وهذا يبدو صعب التحقيق حالياً.

٢. عدم توازن في منطقة اليورو بين الوسط والأطراف فألمانيا وهولندا والدنمارك بلدان مصدرة بينما اليونان وإيرلندا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال دول ذات مديونية عالية.

٣. لا يوجد ميزانية مشتركة لدول أوروبا.

٤. معدلات الشيخوخة وكبر السن في أوروبا مرتفعة مما يسبب إنفاقاً عالياً جداً على نظام الرعاية

الصحية ونظام التقاعد وهذا ما خلق الأزمة السابقة في فرنسا مثلاً، ومن قبلها بريطانيا واليونان والحبل على الجرار اعتراضاً على خطط التقشف ومن جهة أخرى فالاقتصاد بحاجة للشباب للنهوض به.

٥. تجاوز دول الأطراف قوانين اللعبة وهي شروط الانضمام لليورو الذي يشترط أن عجز ميزان البلد لا يجب أن يتعدى ال ٣ ٪ من الناتج القومي العام وتراكم هذا العجز الذي يعطي دين الدولة لا يجب أن يزيد عن ٦٠٪ من الناتج القومي العام وبنظرة سريعة على بعض الأرقام نجد أن كثير من دول اليورو خرقت قوانين اللعبة.

٦. مديونية عالية في القطاع الخاص فعلى سبيل المثال المشكلة في إيرلندا هي أزمة مصارف القطاع الخاص، وهي مشكلة مركبة حيث أن لمعظم المصارف في أوروبا ديناً على مصارف في إيرلندا فإذا انهارت هذه المصارف سيؤثر ذلك على مصارف أوروبا كلها. ومثال آخر، إحدى مشاكل البرتغال الاقتصادية، هي أيضاً مشكلة مصارف وهي أيضا مشكلة مركبة حيث أن معظم المصارف البرتغالية مدينة لمصارف إسبانية وبالتالي انهيار الأول يؤدي إلى انهيار الثاني، وهذا سيسارع في انهيار اليورو، فاسبانيا من الأصل تعاني من مشاكل.

٧. الاختبار الحقيقي لليورو هو صمود الاقتصاد الإسباني والإيطالي لأنهما اقتصادان كبيران مقارنة باقتصاديات على وشك الانهيار(اليونان، إيرلندا، البرتغال).

٨. تتحمل ألمانيا الجزء الأكبر من مشاكل دول اليورو بسبب الفائض الكبير الذي تحقق ولكن السؤال الذي بات يطرحه دافع الضرائب الألماني إلى متى؟ كما تعاني ألمانيا بذاتها من مشكلة تضخم كبير.

إن كل ماسبق يؤكد أن أدوات التداول في العالم من عملات وأسهم وسندات وغيرها على حافة الانهيار وهو ما يحمل البشرى للمسلمين.

فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((منعت العراق درهمها وقفيزها. ومنعت الشام مدها ودينارها. ومنعت مصر إردبها ودينارها. وعدتم من حيث بدأتم. وعدتم من



حيث بدأتم. وعدتم من حيث بدأتم شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه). صحيح مسلم. (وقفيزها) القفيز مكيال معروف لأهل العراق. (مدها)، مكيال معروف لأهل الشام. (إردبها) مكيال معروف لأهل مصر.

إن المتأمل في هذا الحديث الذي تحدثنا عن جزء منه في الفصل السابق؛ يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربط عودة المسلمين من حيث بدأوا بانهيار أدوات التداول والتي عبر عنها بأسماء أدوات التداول المعروفة في ذلك الزمان: (الدرهم والقفيز، المد والدينار، الأردب والدينار). وفي البلدان التي كانت خاضعة لنفوذ القوى العظمى في ذلك الزمن، فالعراق تحت حكم الفرس، والشام ومصر تحت حكم الروم.

ولا يتحدث الحديث مثلما يحاول البعض تفسيره الآن بحصار العراق، وحصارين آخرين للشام ولمصر سيحدثان مما يؤدي لمنع هذه الدول لأدوات التداول فيها، فهذا لم يحصل في حالة العراق ولا يحصل بسبب الحصار، ولو أراد الحديث الحصار لذكر مثلاً الجوع أو منع الطعام كنتيجة له لكن الحديث ذكر أن الذي منع هو أدوات التداول.

ولا يتحدث التاريخ ولا مفسروا هذا الحديث عن وقوع ما ذكر الحديث لغاية الآن كما أن الإمام النووي ربط بين هذا الحديث وحديث (بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ..........) مما يشير أن وقوع ما نص عليه هذا الحديث سيكون متزامنا مع غربة الإسلام التي نعيشها واقعا الآن ولكننا نجد فيه إشارة إلى انهيار أدوات التداول للدول العظمى في زماننا، كما بينا، وبسقوط هذه الأدوات تنتهي هيمنة الغرب على العالم ويبدأ المسلمون دورة جديدة مع المجد على طريق بناء الخلافة الراشدة والتي هي على منهج النبوة كما تحدثنا عن ذلك في مبحثي (معالم طريق التحرير) و(تسلسل الأحداث إلى نهاية العالم) من الفصل السابق.

وبربط هذا الحديث بآيات سورة الإسراء التي تحدثنا عنها في هذا المبحث والمبحث السابق نعلم أن نهاية هيمنة الغرب على العالم بات وشيكاً.

فبعد ما أنهت هذه السورة المعجزة سورة الإسراء في الآية السابقة عن اتخاذ شرع غير شرع



الله وبينت مصير من يفعل ذلك عادت وعطفت على هذا المصير المحتوم مجموعة من النواهي، في الآيات من ٢٨ - ٣٧ يرتع فيها الغرب بدافع من ترفه: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾ (الإسراء: ١٦). الترف والفسق توأمان أين ما وجد الأول وجد الثاني كما تؤكد هذه الآية، ونهاية الفسق الدمار؛ دمار يحل بالأفراد والشعوب وثرواتهم، ويمتد ويكبر ويتغول حتى يبتلع كل الأمة المستسلمة له.

الصراع في سورة الإسراء هو امتداد للصراع الأول

إن الصراع بين الحق والباطل على هذه الأرض هو امتداد للصراع الأول بين آدم وإبليس، كما وضحنا وبينا في الفصل الأول من هذا الكتاب،والصراع المذكور في سورة الإسراء بين أمة الإسلام وأهل الباطل من مفسدي بني إسرائيل وغربيين ماديين ما هو إلا امتداد لهذا الصراع، ولذلك جاءت الآيات القادمة تؤكد هذه الحقيقة.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٦١ – ٦٥).

يقول سيد رحمه الله في ظلال الآية ٦٤: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾. وهو تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة، والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول، فهي المعركة الصاخبة، تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة، أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة. فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل، وأحاطت بهم الرجال!. (وشاركهم في الأموال والأولاد)، وهذه الشركة تتمثل في أوهام الوثنية الجاهلية، إذ كانوا يجعلون في أموالهم نصيباً للآلهة المدعاة فهي للشيطان وفي أولادهم نذوراً للآلهة أو عبيداً لها فهي للشيطان كعبد اللات وعبد مناة. وأحياناً كانوا يجعلونها للشيطان رأساً كعبد الحارث!

كما تتمثل في كل مال يجبى من حرام، أو يتصرف فيه بغير حق، أو ينفق في إثم. وفي كل ولد يجيء من حرام. ففيه شركة للشيطان. والتعبير يصور في عمومه شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة).

ونقول: إن وصف غواية إبليس للبشر في سورة الإسراء ووصفها على أنها ضرب من المعارك يأتي بنفس سياق السورة التي تتحدث عن جزء من الصراع بين الحق والباطل على هذه الأرض بعد مجيء الإسلام. وتستمر السورة برسم معالم هذا الصراع، فبعدما أعطى الله إبليس من فنون الغواية راحت الآيات ترغب وترهب البشر لتحثهم على البقاء في صف الحق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الإسراء: ٦٦ – ٧١).

ثم تعود الآيات وحتى خاتمة السورة تذكر جزءاً آخر من الصراع بين الحق والباطل بعد مجيء الإسلام، ولكن هذه المرة في مكة وقبل الهجرة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم من جهة، وكفار قريش ويهود الجزيرة العربية من جهة أخرى، والصراع عنوانه الأبرز: (صراع أفكار وحوارات)، وبينت الآيات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ولمن يسير على دربهم إلى يوم القيامة ما يجب عليهم أن ينفذوا من وصايا وأوامر حتى يخرجوا من هذا الصراع سالمين غير مفتونين، كما بشرتهم الآيات بعودتهم إلى مكة منتصرين رغم أنهم مازالوا في مكة.

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٦ – ٧٧).

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الإسراء: ٨١).

إنها سنة الله عبر التاريخ، فذلك ما حدث مع بني إسرائيل ونبيهم موسى عليه السلام من

جهة؛ وفرعون وجنده من جهة أخرى:

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٣)، ولن تجد لسنة الله تحويلاً فهي نفس السنة ونفس البشرى لمن سيخوض الصراع الثاني مع مفسدي بني إسرائيل، إن هم التزموا الأوامر المذكورة في هذه السورة، والتي هي موضوع فصلنا القادم إن شاء الله.





الفصل الخامس

أوامر سورة الإسراء

تبني جند البعث الرباني الثاني



إن هذا الفصل من أهم فصول الكتاب، إذ هو حاصله العملي، وخطته المنهجية في رسم الطريق إلى وعد الله تعالى، فسنتحدث فيه عن الطريقة العملية لبناء جند البعث الرباني الثاني من آيات وأوامر سورة الإسراء.

ولتعلم أخي أن عدم قدرتك على الرباط مع المرابطين على الثغور بسبب وجودك خارج أرض الإسراء لا يمنع انضمامك لبعث الله الثاني على هؤلاء المفسدين من يهود، وأول إجراءات التسجيل في هذا البعث: النية الصادقة والعزيمة المتقدة، ولتعلم يا أخي أن الأمة الآن ستدخل دورة الإعداد والبناء والتحضير لمعركة تحرير القدس وفلسطين كلها فإذا أردت التسجيل في هذه الدورة تعال واقرأ هذا الفصل من الكتاب، هذا الفصل المستوحى من السورة سيؤهلك لتكون أحد جند بعث الله الثاني، وربما يدفعك اجتهادك أن تكون أحد قادته، فتنال الأجر العظيم عند الله والشرف الكبير بمشاركتك في جيش تحرير الأقصى .. إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً بإذن الله.

كما أننا سنعرج في هذا الفصل على الآيات التي تحدثت عن القرآن لندرك أهمية القرآن في هذه المعركة وفي حياة الأمة، ومن أجل ذلك جعلنا الفصل الأول من هذا الكتاب بعنوان (القرآن دستورنا) وخصصناه للحديث حول القرآن ودوره في حياة الأمة.

وسنختم هذا الفصل بإيجاد حلول لقضايا الكبرى في الصراع اليهودي الفلسطيني (القدس والحدود واللأجئين) من سورة الإسراء.



ذكر الأوامر حسب ترتيب السورة لها

ويمكن أن نقسم هذه الأوامر حسب ترتيب السورة لها إلى ست مراحل وبتنفيذ أوامر المرحلة يرتقي المسلم إلى مرحلة التي تليها حتى يصل إلى كمالات العبودية لله عزوجل ويستحق نصره وخلافته على هذه الأرض:

المرحلة الأولى:

﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ (الإسراء: ٢).

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ (الإسراء: ٢٢).

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣).

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٤).

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٦).

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٨).

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩).

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١).

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٣٢)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (الإسراء: ٣٣)

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٤)

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الإسراء: ٣٥).

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٦)

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٧).

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٨).

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (الإسراء: ٣٩).

وهذا هو الحد الأدنى من الأوامر والنواهي التي على المسلم أن ينفذه حتى يحفظ نفسه ومجتمعه من الهلاك والتدمير، وقد ذكرنا سابقاً حال الغرب.. وكيف يسير نحو نهايته بسبب اقترافه لهذه النواهي.

المرحلة الثانية: مرحلة عباد الله (قل لعبادي):

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٥٣) ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٨) وفي هذه المرحلة يشرّف الله المسلمين بوصفهم (عبادي).

المرحلة الثالثة: مرحلة اصطفاء بعث الله (عسى أن يبعثك ربك):

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٩).

ومن ينفذ الأوامر السابقة وصولا لهذه المرحلة يدخل في بعث الله على هؤلاء المفسدين من بني إسرائيل ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ (الإسراء: ٥).

المرحلة الرابعة: مرحلة الإذن لبعث الله بالدعاء بالنصر (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا):

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

(الإسراء: ٨٠).

المرحلة الخامسة: مرحلة نصر الله لبعثه (قل جاء الحق وزهق الباطل) وبناء الدولة الوسطية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا):

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الإسراء: ٨١).

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الإسراء: ١١٠).

المرحلة السادسة: مرحلة تكبير الله وحمده وشكره على التمكين فهو الواهب للملك والناصر لعباده وبالشكر تدوم النعم:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء: ١١١).



تصنيف الأوامر مع شرحها

وفي هذا المبحث سنصنف أوامر سورة الإسراء حسب موضوعاتها، وسنقدم شروحات لهذه الأوامر داعين الله أن نفيد القراء خاصة أولئك الذين عزموا النية وشمروا عن السواعد ليكونوا ضمن البعث الرباني الثاني على يهود.

أولا: أوامر البناء العقدي:

﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ (الإسراء: ٢).

يقول سيد في ظلاله:

(وقد نص على القصد الأول من إيتاء موسى الكتاب: ﴿هُدًى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ (الإسراء: ٢٢)، فلا يعتمدوا إلا على الله وحده، ولا يتجهوا إلا إلى الله وحده، فهذا هو الهدى، وهذا هو الإيمان، فما آمن ولا اهتدى من اتخذ من دون الله وكيلاً).

﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ۝٢٢﴾ (الإسراء: ٢٢).

يقول صاحب الظلال:

(إنه النهي عن الشرك والتحذير من عاقبته، والأمر عام، ولكنه وجه إلى الفرد ليحس كل أحد أنه أمر خاص به، صادر إلى شخصه، فالاعتقاد مسألة شخصية مسؤول عنها كل فرد بذاته).

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣)

يقول رحمه الله في ظلاله:

(فهو أمر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك، أمر في صورة قضاء، فهو أمر حتمي حتمية القضاء، ولفظة {قضى} تخلع على الأمر معنى التوكيد، إلى جانب القصر الذي يفيده النفي والاستثناء: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فتبدو في جوِّ التعبير ظلال التوكيد والتشديد). ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ۝٣٩﴾ (الإسراء: ٣٩)

يقول سيد قطب في الظلال:

(ويختم الأوامر والنواهي كما بدأها بربطها بالله وعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك، وبيان أنها بعض الحكمة التي يهدي إليها القرآن الذي أوحاه الله إلى الرسول: (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة، ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً)، وهو ختام يشبه الابتداء. فتجيء محبوكة الطرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام بناء الحياة، قاعدة توحيد الله وعبادته دون سواه).

ثانياً: أوامر الوفاء والإيفاء:

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤).

يقول سيد في ظلاله:

(فإذا وضعت القاعدة، وأقيم الأساس، جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية، ولها في النفس ركيزة من العقيدة في الله الواحد، توحد البواعث والأهداف من التكاليف والأعمال.

والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة، هي رابطة الأسرة، ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله، إعلاناً لقيمة هذا البر عند الله).

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٦).

ويقول الشيخ الشعراوي في تفسيره:

(و(الْمِسْكِينَ) هو الذي يملك وله مال، لكن لا يكفيه، أما الفقير فهو الذي لا يملك شيئاً، وقد يعكس البعض في تعريف المسكين والفقير، وهذا فهم خاطئ.

و(وَابْنَ السَّبِيلِ) ، السبيل هو الطريق.

وابن السبيل إذا طلب المساعدة لا تسأله عن حقيقة حاله، لأن له حقاً واجباً فلا تجعله في وضع مذلّة أو حرج).



وقال سيد قطب رحمه الله في الظلال:

(والقرآن يجعل لذي القربى والمسكين وابن السبيل حقاً في الأعناق يوفى بالإنفاق. فليس هو تفضيلاً من أحد على أحد؛ إنما هو الحق الذي فرضه الله، ووصله بعبادته وتوحيده. الحق الذي يؤديه المكلف فيبرئ ذمته، ويصل المودة بينه وبين من يعطيه، وإن هو إلا مؤد ما عليه لله).

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٨)

يقول سيد في ظلاله:

(فإذا لم يجد إنسان ما يؤدي به حق ذوي القربى والمساكين وابن السبيل واستحيا أن يواجههم، وتوجه إلى الله يرجو أن يرزقه ويرزقهم، فليعدهم إلى ميسرة، وليقل لهم قولاً ليناً، فلا يضيق بهم صدره، ولا يسكت ويدعهم فيحسوا بالضيق في سكوته، ففي القول الميسور عوض وأمل وتجمل).

ثالثاً: أوامر صيانة المجتمع أخلاقياً ومالياً:

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٦)

ويقول الشيخ الشعراوي في تفسيره:

(فالتبذير هو الإسراف، مأخوذ من البذر، سبحانه آثر التعبير عن الإسراف بلفظ (التبذير)؛ لأنه يضيع المال في غير موضعه المناسب، وينفق هكذا كلما اتفق دون نظام، فقد يعطي بسخاء في غير ما يلزم، في حين يمسك في الشيء الضروري).

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٩)

يقول سيد في ظلاله:

(التوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن).

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء: ٣١)

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره:

(وواضحٌ الصلة بين هذه الآية وسابقتها؛ لأن الكلام هنا ما يزال في الرزق، والخالق سبحانه يُحذِّرنا: إياكم أنْ تُدخِلوا مسألة الرزق في حسابكم؛ لأنكم لم تخلقوا أنفسكم، ولم تخلقوا أولادكم ولا ذريتكم).

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٢)

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره: (بعد أن تحدّث الحق سبحانه عما يحفظ النسل ويستبقي خلافة الله في الأرض، أراد سبحانه أن يحمي هذا النسل من الضياع، ويوفر له الحياة الكريمة. والخالق سبحانه أعلم بطبيعة خَلْقه، وبما يدور ويختلج داخلهم من أحاسيس ومشاعر؛ لذلك لم يُحرِّم الزنا فحسب، بل حرَّم كل ما يؤدي إليه بداية من النظر، ومن هنا نفهم مراده سبحانه من قوله: (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَا)، ولم يقل: لا تزنوا. لأن لهذه الجريمة مقدمات تؤدي إليها فاحذر أنْ تجعلَ نفسك على مقربة منها؛ لأن مَنْ حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ثم يقول تعالى: (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً)، الفاحشة: هي الشيء الذي اشتدّ قبْحه.

ثم يقول تعالى: (وَسَآءَ سَبِيلاً).

والسبيل هو الطريق الموصل لغاية، وغاية الحياة أننا مُسْتخلفون في الأرض، خلقنا الله لعمارتها والسعي فيها بما يُسعدنا جميعاً، ويعود علينا بالخير والصلاح، فإذا ضَلَّ الإنسانُ وانحرف عَمّا رسمه له ربه أفسد هذه الخلافة، وأشقى الدنيا كلها بدل أنْ يُسعدها. وأعتقد أن ما نشاهده الآن في بيئات الانحلال والانحراف، وما امتدَّ منهم إلى بلاد الإسلام من التفزيع والرعب يجعلنا نؤمن بأن الزنا فعلاً ساء سبيلاً، وساء طريقاً ومسلكاً، يقضي على سلامة المجتمع وأَمْنه وسعادته)،

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٣)



يقول سيد في ظلاله:

(وبين قتل الأولاد والزنا صلة ومناسبة وقد توسط النهي عن الزنا بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس لذات الصلة وذات المناسبة.

والإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها).

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٤)

ويقول الشيخ الشعراوي في تفسيره:

(وهنا أيضاً يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ﴾، ولم يقل: ولا تأكلوا مال اليتيم ليحذرنا من مجرد الاقتراب، أو التفكير في التعدِّي عليه؛ لأن اليُتْم مظهر من مظاهر الضعف لا يصح أنْ تجترئَ عليه. و﴿ ٱلْيَتِيمِ ﴾: هو مَنْ مات أبوه وهو لم يبلغ مبلغ الرجال وهو سِنْ الرُّشْد، وما دام قد فقد أباه ولم يَعُدْ له حاضن يرعاه، فسوف يضجر ويتألم ساعة أنْ يرى غيره من الأولاد له أب يحنو عليه، وسوف يحقد على القدَر الذي حرمه من أبيه.

فيريد الحق سبحانه وتعالى أولاً أنْ يستلّ من قلب اليتيم وفكره هذه المشاعر؛ لذلك يُوصي المجتمع به ليشعر أنه وإنْ فقد أباه فالمؤمنون جميعاً له آباء، وفي حُنوِّهم وعطفهم عِوَض له عن وفاة والده.

وقوله: ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾. استثناء من الحكم السابق ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ﴾ يبيح لنا أن نقرب مال اليتيم، ولكن بالتي هي أحسن.

و﴿ أَحْسَنُ ﴾، أفعل، تفضيل يدل على الزيادة في الإحسان فكأن لدينا صفتين ممدوحتين: حسنة وأحسن، وكأن المعنى: لا تقربوا مال اليتيم بالطريقة الحسنة فحسب، بل بالطريقة الأحسن

ثم يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾.

وكلمة: (أَشُدَّهُ)، أي: يبلغ شِدّة تكوينه، ويبلغ الأشدّ أي: تستوي ملكاته استواءً لا زيادة عليه، فأعضاء الإنسان تنمو وتتربى مع نموه على مَرِّ الزمن، إلى أن يصل سِنّ الرشد ويصبحَ قادراً على إنجاب مثله، وهذه سِنّ الأشُدّ أي: الاستواء.

ثم يقول تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الْعَهْدَ): ما تعاقد الإنسان عليه مع غيره عقداً اختيارياً يلتزم هو بنتائجه ومطلوباته).

﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٥)

قال سيد في ظلاله:

(والمناسبة بين الوفاء بالعهد وإيفاء الكيل والميزان ظاهرة في المعنى واللفظ، فالانتقال في السياق ملحوظ التناسق. وإيفاء الكيل والاستقامة في الوزن، أمانة في التعامل، ونظافة في القلب، يستقيم بهما التعامل في الجماعة، وتتوافر بهما الثقة في النفوس، وتتم بهما البركة في الحياة. {ذلك خير وأحسن تأويلاً}، خير في الدنيا وأحسن مآلاً في الآخرة.).

﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾

(الإسراء: ٣٦)

يقول الشعراوي:

(ينتقل الحق سبحانه وتعالى إلى قضية أخرى تُنظِّم حركة الحياة والإنسان الذي استخلفه الله في الأرض ووَهَبه الحياة وأمدَّه بالطاقات وبمُقوِّمَات الحياة وضرورياتها. وبعد أنْ تكفَّل له بالضروريات، دَلّه على الترقِّي في الحياة بالبحث والفكر، واستخدام العقل المخلوق لله، والمادة المخلوقة لله بالطاقات المخلوقة لله، فيُرقِّي ويُثري حياته ومجتمعه. وحركة الترقِّي والإثراء هذه لا تتمّ إلا على قضية ثابتة واضحة، فإذا تحركتَ في الحياة بناءً على هذه القضية فسوف تصل إلى النتيجة المرجوّة.

إذن: لا بُدَّ أن تُبْنَى حركة الحياة على قضايا ثابتة، هذه القضايا الثابتة تجعل المتحرِّك في أيِّ

حركة واثقاً من أن حركته ستُؤدِّي إلى النتيجة المطلوبة. حركة الحياة لا يمكن أنْ تتمَّ إلا بناءً على قضايا حقيقية مضبوطة في الكون، وهذا ما نسميه (العلم).

فالحق سبحانه يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾. لكي تسير في حركة الحياة على هُدىً وبصيرة.

(لاَ تَقْفُ) أي: لا تتبع ولا تتدخل فيما لا عِلْم لك به.

والعلم هنا يُراد به العلم المطلق؛ لأن الكثير من الناس كان يعتقد أن العلم يعني العلم الديني فقط، لكن العلم هو كل ما يُثري حركة الحياة.

ووسائل إدراك العلم: قال: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً).

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٧)

يقول سيد في الظلال:

(والإنسان حين يخلو قلبه من الشعور بالخالق القاهر فوق عباده تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان، أو قوة أو جمال. ولو تذكر أن ما به من نعمة فمن الله، وأنه ضعيف أمام حول الله، لطامن من كبريائه، وخفف من خيلائه، ومشى على الأرض هوناً لا تيهاً ولا مرحاً.

والقرآن يجيب المتطاول المختال المرح بضعفه وعجزه وضآلته: {إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً}. فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل، لا يبلغ شيئاً من الأجسام الضخمة التي خلقها الله.

إنما هو قوي بقوة الله، عزيز بعزة الله، كريم بروحه الذي نفخه الله فيه، ليتصل به ويراقبه ولا ينساه.).

رابعاً: الأمر بوحدة الصف:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾

(الإسراء: ٥٣)

يقول الشعرواي رحمه الله:

(وسبق أنْ أوضحنا الفرق بين عبيد وعباد، وأنهما جَمْع عبد، لكن عبيد تدل على مَنْ خضع لسيّده في الأمور القهرية، وتمرَّد عليه في الأمور الاختيارية، أما عباد فتدلّ على مَنْ خضع لسيده في كُلِّ أموره القهرية والاختيارية، وفضَّل مراد الله على مُرَاده).

ويقول سيد قطب في الظلال:

((وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) على وجه الإطلاق وفي كل مجال. فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه: بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة.).

خامساً: أوامر العبادات:

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٨)

قال الشعراوي:

(وبعد أن تكلَّم الحق سبحانه عن الإلهيات إيماناً بها، وعن النبوات تصديقاً لها، وعن القيامة ووجوب الإيمان بها وبما يحدث فيها من تناول الكتب، أراد سبحانه أنْ يأتي لنا بثمرة هذا المنهج وحصيلته النهائية، وهي أنْ يستقيمَ لنا منهج الحياة وتنضبط حركتنا فيها. هذا المنهج الإلهي جاء في صورة أحكام، ولهذه الأحكام أركان أساسية جمعها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمْس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً». إذن: هذه الأركان التي بُنِي عليها الإسلام، لكن ما حظ المسلم من هذه الأركان؟ لو تأملت لوجدتنَا نشترك كلنا في شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وفي الصلاة لأنها لا تسقط عن أحد لأيّ سبب، وهي المكرَّرة في اليوم خمس مرات. أما باقي الأركان وهي: الزكاة، والصوم، والحج فقد لا تنطبق شروطها على الجميع، فالفقير لا تُفرض عليه زكاة أو حج، والمريض لا يُفرض عليه الصوم. إذن: عندنا أركان للإسلام وأركان للمسلم التي هي: الشهادتان والصلاة، وقد يدخل فيها الزكاة أو الصوم أو الحج، فإذا أتى المسلم

بجميع الأركان فقد اتفقتْ أركان الإسلام مع أركان المسلم.

وقوله تعالى: {لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}، (الإسراء: ٧٨).

الحق سبحانه يريد أن يُبيِّن لنا مواقيت الصلاة. و(الدلوك) معناه:

الزوال من حركة إلى حركة. والمراد بدلوك الشمس: مَيْلها عن وسط السماء إلى ناحية الغرب ثم يقول تعالى: (إِلَى غَسَقِ الَّيلِ)، أي: أَقِم الصلاة عند دُلوك الشمس إلى متى؟ إلى غَسَق الليل أي: ظلمته، وفي الفترة من دُلوك الشمس إلى ظُلمة الليل تقع صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ولا يبقى إلى صلاة الصبح، فقال عنها سبحانه وتعالى: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)، [الإسراء: ٧٨]. ونتساءل هنا: لماذا ذكر قرآن الفجر ولم يَقُلْ صلاة؟

قالوا: لأن القرآن في هذا الوقت حيث سكون الكون وصفاء النفوس، فتتلقى القرآن نديّاً طريّاً وتستقبله استقبالاً واعياً قبل أن تنشغل بأمور الحياة.

(إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)، [الإسراء: ٧٨]. أي: تشهده الملائكة. إذن: المشهودية لها دَخْل في العبادة، فإذا كانت مشهودية مَنْ لا تكليف عليه في الصلاة جعلها الله حيثية، فكيف بمشهودية مَنْ كُلِّف بالصلاة؟).

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ (الإسراء: ٧٩)

قال الشعراوي رحمه الله:

(الهجود: هو النوم، وتهجَّد: أي أزاح النوم والهجود عن نفسه

في الوقت الذي ينام فيه الناس ويخلدون إلى الراحة وتتثاقل رؤوسهم عن العبادة، تقوم بين يدي ربك مناجياً مُتضرِّعاً، فتتنزل عليك من الرحمات والفيوضات، فَمَنْ قام من الناس في هذا الوقت فَلَهُ نصيب من هذه الرحمات، وحَظٌّ من هذه الفيوضات. ومَنْ تثاقلتْ رأسه عن القيام فلا حَظَّ له.

إذن: في قيام الليل قوة إيمانية وطاقة روحية، ولما كانت مهمة الرسول فوق مهمة الخَلْق كان حظّه من قيام الليل أزيد من حظهم، فأعباء الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة، والعِبْءُ الثقيل يحتاج



الاتصال بالحق الأحد القيوم، حتى يستعين بلقاء ربه على قضاء مصالحه.

ومن العجيب أن ينصرف المسلمون عن هذه السُّنة، ويتغافلون عنها.

وقوله تعالى: (نَافِلَةً لَّكَ)،. النافلة هي الزيادة عما فرض على الجميع (لك) أي: خاصة بك دون غيرك، وهذا هو مقام الإحسان الذي قال الله عنه: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ}، (الذاريات: ١٥ – ١٦). والمحسن هو الذي دخل مقام الإحسان، بأن يزيد على ما فرضه الله عليه ومن جنس ما فرض. لذلك جاءت حيثية الإحسان: {كَانُواْ قَلِيلاً مِّن اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، (الذاريات: ١٧ – ١٨).

وهذا المقام ليس فرضاً عليك، فلك أن تصلي العشاء وتنام حتى صلاة الفجر، لكن إنْ أردت أن تتأسَّى برسول الله وتتشبّه به فادخُلْ في مقام الإحسان على قَدْر استطاعتك.).

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

(الإسراء:٨٠)

يقول صاحب الظلال:

(وهو دعاء يعلمه الله لنبيه ليدعوه به. ولتتعلم أمته كيف تدعو الله وفيم تتجه إليه. دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج، كناية عن صدق الرحلة كلها. بدئها وختامها. أولها وآخرها وما بين الأول والآخر. وللصدق هنا قيمته بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنته عما أنزل الله عليه ليفتري على الله غيره

وللصدق كذلك ظلاله: ظلال الثبات والاطمئنان والنظافة والإخلاص. {واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا} قوة وهيبة استعلي بهما على سلطان الأرض وقوة المشركين وكلمة {من لدنك} تصور القرب والاتصال بالله والاستمداد من عونه مباشرة واللجوء إلى حماه.

وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله. ولا يمكن أن يهاب إلا بسلطان الله. لا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذي جاه فينصره ويمنعه ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله. والدعوة

قد تغزو قلوب ذوي السلطان والجاه، فيصبحون لها جنداً وخدماً فيفلحون، ولكنها هي لا تفلح إن كانت من جند السلطان وخدمه، فهي من أمر الله، وهي أعلى من ذوي السلطان والجاه)

سادساً: النتائج:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الإسراء: ٨١)

ويقول الشعراوي:

(هكذا أطلقها الحق سبحانه شعاراً مُدوّياً: {جَاءَ الحَقُّ}، وما دام قال للرسول: {قُلْ} فلا بُدَّ أن الحق قادم لا شَكَّ فيه؛ لذلك أمره بهذه الأمر الصريح ولم يوحه إليه، وبعد ذلك يقولها رسول الله في عام الفتح، وعندما دخل مكة فاتحاً وحوْلَ البيت ثلاثمائة وستون صنماً فيُكبكِبُهم جميعاً، وينادي: «جاء الحق وزهق الباطل، وما يبدئ الباطل وما يعيد»).

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الإسراء: ١١٠)

يقول الشعروي رحمه الله:

﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾، (الإسراء: ١١٠).

أي: بين الجهر والإسرار، واسلك سبيل الوسطية التي جاء بها الشرع.

وهذا الاعتدال وهذه الوسطية أُمِرْنَا بها حتى في الدعاء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ (الأعراف: ٢٠٥). فكلمة: (بَيْنَ ذالِكَ)، (الإسراء: ١١٠). البينية هذه تكاد تشيع في كل أحكام الدين؛ لأن القرآن جاء لأمة وسط بالأمور الوسط في كل شؤون الحياة، ففي قمة المسائل وهي الأمور العَقَدية مثلاً يقف الإسلام موقفَ الوسطية بين مَنْ يُنكِرون وجود الإله ومن يقول بآلهة متعددة، فينفي هذه وهذه ويقول بوجود إله واحد أحد لا شريكَ له.

وفي الإنفاق يختار الوسط، فيقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ

بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ (الفرقان: ٦٧).

وبذلك ضمن لأهله نظاماً اقتصادياً ناجحاً يُثري حياة الجماعة، ويَرْقَى بحياة الفرد، وقد لخّص هذا المنهج الاقتصادي في قوله تعالى: {﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٩). فالممسك المقتّر الذي يقبض يده على الإنفاق يتسبّب في رُكود البضائع وتوقف حركة الحياة، وهذا خطر على المجتمع، وفي التبذير خطر على الفرد حيث ينفق كل مَا معه، ولا يُبقي على شيء يرتقي به في الحياة، فإذا لم تتبع هذا المنهج الحكيم فسوف تقعد ملوماً على الإمساك، محسوراً على التبذير الذي فوّتَ عليك فرصة الترقّي مثل الآخرين.)

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء: ١١١)

ونختم مع الشيخ الشعراوي رحمه الله:

(وبهذه الآية خُتِمَتْ سورة الإسراء، فجعلنا الحق سبحانه نختمها بما أنعم علينا من هذه النعم الثلاث، وليس هذه هي كل نعم الله علينا، بل لله تعالى علينا نِعَم لا تُعَدّ ولا تُحصَى، لكن هذه الثلاث هي قِمة النعم التي تستوجب أنْ نحمده عليها.

فالحمد لله الذي لم يتخذ ولداً؛ لأنه لم يلد ولم يولد وهو واحد أحد، والحمد لله الذي لم يتخذ شريكاً لأنه واحد، والحمد لله الذي لم يكُنْ له وليٌّ من الذل لأنه القاهر العزيز المعز، ولهذا يجب أن نُكبِّر هذا الإله تكبيراً في كل نعمة نستقبلها منه سبحانه).

القرآن في السورة

معلوم أهمية القرآن بالنسبة لأمة الإسلام، وتحدثنا عن ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب، إلا أن أهمية القرآن تعظم وتزداد في المراحل المفصلية من حياة الأمة .

وسورة الإسراء تصف أكثر المراحل حساسية ودقة في حياة الأمة؛ بداية من انطلاق الإسلام من مكة غريبا، ومرورا ببشرى التمكين في جزيرة العرب على سكانها من مشركين ويهود، ثم التمكين في نفوذ القوة العظمى الروم (دخول المسجد أول مرة)، ثم بدء الدورة الثانية بانحسار هذا التمكين وعودة الكرة مرة أخرى للمفسدين من بني إسرائيل وحلفائهم من الغرب الماديين، ومن ثم دخول الإسلام في الغربة الثانية، فالبشرى الثانية لهؤلاء الغرباء من أهل بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ومن مرابطي عسقلان بدخول المسجد كما دخلوه أول مرة، والتمكين فوق كل شبر علا فيه بنو إسرائيل في هذه المعمورة وانتهاء» بالدورة الثالثة من عودة الكرة لهؤلاء المفسدين بعودتهم مع مسيحهم الدجال، فيتم القضاء عليهم وللأبد حتى إن الحجر والشجر يقول: «يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله»، فيمكن لأمة الإسلام مرة ثالثة على هذه العمورة، ونذكركم أننا فصلنا كل هذه الأحداث في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

وذكر كل هذه المراحل المفصلية في سورة الإسراء كان لا بد من أن يصاحبه تذكير بأهمية القرآن دستورا للأمة في هذه الأحداث العظيمة، ولذلك ذكرت هذه السورة القرآن في عشر آيات نورده لكم مع تفسير بعضها:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٩)

جاء في كتاب زوال إسرائيل بقلم الأستاذ بسام جرار:

(فهي إذن بشرى قرآنية، وهي بُشرى للمؤمنين السالكين طريق الحق، وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى أنّ النبوءة تتعلّق بمستقبل يأتي بعد نزول القرآن الكريم.

(وَأن الذينَ لا يُؤمنون بالآخرةِ أعتدنا لهم عذاباً أليماً): هي بُشرى للمؤمنين، وإنذار لبني إسرائيل الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ فالعهد القديم تزيد صفحاته عن ألف صفحة، وعلى الرُّغم من ذلك لا تجد فيه نصاً صريحا يذكر اليوم الآخر!!

خُتمت النبوءة بوصف القرآن الكريم بأنّه يهدي، ويبشر، ويُنذر).

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ (الإسراء: ٤١)

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾(الإسراء: ٤٥)

أن جو هذه الآية العظيمة هو جزء من جو السورة العام جو الملاحم والمعارك وما يجري فيهم من تكتيكات كالتستر، وتقر هذه الآية أن أفضل طريقة للتستر هي قراءة القرآن ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله في تفسيرها (وقوله: حِجَاباً مَّسْتُوراً) الحجاب: هو المانع من الإدراك، فإنْ كان للعين فهو مانع للرؤية، وإنْ كان للأذن فهو مانع للسمع.

وكلمة (مَّسْتُوراً) اسم مفعول من الستر، فلم يقل الحق سبحانه وتعالى(ساتراً)، وهذا من قبيل المبالغة في الستر والإخفاء، فالمعنى أن الحجاب الذي يمنعهم من سماعك أو رؤيتك هو نفسه مستور، فإن كان الحجاب نفسه مستوراً، فما بالُكَ بما خلفه؟) ولو أن العسكريين يجعلون هذاالأمر – قراءة القرآن– أحد تكتيكاتهم العسكرية أثناء تحركاتهم في مواجهة العدو لكان أمراً رائعاً، فتنبه له!

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٤٦)

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾(الإسراء:٦٠)

يقول سيد قطب في ظلال هذه الآية:.(إحاطة الله بالناس فقد كانت وعداً من الله لرسوله بالنصر، وعصمة له من أن تمتد أيديهم إليه.



ولقد أخبرهم بوعد الله له وبما أطلعه الله عليه في رؤياه الكاشفة الصادقة. ومنه شجرة الزقوم التي يخوف الله بها المكذبين)

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٢)

ونتابع مع صاحب الظلال رحمه الله:

(وفي القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روْح، وطمأنينة وأمان).

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٨)

ومع صاحب الظلال مرة أخرى:.

(والقرآن بعد ذلك منهج حياة كامل. منهج ملحوظ فيه نواميس الفطرة التي تصرف النفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها، والتي تصرف الجماعات الإنسانية في كل ظروفها وأطوارها. ومن ثم فهو يعالج النفس المفردة، ويعالج الجماعة المتشابكة، بالقوانين الملائمة للفطرة المتغلغلة في وشائجها ودروبها ومنحنياتها الكثيرة.

يعالجها علاجاً متكاملاً متناسق الخطوات في كل جانب، في الوقت الواحد، فلا يغيب عن حسابه احتمال من الاحتمالات الكثيرة ولا ملابسة من الملابسات المتعارضة في حياة الفرد وحياة الجماعة. لأن مشرع هذه القوانين هو العليم بالفطرة في كل أحوالها وملابساتها المتشابكة.

أما النظم البشرية فهي متأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته. ومن ثم فهي تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد؛ وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد!)

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٩)

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ

مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٥ – ١١١)

نختم هذا المبحث من كلام بسام جرار في كتابه زوال إسرائيل وتحت عنوان دلالات الخواتيم:

جاء في خواتيم سورة الإسراء: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.

(قُل آمِنوا بهِ:) أي بالقرآن، ولا ننسى أننا في سياق الحديث عن وعد الآخرة، وعليه فقد يرجع الضّمير في(به)إلى الوعد القرآني، ويُقوّي هذا ملاحظة أنّ(وعد مفعول) لم يرد في القرآن الكريم إلا ثلاث مرات: «كان وعده مفعولاً» من سورة المزمّل. ووردت المرتان الأخريان في سورة الإسراء؛ الأولى بعد الحديث عن تحقّق الوعد الأول وكان وعداً مفعولاً «. والثانية جاءت بعد الحديث عن وعد الآخرة، عند الكلام عن تعجّب الذين أوتوا العلم من صدق الوعد الإلهي، وقولهم: «سُبحان ربّنا إنْ كانَ وعْدُ رَبّنا لَمفعولا». واللافت للانتباه أنّ سورة الإسراء تُختم بقوله تعالى: «وَكَبرِّهُ تكْبيرا». وتُشير خواتيم السورة إلى نصرٍ مجلجل، وتفاعل شديد عند تحقّق الوعد، ويبدو أنّه سيكون نقطة تحوّل هامّة في تاريخ البشريّة. وقد جاء في الحديث الشريف: « آية العز: وَقُل الحمدُ للهِ الذي لم يَتخِذ وَلَداً، وَلَم يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في المُلك، وَلَم يَكُن لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذّل وَكَبّرهُ تَكْبيرا.

المتدبّر لسورة الإسراء، وعلى وجه الخصوص خواتيمها، يدرك أنّها تتحدث حول انتصار صراط الذين أنعم الله عليهم، في مواجهة مناهج المغضوب عليهم والضّالين، ويبدو أنّه انتصار يؤدّي إلى تحوّلات عالمية تتلاءم مع مكانة « الأرض التي باركنا فيها للعالمين.



سورة الإسراء تعالج القضايا الكبرى

في النزاع الفلسطيني الصهيوني

لا يكاد يخلو خبر أو تحليل سياسي عن القضية الفلسطينية والمسار التفاوضي إلا أسهب في الحديث عن المسائل الثلاث الكبرى في هذا النزاع (القدس والحدود واللاجئين) فهل لهذه القضايا الشائكة والعالقة حلول في سورة الإسراء؟

أولاً: القدس.

تقرر سورة الإسراء أن قضية القدس قضية عقدية فهي مدينة التوحيد على مر العصور، وحق لأتباع التوحيد، ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء خاتماً للرسل المبعوثين بدين التوحيد والإسلام خاتم هذه الأديان، ولذلك جمع الله لرسوله في حادثة الإسراء الأنبياء جميعاً في بيت المقدس، وجعله إماماً لهم إشارة لحقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته في هذه المدينة الموحدة، وذكرت سورة الإسراء هذا في الآية الأولى منها:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإسراء: ١)

أما حل هذه المسألة الشائكة كما تقرره هذه السورة لا يكون إلا بدخول القدس كما دخلها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الإسراء: ٧)

ثانياً: الحدود:

كما قررت هذه السورة أن القدس غير قابلة للتفاوض، فقد قررت أن الحدود أيضاً غير قابلة للتفاوض وأن الله قد كفلها للمسلمين حدوداً، ليس فقط على أرض فلسطين التاريخية بل تمتد فوق كل شبر علا فيه هؤلاء المفسدون من بني إسرائيل:

﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٧)

ثالثاً: حق اللاجئين في العودة:

وهذه الحق أيضاً كفله الله للاجئين في هذه السورة المباركة:

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٦ – ٧٧)

كل من استُفزّ شخص من وطنه تنطبق عليه سنة من سنن الله على هذه الأرض التي لن تجد لها تحويلاً لا في ما سبق كما تقرر الآيتين التاليتين من سورة الإسراء:

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٣ – ١٠٤)

ولا من بعد فهذه الآيات تحمل البشرى لكل اللاجئين والنازحين، وأي مسمى أطلقوه عليك أيها الفلسيطيني المشرد من وطنه بسبب هذا الاحتلال الزائل قريباً إن شاء الله.

وهذا المبحث الأخير من هذا الفصل وما قبله من مباحث وفصول ليؤكد أن سورة الإسراء هي سورة القضية الفلسيطينية الأولى، بل هي العنوان الأبرز لكل المرحلة التي نعيشها بكل ما فيها من جغرافيا وتاريخ ومستقبل وسياسة واقتصاد واجتماع وغيرها، بل ربما هي السورة التي ذكرت كل المراحل التي مرت بالإسلام منذ نشأته غريباً في مكة وحتى يرث الله الأرض وما عليها.

سورة الإسراء سورة البشرى لمسلمي هذا العصر بالنصر والتمكين القريبين بإذنه تعالى، إلا أن هذه البشرى لم تقتصر على هذه السورة لوحدهها ففد حملت غيرها من السور كثيراً من البشائر بالنصر والتمكين، ومن هذه السور سورتا الروم والحشر، وهما موضوع الفصل القادم والأخير من هذا الكتاب، إن شاء الله.





الفصل السادس

بشائر النصر من سورتي الروم والحشر



سيناقش هذا الفصل من هذا الكتاب بشائر النصر والتمكين القادمين بإذن الله لهذه الأمة من سورتي الروم والحشر، وسننهج فيه منهجاً مختلفاً عما نهجناه في عموم ما سبق من فصول.

سنطرح أولاً بشائر االنصر من سورة الحشر والتي هي في مجملها لطائف استخرجناها من فهمنا لآيات هذه السورة، وربط هذا الفهم بما يحيط بنا من أحداث واقعية، دون أن نغوص في تفسير المفسرين لهذه السورة، ثم نعرج على سورة الروم مستندين على تفسير العالم ابن برجان المتوفى سنة ٥٣٦ للهجرة، والذي تحدثنا - في مبحث "دستورنا يعالج الصراع مع الروم وبني إسرائيل" من الفصل الأول من هذا الكتاب - أنه استطاع ومن خلال تفسيره لمطلع سورة الروم أن يتوقع أن موعد تحرير القدس من الصلبيين، والذي تم على يد القائد صلاح الدين الأيوبي سيكون سنة ٥٨٣ للهجرة في شهر رجب وقد صدق توقع هذا العالم رغم أنه كتب تفسيره في العام ٥٢٢ للهجرة وسنبني على هذا التفسير لنتوقع متى سينتهي نفوذ الغرب على منطقتنا نهائياً بإذنه تعالى.

وما سنطرحه هنا في هذا الفصل عن بشائر النصر من سورة الروم هو ملخص لمشروع كتيب قادم نسأل الله أن يعيننا على إتمامه مستهدفين فيه المسلمين في الغرب، لعلنا نستطيع ومن خلال فهمنا لسورة الروم أن نقدم لهم ما يفيدهم وهم يعيشون في بلاد الغرب.

بشائر النصر من سورة الحشر

سبب نزول سورة الحشر:

قالت عائشة رضي الله عنها: "كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من غزوة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلق تعني السلاح، فأنزل الله فيهم ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحشر: ٢) فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء فأخلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأما قوله: (لأول الحشر) فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام).الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٣، وقال على شرط الشيخين وأقره الذهبي والبيهقي في دلائل النبوة).

مبشرات النصر:

- **هي السورة الوحيدة في القرآن التي تشابه مطلعها مع خاتمتها**

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ (الحشر: ١)

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحشر: ٢٤)

وجاء الاختلاف فيما بينهما بصيغة الفعل فالمطلع جاء بصيغة الماضي (سبح)، أما الخاتمة فجاءت بصيغة المضارع (يسبح)، الذي يفيد الاستمرار في الفعل إشارة منه تعالى، وهو أعلم إلى أن ما روته هذه السورة عن غزوة بني النضير، وهي جزء من الصراع بين المسلمين ويهود ليس هو خاتمة هذا الصراع بل سيكون له ما سيشابهه في مستقبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع أحفاد هؤلاء الذين تم نفيهم لبلاد الشام تحضيراً لإفسادهم الثاني.

- **تشابه الحالة النفسية للمسلمين اليوم مع الحالة النفسية للمسلمين في ذلك الزمن:**

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ (الحشر: ٢)

وتشابه الحالة النفسية ليهود ذلك الزمن مع الحالة النفسية ليهود اليوم:

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٢).

- **الرعب جندي أساسي في غزوة بني النضير:**

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ (الحشر: ٢)

كما هو جندي أساسي في الصراع اليوم، فالمتابع لتصريحات قادة المقاومة عن العمليات الاستشهادية أو عن إطلاق الصواريخ يسمع كثيراً عبارة: "إن هذا النوع من المقاومة يحقق توازن الرعب"، نعم إن منظومة الرعب الآن تلعب دوراً مهماً في كل معاركنا مع العدو الصهيوني، ولكن يجب التركيز عليها أكثر وأكثر في كل مراحل الصراع القادمة، وتفعيل كل ما يمكن تفعيله من إعلام وأسلحة لإرعاب العدو.

حثت خاتمة الآية الثانية المسلمين على أخذ العبرة بـ:

١. أن الله هو الذي أخرج يهود بني النضير من ديارهم.

٢. الحالة النفسية للمسلمين ويهود بني النضير قبل المعركة.

٣. الاستفادة من جندي الرعب في مثل هذه المعارك.

ويأتي هذا الحدث لأخذ العبرة والله أعلم؛ كإشارة ثانية أن هذه الأحداث سوف تتكرر والله أعلم.

﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ٢﴾ (الحشر: ٢)

نتيجة غزوة بني النضير الجلاء، وقد تشابه والله أعلم نتيجة الصراع الحالي استعداداً للمعركة الأخيرة معركة المسلمين مع الدجال، يوم يقول الشجر والحجر: (يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله)، فيتم القضاء نهائياً على يهود :

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾ (الحشر: ٣)

تشابه سببي نتيجة المعركة في سورتي الحشر والإسراء:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ (الحشر: ٤)

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٢)

- **جواز الاستثناءات في مثل هذه المعركة:**

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الحشر: ٥)

وتسمعون كثيراً عن احتجاجات المجتمع الدولي القائلة بعدم جواز استهداف المدنيين "الإسرائيليين" مع العلم أنه في وضع الاحتلال لا يكون هناك مدنيين، فمن يسكن أرضك ويحتلها هو عدوك المشارك في سلب أرضك وطردك من بيتك، أما المدنيون الفلسطينيون فلا نسمع بعد استهدافهم إلا قليلاً من الاحتجاجات الخجولة؛ إذ لا بواكي لهم.

وصفت السورة حال ثلاث فئات من المسلمين عند توزيع الفيء:

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر: ٦-١٠)

الفئات الثلاثة هم: المهاجرون والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم .

أما المهاجرون والأنصار فهم من خاض معارك إنهاء الإفساد الأول لبني إسرائيل.

وأما الذين جاؤوا من بعدهم فهم أهل المشروع الإسلامي في فلسطين والذين يخوضون الآن معركة إنهاء الإفساد الثاني لبني إسرائيل ودليل ذلك من الآيات دعاؤهم ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾.

لنتساءل : ما هو السبب الذي قد يجعل في قلوب هؤلاء المؤمنين غِلاً على إخوانهم .

إن الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار هم تلك الطائفة التي هي الامتداد الطبيعي لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي وصف حالها بقوله (لا تزال طائفة من أمتي) -ولا تزال- بمعنى باقية لن تزول ترث إرثي وإرث صحابتي بقتال هؤلاء المفسدين من بني إسرائيل أما أبرز صفاتهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في تتمة الحديث السابق: (قائمةٌ بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون على الناس قال يا أمير المؤمنين سمعت معاذ يقول وهم من أهل الشام). (رواه البخاري)

فهذه الطائفة من أهل الشام وفي رواية في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وهي القائمة تدافع عن أمر الله رغم الخذلان والمخالفة من باقي الأمة لها وهم كذلك يتحملون الجزء الأكبر والأثقل من معركة إنهاء إفساد بني إسرائيل حتى يأتيهم نصر الله ويظهرهم على الناس.

ولهذا نقول لهذه الطائفة لا تحزنوا بسبب الخذلان والمخالفة من باقي الأمة فقد جعل الله هذا الخذلان وهذه المخالفة بشارتان من بشائر نصركم على أعدائكم .

العلاقة بين المنافقين ويهود بني النضير:

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحشر: ١١ - ١٢)

تشابه العلاقة بين يهود ومنافقي اليوم ومن ذلك الخبر الذي نقلناه في الفصل الثالث من هذا الكتاب ونعيد التذكير به هنا: **في حلقة من برنامج (حكي ع المكشوف) بثت فضائية فلسطين التابعة للسلطة**

الفلسطينية ليل الجمعة ١٢/٨/ ٢٠١١ لقاءً مع عضو اللجنة المركزية لحركة (فتح) جمال محيسن القيادي قال فيه: إن مخابرات الاحتلال التقت دحلان وبعض المحسوبين عليه في الأمن الوقائي لتنسيق الحرب على غزة وما بعدها.

عادت السورة تذكر بالرعب وتقرر أن رهبة المسلمين في صدور هؤلاء الماديون من يهود أشد من رهبة الله

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحشر: ١٣)

وهذا يظهر جلياً في كل معارك المقاومة مع الاحتلال، حيث إن هذه المقاومة ترعبهم وترهبهم لدرجة أنهم يغادرون بيوتهم ومدنهم ويهربون إلى أي مكان يعتقدون أنه آمن، ونعود لنؤكد مرة أخرى للمقاومة ولحماس أنها يجب أن تفعّل منظومة الرعب لديها، فأنتم أشد رهبة في قلوب الصهاينة من الله.

- **ذكرت السورة طريقة التحصين الذي استخدمها يهود بني النضير وهي القرى المحصنة:**

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ (الحشر: ١٤)

كما ذكرت طريقة أخرى للتحصين يستخدمها يهود اليوم وهي بناء الجدر، فبعد جدار الفصل العنصري الذي قطع أوصال الضفة الغربية يهمون ببناء جدر على حدود الفاصلة بين فلسطين المحتلة وكلا من مصر والأردن.

نشرت الجزيرة نت خبراً بعنوان **حزب العمل يهدد بترك حكومة نتنياهو** في تاريخ ٢٠١١/ ١/ ٤ ومما جاء فيه:

وقال نتنياهو: إن إسرائيل ستواصل بناء الجدار الفاصل بينها وبين مصر، بل ربما تبني جداراً آخر على حدودها مع الأردن لمنع ما سماه التسلل.

وصفت السورة العلاقة في داخل مجتمع بني النضير بقوله تعالى:

﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(الحشر: ١٤)

وهو وصف منطبق تماماً على طبيعة العلاقة داخل مجتمع الصهاينة اليوم، وذلك واضح لكل متابع ولغير المتابعين نورد بعض عناوين الأخبار من إعلام العدو نفسه.

- الكشف عن خمس حالات تعرض خلالها جنود للتنكيل والتعذيب من زملائهم. راديو إسرائيل ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٩.
- تمرد في لواء "كفير" الإسرائيلي احتجاجاً على إخلاء المستوطنات. راديو إسرائيل ٢٣/١٠/٢٠٠٩.
- جندي إسرائيلي يردي زميله قتيلاً بسبب خلاف حول إدارة الاتصال. هآرتس ١٣/٢/٢٠٠٩.

هذه الأحداث وغيرها الكثير تدور في جيش الاحتلال، أما باقي المجتمع فهو متفكك أصلاً، فهناك الشرقيون والغربيون العلمانيون والمتدينون، والفلاشا، والكثير من التقسيمات والسلوكيات العنصرية داخل هذا الكيان الزائل بإذن الله.

إن سورة الحشر وهي تصف أحداث غزوة بني النضير تصف أيضاً نسخة طبق الأصل عن تلك الغزوة وهو الصراع الدائر الآن على أرض فلسطين، وأملنا بالله كبير أن تكون نتيجة هذا الصراع مطابقة لنتيجة غزوة بني النضير.

بشائر النصر من سورة الروم

لقد ذكرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب وفي مبحث (**دستورنا يعالج الصراع مع الروم وبني إسرائيل**)؛ أن سورة الروم تعالج الصراع بين الروم والمسلمين وقد ذكر ذلك العالم (ابن بُرّجان) المتوفى سنة ٥٣٦ للهجرة عندما فسّر مطلع سورة الروم على أنها بشارة من الله لفتح بيت المقدس في سنة ١٥ للهجرة زمن عمر بن الخطاب وبناءً عليه استطاع ابن بُرّجان في تفسيره "تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم"، أن يتوقع موعد تحرير بيت المقدس بتاريخ ٥٨٣ للهجرة في شهر رجب، والذي كان احتل عام ٤٨٩ للهجرة من قبل الروم وهذا ما حصل فعلاً.

كيف فسر العالم ابن بُرّجان مطلع سورة الروم؟ وعلى ماذا اعتمد في تحديد موعد تحرير بيت المقدس؟

اعتمد ابن بُرّجان في توقعاته على:

- قراءتين للسورة.
- روايتين تحددان وقت نزولها.
- أسرار كلمة بضع.
- تحديد المكان في أدنى الارض: (بلاد الشام وبالتحديد القدس وما حولها).

القراءتان:

قراءة الجماعة: غُلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون.

القراءة الثانية: غَلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون.

ثانياً: الرواية الأولى التي تحدد موعد النزول:

وقت النزول وهو وقت انتصار فارس على الروم في السنة ٨ للبعثة، أي قبل الهجرة بخمس سنوات وثلاثة أشهر، أما غلبة الروم لفارس فقد كان في نفس تاريخ معركة بدر، أي بعد سنة وتسعة أشهر، وبذلك يكون ٧ سنوات بين هزيمة الروم وانتصارهم .

قال ابن برجان: (فكذلك قول الله جل ذكره "غلبت الروم" إخبار وبشارة منه عن التقدير المتقدم لظهور «الكاين» فكان ذلك زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، غَلَبَهُم على بلاد الشام واستخرجَ بيتَ المقدس من أيديهم).

يقصد ابن برجان: أن قوله تعالى غُلبت الروم وبقراءة الجماعة وبالاعتماد على الرواية الأولى عن وقت النزول في السنة ٨ للبعثة جاءت بشرى المسلمين بما سيكون لهم من غلب للروم في بلاد الشام وفتح بيت المقدس وهو ما حدث على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وقال ابن برجان: (في بضع سنين؛ والبضع من الثلاثة إلى التسعة وكان نزول هذه السورة بمكة، فكان ذلك في داخل بضع أسابيع سنين على رأس عشرين إلى ثمان وعشرين سنة ثم لم يزل الفتح بعد ذلك يتسع ويتصل إلى نهاية سبقته في التقدير).

يقصد ابن برجان: أن تعريف كلمة بضع هو الأعداد من ٣ إلى ٩ وتم الفتح العمري في السنة ١٥ للهجرة بعد ٢١ سنة من وقت النزول، وهو ما قصده ابن برجان بقوله: (على رأس عشرين إلى ثمان وعشرين سنة) وأنه امتد هذا الفتح وبقيت القدس تحت الحكم الإسلامي لغاية ما قدر الله له أن يكون.

ولكن كيف حسب ابن برجان أن الفتح سيكون داخل الفترة الممتدة من نهاية ٢٠ إلى ٢٨ سنة من وقت نزول السورة؟

نذكركم بقول ابن برجان: (وكان نزول هذه السورة بمكة فكان ذلك في داخل بضع أسابيع سنين على رأس عشرين إلى ثمان وعشرين سنة).

لماذا استخدم أسابيع؟

يقول البينوني: (فبضع لها أسرارها التي لا يعرفها إلا العارفون بلغة العرب).

ولتوضيح كيف توصل ابن برجان أن الفتح سيكون داخل الفترة الممتدة من نهاية ٢٠ إلى ٢٨ سنة من وقت نزول السورة بعد إدخال كلمة أسابيع بين كلمتي بضع وسنين معتمدا على أسرارها،

والذي هو من العارفين بهذه الأسرار نقدم لكم الجدول التالي:

بِضع	أسبوع	العملية الحسابية	بِضع - أسابيع - سنين
٣-٤	٧	(٣×٧) إلى (٤×٧)	من ٢١ إلى ٢٨ سنة بعد وقت النزول
٤-٥	٧	(٤×٧) إلى (٥×٧)	من ٢٨ إلى ٣٥ سنة بعد وقت النزول
٥-٦	٧	(٥×٧) إلى (٦×٧)	من ٣٥ إلى ٤٢ سنة بعد وقت النزول
٧-٧	٧	(٦×٧) إلى (٧×٧)	من ٤٢ إلى ٤٩ سنة بعد وقت النزول
٧-٨	٧	(٧×٧) إلى (٧×٨)	من ٤٩ إلى ٥٦ سنة بعد وقت النزول
٨-٩	٧	(٧×٨) إلى (٧×٩)	من ٥٦ إلى ٦٣ سنة بعد وقت النزول

لقد وضعنا في العمود الأول من الجدول كلمة بِضع حسب تعريفها أنها الأرقام من ٣ إلى ٩ ووضعناها على شكل فترات الأولى من ٣ إلى ٤ والثانية من ٤ إلى ٥ وهكذا.

أما العمود الثاني فقد وضعنا فيه عدد أيام الأسبوع ٧.

أما العمود الثالث فقد أجرينا العملية الحسابية الناتجة من إدخال ابن برجان كلمة أسابيع بين كلمتي بضع وسنين فكان المقصود ضرب الأرقام من ٣ إلى ٩ وهوتعريف كلمة بضع في عدد أيام الأسبوع ٧ بالطريقة الموضحة في العمود الثالث.

أما العمود الرابع فهو نتيجة العملية الحسابية.

وبالعودة إلى كلام ابن برجان: (وكان نزول هذه السورة بمكة فكان ذلك في داخل بضع أسابيع سنين على رأس عشرين إلى ثمان وعشرين سنة).

وهو ما حصلنا عليه في الصف الأول من هذا الجدول فكانت النتيجة من ٢١ سنة إلى ٢٨ سنة من وقت نزول السورة فكان فتح عمر بن الخطاب في سنة ١٥ هـ في رمضان، ونزول السورة وحسب الرواية الأولى لوقت النزول نزلت (قبل الهجرة) بـ٥ سنين و٣ شهور + ١٥ سنة و٩ أشهر (بعد الهجرة) = ٢١ سنة.

أما الرواية الثانية لوقت النزول:

فقد جاء في الصحيح عن أبي سفيان أن نصر الروم كان وقت الحديبية وذلك في السنة السابعة للهجرة وبالتالي يكون وقت النزول (قبل الهجرة) بشهرين أو نحوها.

يقول ابن برجان: (ثم أديلوا بغلبة ثانية عام تسع وثمانين وأربعماية فغلبوا على أرض الشام كلها وعلى بيت المقدس وذلك عند آخر السنة السادسة الــتي هي من ألف شهر ومن شهور العرب تصديقاً لقوله في بضع سنين التي سادس أيامها رأس الخمسمائة سنة إلى تمام الخمسمائة وثلاث وثمانين وثلث السنة تمام سبع سنينها ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسمائة).

يقصد ابن برجان: أن الروم هزموا المسلمين في بلاد الشام واحتلوا بيت المقدس في السنة ٤٨٩ للهجرة، وذكر أن ذلك كان في نهاية السنة السادسة، ماذا يقصد ابن برجان بالسنة السادسة وما علاقتها بالسنة ٤٨٩ ؟

- اعتمد ابن برجان كما قال على تعريف السنة عند العرب وهي ١٠٠٠ شهر وليست ١٢ شهر، وبذلك تكون سنة العرب: ١٢÷١٠٠٠ =٨٣,٣ سنة (ثلاث وثمانون سنة وثلاث بالعشرة دوري) هجرية، وبضرب ٦×٨٣,٣ =٤٩٩,٨ للهجرة وبالتالي تكون السنة ٤٨٩ داخل السنة السادسة حسب تعريف العرب للسنة.
- وتقع السنة السادسة ضمن تعريف بضع من ٣ إلى ٩.
- اعتمد ابن برجان أيضاً على الرواية الثانية لوقت النزول، وهو وقت الهجرة فنسب حسبته للسنة السادسة والسنة السابعة التي توقع أنها موعد تحرير بيت المقدس، حسب تعريف العرب للسنة إلى وقت الهجرة.

ثم بنى على ما سبق توقعه بأن موعد تحرير بيت المقدس في عام ٥٨٣,٣ للهجرة وذلك من خلال ضرب ٧×٨٣,٣=٥٨٣,٣.

وتابع قائلاً ونحن في العام ٥٢٢ للهجرة، وصدق توقع ابن برجان وحرر صلاح الدين بيت

المقدس في شهر رجب من السنة ٥٨٣ للهجرة.

أما لماذا ضرب ابن برجان في الرقم ٧ ؟

لأنه اعتبر حسب الروايتين أن الفرق الزمني بين هزيمة الروم وانتصارها ٧ سنوات وهي داخل بضع.

تدوير التوقعات:

يقول ابن برجان في بداية تفسيره بعد حديثه عن القراءتين: (حكمة الله جل ذكره في دوائر التقدير أن يرجع فيها أوامر الحكم على أوائلها من الدوائر مقدرة ومنها متوسعة وعلى مقدار مشيئة الله فيها وبها).

إن هذا الكون وما فيه من نواميس وسنن وضعها الخالق المبدع له، يعتمد وبشكل رئيس إن لم يكن كاملا على الدوران فكل ما حولنا في هذا الكون الفسيح من مجرات وأفلاك ونجوم وكواكب وغيرها يتخذ من الدوران شكلاً لحركته وشكلاً لهيئته، وبناء على هذا كان تعاقب الليل والنهار وحساب الزمن، فالسنة عبارة عن ١٢ شهرا؛ تنتهي لتبدأ السنة التي تليها بدوران مستمر ودوري إلى يوم القيامة، ومثل ذلك ينطبق على كل وحدات الزمن كالشهر والأسبوع والساعة وهكذا، ففي الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان).

ومثل هذا ينطبق على الذرة المكون الرئيس للمخلوقات حيث تدور الإلكترونات حول النواة ،ومن باب أولى تعميم ما ينطبق على الذرة الصغيرة على كل ما في هذا الكون الفسيح.

وبما أن الخالق واحد أحد صمد فإن سننه واحدة لا تتحول، فما انطبق سابقاً ينطبق على طريقة العبادة من طواف حول الكعبة وتعميم هذا الطواف على الصلاة التي يتوجه بها المسلمون بصفوف دائرية نحو الكعبة وحولها حتى تغطي الكرة الأرضية بأسرها.

ومثل ذلك تتعاقب الأمم على خلافة الله فوق هذه الكرة الأرضية ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٤٠) ولكن قد تتسع مدة خلافة أمة وتضيق مدة خلافة أمة أخرى.

وكما أن تداول حكم الأرض بين الحق والباطل من سنن الله فإن اتساع دورة الحق وطول مدتها وضيق دورة الباطل وقصر مدتها من عدل الله فأبشروا بدورة طويلة متسعة طويلة والله أعلم.

ولهذا نجد أن سورة الروم والتي تتحدث عن تعاقب الغلبة بين الروم والمسلمين على بلاد الشام وبالذات بيت المقدس قد امتلأت بوصف الدورات التي تملأ هذا الكون وقد عددنا في سورة الروم ١٧ دورة ومنها على سبيل المثال:

الآيات (٩- ١٠) دورة الامم: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الروم: ٩ - ١٠)

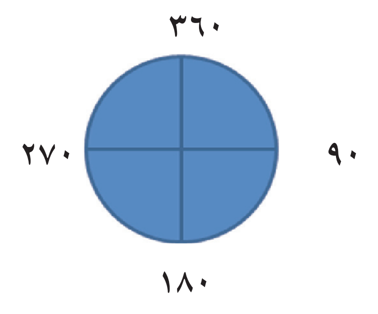
- دورة الخلق: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الروم: ١١).
- الآية (١٧) دورة تعاقب الصباح والمساء :
- ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (الروم: ١٧).
- الآية(١٩) إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي دورة حياة وموت الارض: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الروم:١٩)

الآية (٢٤) دورة حياة الماء وحياة الأرض : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الروم: ٢٤)

وجاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (الروم ذات القرون كلما هلك قرن قام آخر) مصدقاً لتعاقب الهزيمة والنصر على الروم.

كيف ندوّر توقعات ابن بُرّجان ونستخرج منها موعد انتهاء نفوذ الروم اليوم على منطقتنا العربية وبالذات بلاد الشام؟

نقول: إن الدائرة الهندسية تنقسم الى ٣٦٠ درجة تبدأ من نقطة الصفر وتعود الى نقطة ٣٦٠ عند الصفر.



إذا كان هناك درجة أكبر من ٣٦٠ كيف يمكن أن نمثلها على الدائرة؟

تمثيل درجة اكبر من ٣٦٠ على الدائرة يكون بقسمة تلك الدرجة على ٣٦٠ قسمة طويلة.

وتكون النتيجة هي عدد الدورات والباقي هو الذي يمثل على الدائرة.

مثال: كيف نمثل الدرجة ٤٥٠ ÷ ٣٦٠ = ١ وهو عدد الدورات والباقي ٩٠ وهو الذي يمثل على الدائرة.

. مثال:٦٣٠ ــ ٦٣٠ ÷ ٣٦٠ = ١ وهو عدد الدورات والباقي ٢٧٠، وهو الذي يمثّل على الدائرة.

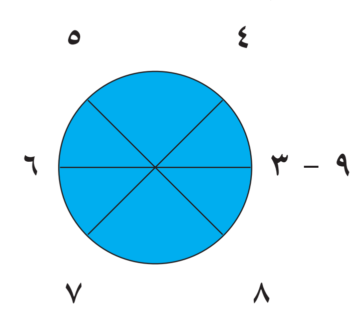




وكما قلنا سابقاً أن كل شيء في هذا الكون يعتمد على الدوران فلا بد من أنّ لـ (بضع) دائرة.

خصائص دائرة بضع:

- تنقسم الى ٦ درجات تبدأ من الرقم ٣ وتعود الى الرقم ٣ عند ٩ حسب تعريف بضع من ٣ إلى ٩.
- دائرة بضع لا تحتوي على الرقم ١ و ٢ بسبب تعريف بضع من ٣ إلى ٩.



إذا كان هناك رقم أكبر من ٩ كيف يمكن أن نمثله على دائرة بضع؟



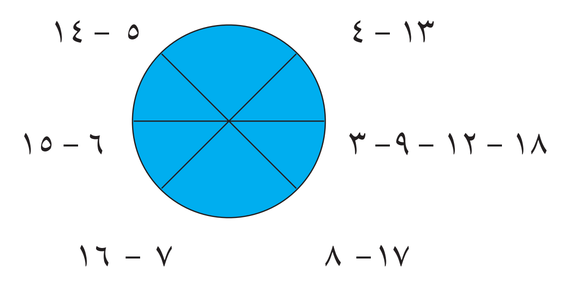
نفس طريقة الدائرة الهندسية.

نقسم الرقم على الرقم ٩ قسمة طويلة، وتكون النتيجة عدد الدورات والباقي مكان التمثيل:

مثال ١: ١٠ ÷ ٩ = ١ وهو عدد الدورات والباقي ١ وهو الذي نمثله على دائرة بضع.

إذن لا يمكن تمثيل الرقم ١٠ على دائرة بضع لأن الباقي واحد والواحد خارج دائرة بضع ونفس الكلام ينطبق على الرقم ١١ لأن الباقي ٢ ورقم اثنين خارج دائرة بضع.

أما باقي الأرقام فتمثل كالتالي:



الرقم الذي يهمنا على الدائرة هو الرقم المثل عند الرقم ٧ وهو الرقم ١٦، لأن ٧ هي فرق السنوات بين هزيمة الروم وانتصارها داخل بضع.

إذن بعد دورة (سبع سنين) سيعود الروم الى أدنى الأرض (بلاد الشام) مع اعتماد الرواية الثانية لوقت النزول والتي تقول إن وقت النزول مع حادثة الهجرة .

١٦×٨٣,٣ = ١٣٣٣,٣ للهجرة فتكون سنة نصر وغلبة للروم على المسلمين.

١٣٣٣ للهجرة تقابل ١٩١٥ م يقول د.محسن صالح في كتابه (القضية الفلسطينية) : (أما بريطانيا فقد سعت إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام والعراق من خلال السير في ثلاثة اتجاهات متعارضة متضاربة :

كان الاتجاه الأول التفاوض مع الشريف حسين بن علي أمير الحجاز فيما عرف بمراسلات حسين - ماكمهون (تموز ١٩١٥ -آذار ١٩١٦) لدفعه لإعلان الثورة العربية على العثمانيين مقابل وعود باستقلال معظم المناطق العربية في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق تحت زعامته.)

تعد هذه الخديعة التي تعرض لها الشريف حسين من قبل بريطانيا هي الخطوة الأولى لعودة

نفوذ الروم وتحت مسميات جديدة على بلاد الشام أما الاتجاهين الثاني والثالث اللذان سارت فيهما بريطانيا لضمان نفوذها في بلاد الشام حسب الدكتور محسن فهما:

١. التفاوض مع فرنسا والذي توج في أيار ١٩١٦ بتوقيع اتفاق سايكس بيكو.
٢. التفاوض مع المنظمة الصهيونية العالمية حول مستقبل فلسطين.

وبالعودة إلى طريقة الحساب والتي قد يسألنا عنها سائل ويقول : لماذا استخدمتم في حساباتكم الرقم ٣ , ٨٣ ؟ نقول:

- لأن ٣ , ٨٣ هو تعريف السنة عند العرب كما قال ابن برجان.
- ولأننا نفهم أن اتساع دورة الحق وطول مدتها وضيق دورة الباطل وقصر مدتها من عدل الله، والله أعلم، فكان لابد من استخدام تعريف السنة عند العرب في حساب نفوذ المسلمين على بلاد الشام.

أما موعد انتصار المسلمين وهزيمة الروم وبالاعتماد على القراءة الثانية (غَلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون) يكون بإدخال كلمة أسابيع لتكون بين بضع وسنين لتصبح بضع أسابيع سنين وبالاعتماد على دائرة بضع:

١٦×٧ =١١٢ سنة هجرية من غلبة المسلمين ونصر الروم.

١٣٣٣ للهجرة+١١٢ = ١٤٤٥ للهجرة يقابل ٢٠٢٣ م.

حصلنا على الرقم ١٦ في العملية الحسابية من دائرة بضع والذي يعني كما شرحنا بعد دورة واحدة وسبع سنيين أما الرقم ٧ فحصلنا عليه من أدخال أسابيع بين بضع وسنين مستفدين من أسرار كلمة بضع عند العرب ومن فهمنا بأن دورة الباطل يجب أن تكون قصيرة مقدرة والله أعلم.

وبذلك يكون العام ٢٠٢٣م والله أعلم هو العام الذي سينتهي فيه آخر نفوذ للغرب في بلاد الشام.

الخاتمة

وفي ختام هذا الكتاب ندعو كل من قرأه، واقتنع بفكرته، وأراد أن يكون في صفوف بعث الله الثاني لإنهاء إفساد بني إسرائيل أن يلتزم بعهدٍ مع الله في تحقيق أوامر سورة الإسراء.

عهد الله في سورة الإسراء:

(أعاهد الله تعالى عهدا ألتزم به ما حييت، ما استطعت، ألقى الله عليه؛ وعليه ألقى رسوله صلى الله عليه وسلم على الحوض .

أعاهده سبحانه على ألا أعبد إلا إياه، ولا أجعل معه تعالى إلها آخر، مع إقراري له جل وعز؛ بكمال الألوهية، ولنفسي بالعبودية وتمام العجز، وأن لا أتخذ من دونه وكيلاً، بل أُسلِمُ أمري إليه، وأحط رحلي ببابه وبين يديه، مؤتمرا بأمره، منتهيا عما نهى عنه .

كما أعاهده سبحانه على أن أبرّ والديّ محسنا إليهما؛ متواضعا لهما، ضامّاً لهما إليّ، خافضا لهما جناح الذل من الرحمة، مواظبا على الدعاء لهما، والاستغفار لهما، مستذكرا فضلهما عليّ، مستكثرا من ذلك ما استطعت، لا آلو فيه جهدا، ولا أستعظم عليهما خيرا..

وأعاهده سبحانه على الإحسان إلى ذوي القربى، ووصلهم، والإنفاق عليهم مما وسع الله عليّ، أشاركهم الأفراح والأتراح، من كان منهم فقيرا بمالي واسيته، ومن كان منهم مظلوما نصرته، ومن كان منهم ضالا دعوته، ومن كان منهم مجاهدا نصرته وأيدته ..

منفقا من مالي عليهم، وعلى المسكين عامة وابن السبيل، فإن ذلك إنما هو حق الله في مالي؛ الذي رزقنيه من غير حول مني ولا قوة .

وإن عجزتُ عن ذلك بما قُدر عليّ من رزقي؛ فلهم عليّ الكلمة الطيبة، والدعاء بالخير والتوسعة، والتبشير بقرب الفرج واليسر المرغوب؛ بعد العسر والكروب .

وأن أقتصد في الإنفاق؛ غير مسرف ولا مقتر، غير بخيل ولا مبذر، ضابطاً لأمور نفقتي، غير ضانٍّ بها عن وجوه الاستحقاق، ولا باسطٍ لها فيما لا يُحمد عقباه، ويعود بالحسرة والندامة، واللوم والمهانة ..

وأعاهده سبحانه على أن أجتنب الكبائر ما ظهر منها وما بطن، ما في السر منها والعلن، محافظا على عهد الله فيها، وأمانته التي حملنيها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ..

فأعاهده على أن لا أقتل الأولاد خشية الإملاق والفقر، عالماً بأن ذلك من الخطايا الكُبر .

وأن لا أقرب الزنى، ولا أسلك سبله الموصلة إليه؛ من الاختلاط المحرم؛ المفضي إلى النظر المسمم، وأن لا أخلو بامرأة لا تحلُّ لي؛ بما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم من كون الشيطان ثمة ثالث، مسولا موسوسا ولاهثا .. وأن أغض في سبيل ذلك البصر، وأن أطهر النظر، مبتعدا عن مواطن الفتن، مستعصما مستعففا كما أمر ..

وأن لا أقتل نفساً بغير حق، مستعظما ذلك تعظيما لأمر الله، غير مهلك نفسي، بأي طريق من طرق الإهلاك، ولا غيري من المسلمين المعصومين، ولا غيرهم من الذميين والمعاهدين، كما أمرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .

وأعاهده تعالى على الوفاء بالعهد، وإنجاز الوعد، عالما بأن الغدر والخيانة معصية ونفاق وتضييع للأمانة، ومن أهم ذلك : تضييع العهد مع الله؛ بنصرة نبيّه صلى الله عليه وسلم ودعوته، والجهاد في سبيل دينه وإقامة دولته، وكذلك كل عهد ألتزم به مع الناس .

وأعاهده سبحانه أن لا آكل المال الحرام بأنواعه، وأن أطهر منه مالي، وأن لا أطعمه أهلي وولدي، عالما بأن الجسد الذي نبت من الحرام فالنار أولى .

وكذلك على أن لا آكل مال اليتيم، وأن لا أقربه إلا بالتي هي أحسن، فإن ذلك فعل سقيم، والمآل فيه عقيم، وكذلك كل مال أنا عليه مؤتمن، من أموال الخاصة والعامة، في السر والعلن.

وأن أوفي الكيل – إذا كلت – وأن أزن بالقسطاس المستقيم، معتقدا البركة فيما أباحه الله، معتقدا الشؤم فيما حرّمه جل في علاه، «فبقية الله خير» .

وأعاهد الله تعالى أن لا أتبع إلّا ما قام عليه الدليل، وأن لا أنشر إلا ما ثبت عندي، في الكثير وفي القليل، حريصا على الحق والصواب، متحرزا عما يسوقه التخليط في ذلك يوم القيامة



من العتاب والعذاب، عالماً أنني مسؤول عما أنعم الله به عليَّ، موظفا ذلك فيما يرضي الرب العليّ، والإله المهيمن القويّ .

متواضعا مع خلق الله المتعال، مبتعدا عن التكبر والتبختر والاختيال، في مِشية أو نظرة أو مقال؛ فلا أنا بالذي يخرق الأرض، ولا بالذي يبلغ الجبال الطوال .

حريصا على ما ينطق به لساني مع الناس، متحرّيا الأحسن من المنطق، منتقيا من الكلام أطيبه، ومن الحديث أعذبه، غير مجرّحٍ ولا مغتاب، ولا لعان ولا سباب، ولا فاحش ولا مرتاب .

مستعيذا بالله من الشيطان، مما يُلقيه من المشاحنة والبغضاء بين الإخوان، عاذرا أخاً فيما ذكر، فلعله خطأ صدر، أو نية حسنى تُسَرّ .

وأعاهده تعالى على أن أتوجه إليه وحده بالدعاء، في السراء وفي الضراء، راجيا رحمته، خائفا من عذابه، عالما بما أخبر من قدرته، وسعة رحمته .

وأعاهده على الثبات على دعوته، ونصرة دينه وأمته، والجهر بالحق الساطع، والبرهان القاطع، وأن لا أركن إلى الظالمين، وأن لا أداهنهم، ولا أتنازل عن ثوابت العقيدة والشريعة، معتزا بما أنزل إليَّ ربي من الدين الحق، قائما على الدعوة إليه، والتحاكم إليه، والتبشير بمستقبله القريب، إذ وعد الله لا يخيب، وشمس حقه لا تغيب .

وأعاهد الله عز وجل على المحافظة على الصلوات المكتوبة، وعلى إقامتها كما أرادها الله تعالى – ما استطعت –، محافظا على أركانها وسننها، محققا شروطها، مستحضرا فيها الخشوع، مستكملا فيها الخضوع، وعلى صلاة الفجر المشهودة، مقيما لها في أوقاتها المعهودة، حريصا على فضائلها الموعودة، جادّا في ذلك، آخذا بالأسباب المؤدية إليه، غير متكاسل ولا مقصر، غير مسوّف ولا مؤخر .

وأعاهد الله على أداء النوافل حسب طاقتي، راغباً ببلوغ مرتبة المحبوبية، والاصطباغ بالصبغة الربانية، وعلى قيام الليل؛ «شرف المؤمن»؛ ساجداً بين يدي المولى الرحيم الكريم، مناجياً

له في محراب العبودية، متضرعاً له في ميادين الخشوع والخضوع والتسليم، آخذاً بحجز الانكسار على أعتابه، مديماً طرق بابه، منادياً راغباً راجياً لرحمته ورضوانه وثوابه .

ملتزما للدعاء؛ مصاحباً لحسن الظن والرجاء؛ سائلاً التوفيق، متوكلاً مفوّضاً على التحقيق، عالماً بأن كل خير إنما هو من الله، وأن كل نجاح إنما هو بفضله جل في علاه، فلا اعتماد إلا عليه، ولا رغبة إلا بما عنده، ولا معصية أقترفها إلا بخذلان، وتخلية بين النفس والشيطان .

أدعوك ربنا أن تدخلني مدخل صدق وتخرجني مخرج صدق، وأن تجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحدٍ سواك، وانصرني على من ظلمني وعاداك .

جاء الحق، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ..

سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، أدعوك ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، أدعوك بأنك الله الرحمن، أن توفقنا لطاعتك والرضوان، وتعصمنا من معصيتك والخذلان، لا حول ولا قوة إلا بك، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم..

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، والله أكبر، له العزة، ومنه العزة وإليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ (التوبة: ١١١)

والله أكبر والعزة لله.. والحمدلله رب العالمين


تم بحمد الله